

لينين مختارات جديدة

نصوص حول المسألة القومية

دار الطليعة - بيروت

نصوص حول المسألة القومية

لينين

مختارات جديدة

نصوص حول المسألة القومية

ترجمة وتقديم

جورج طرابيشي

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

بيروت - ص.ب ١٨١٣

الطبعة الاولى
تموز (يوليو) ١٩٧٢

تقديم

لن نكون الا مغالين على الارجح اذا افترضنا مع بعض الباحثين ان لينين قد خص المسألة القومية بثلث كتاباته (١) . ولكننا لن نكون مغالين على الاطلاق اذا اكدنا ان المسألة القومية هي واحدة من المسائل المركزية في التراث اللينيني ، وليست مسألة فرعية وثانوية كما هو شأنها في تراث ماركس وانجلز .

ولعل اكبر خطأ يمكن ان نرتكبه في اي محاولة لتحديد موقف لينين من المسألة القومية هو ان نفترض ان هذا الموقف واحد ، جاهز ، مكتمل ، متحدد دفعة واحدة ونهائية منذ ان اصبح لينين ماركسيا . ومثل هذا الافتراض يعدل القول بأن ذلك الموقف لا يملك تاريخا ولا تطورا ، وبأن اي نص للينين حول المسألة القومية يعادل في الاهمية اي نص آخر له في الموضوع نفسه حتى ولو كان الفاصل الزمني بينهما يمتد على مدى عقدين من الزمن .

والواقع ان مثل ذلك الافتراض قمين بأن يفضي الى نتائج أقل ما يمكن ان توصف به هو انها انتقائية . والانتقائية تتنافى

---

١ ـ جان رو : «موجز تاريخي ونظري للماركسية ـ اللينينية» ـ باريس ١٩٦٩ ـ ص ٣٥٦ .

وروح الماركسية ، لانها تستبدل الجدل بالسفسطة والتاريـــخ العيني بالتجريد اللاتاريخي .

وعيب الانتقائية هذا يتجلى ، اكثر ما يتجلى ، لدى أولئك الباحثين او المؤلفين الذين لا يحجمون عن تحويل لينين الى دمية ينطقونها بما يريدون انطاقها به بصدد المسألة القومية ، أسواء في معرض التأييد للنزعة القومية أم في معرض شجبها والتنديد بها ، وكل عدتهم في ذلك نص للينين مبتور عن سياقه ومبتور عن تاريخه .

ان اللينينية ليست مسرحا للعرائس . ولكن الانتقائية كفيلة بأن تجعلها كذلك. هل انتم بحاجة الى ذلك الوجه من وجوه لينين الذي يندد بشعار «الثقافة القومية» ؟ اذن فلترجعوا الى نصوص ١٩١٣ و١٩١٤ الموجهة ضد المدرســـة الماركسية النمسويـــة وتحريفيتها القومية النزعة ! هل انتم بحاجة الى ذلك الوجه من وجوه لينين الذي يشيد بالثقافة القومية ويدعو الى تطويرها؟ اذن فلترجعوا الى نصوص ١٩٢٠ ـ ١٩٢٣ بصدد حركة التحـــرر القومي لشعوب الشرق والمستعمرات !

بيد ان ما تنساه الانتقائية هو ان لينين ليس متعدد الوجوه، ليس انتقائيا . وهو لا يمكن ان يبدو كذلـــك الا اذا تجاهلنا ان السياق التاريخي لنصوص ١٩١٣ ـ ١٩١٤ هـــو غير السياق التاريخي لنصوص ١٩٢٠ ـ ١٩٢٣ ، وأن «الثقافة القومية» من منظور الجدال مع «الماركسيين» النمسويين شيء ومن منظـــور الحوار مع شعوب الشرق والمستعمرات شيء آخر .

وما قلناه عن الثقافة القومية ينطبق ايضا على موقف لينين من النزعة القومية ، ومن مسألة الوطن والوطنية ، ومن مسألـــة العلاقة بين النضال القومي والنضال الاشتراكي ، الخ . فللينين نصوص تؤكد بلا لبس ان الماركسي عدو لكل نزعة قومية أيا تكن. ولكن هناك نصوصا أخرى تؤكد بلا لبس ايضـــا ان الماركسي لا

يستطيع الا ان يؤيد النزعة القومية للأمم المظلومة والمضطهَدة . ولللينين نصوص تقطع بأن «العمال لا وطن لهم» ، ولكن له نصوصا اخرى تقطع على العكس بأن من واجب العمال الدفاع عن أوطانهم . ولللينين نصوص تجزم بأن النضال القومي يحتل المرتبة التاسعة من حيث الاهمية بالمقارنة مع النضال الطبقي . بيد ان هناك نصوصا أخرى تجزم بضرورة تحالف قوى الثورة الاشتراكية مع قوى الثورة القومية ، بل تجزم بأن النضال القومي هو شرط مسبق لتطور النضال الطبقي ، بل تجزم بأن المسألة القومية تتقدم في شروط محددة حتى على مسألة الثورة الاشتراكية، الخ.

ومرد ذلك ليس تعدد وجوه لينين . ولعله يندر ان نعثر في العصور القديمة والحديثة على حد سواء على ند للينين من حيث تماسك المنطق وتلاحم المذهب ووحدة الرؤية وانتظامها ، وهذا على الرغم من التنوع الشديد لكتابات لينين التي أربت على خمسين مجلدا ضخما . ولئن كان قد قيل بأن كل فكر حي هو فكر متناقض بالضرورة ، فاننا لا نكون قد اخترنا الا الطريق الاسهل اذا اكتفينا بإرجاع «تناقضات» لينين في المسألة القومية الى حيوية فكره .

اما ان فكر لينين حي ، فهذا ما تقيم عليه الدليل ممارسات الثورة الاجتماعية وتكتيكاتها واستراتيجياتها ومعادلاتها النظرية على امتداد عصرنا هذا الذي هو عصر الامبريالية ، اي على وجه التحديد العصر الذي استحقت اللينينية عن جدارة وصفها بأنها ماركسيته .

وأما «تناقضه» ـ على الأقل في مسألة محددة هي المسألة القومية ـ فانه لا يجد تفسيره الا في تباين المنظورات التي حاكم منها لينين شتى مظاهر المسألة القومية . ولقد كان لينين يقول : «ان روح الماركسية كلها ، نظامها كله يقضي بأن تدرس كل أطروحة من اطروحاتها من المنظور التاريخي فحسب ...

وبالارتباط بتجربة التاريخ العينية فحسب» (١) .

واللينينية بدورها لا يمكن ان تدرس بمعزل عن التاريخ . وأطروحات اللينينية عن المسألة القومية لا يمكن ان تستعيد وحدة منطقها ورؤيتها ما لم توضع في منظورها التاريخي . هل هـذا معناه ان درجة الصحة في هذه الأطروحات نسبية ؟ بلا شك . ولكن شريطة ألا ننسى ان هذه النسبية متقدمة ، مطردة ، دائمة التطور الى الامام باتجاه الصحة المطلقة .

من الواجب اذن ان تؤخذ أطروحات لينين حول المسألـة القومية لا في سياقها التاريخي فحسب ، وإنما ايضا من خلال حركتها وتقدمها المطرد باتجاه المعانقة الشمولية لمختلف انعكاسات تناقضات عصر الامبريالية على تطور الامم وعلاقاتها فيما بينها . وإنما من خلال هذه الحركية يمكن ان تتكشف الثغرات والنواقص في ما يمكن ان نسميه بتصورات لينين الاولى عن المسألة القومية، ومن خلالها ايضا يمكن ان تكتسب تصوراته الاخيرة كامل دلالتها. وهذا الجدل بين النقص والكمال باتجاه ما هو أصح وأشمل على الدوام هو الذي يقطع الجسور تحت أقدام كل انتقائية تريد ان تحول هذه او تلك من أطروحات لينين الى حقائق ثابتة ، مطلقة ، مغلقة ، وهو الذي يجعل اعادة انشاء هذه الأطروحات وتطويرها وتعميقها مهمة مطروحة باستمرار على جدول اعمال اللينينيين .

واذا كان ثمة من شيء نحرص على الاشارة اليه في هـذا التقديم المقتضب فهو أن الاهتمام الذي أولاه لينين للمسألـة القومية لم يكن متساويا متعادلا . واذا اخذنـا بعين الاعتبار ان نضال لينين الفكري والسياسي يمتد على مدى ثلاثين عاما، من ١٨٩٣

---

١ ـ رسالة الى اينيسا آرمان في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٦ ـ «المؤلفات الكاملة» ـ المجلد ٣٥ ـ ص ٢٥١ .

الى١٩٢٣ ، فإننا نستطيع ان نحدد ثلاث مراحل رئيسية خص فيها لينين المسألة القومية بتركيز شديد : مرحلة ١٩٠٣ ، ومرحلة ١٩١٣ ــ ١٩١٦ ، ومرحلة ١٩٢٠ ــ ١٩٢٣ . ونحن مع حرصنا على التنويه بأن مثل هذا التقسيم تقريبي واصطلاحي ونسبي ، فإننا لا نستطيع الا ان نلاحظ ان الاهتمام بالمسألة القومية شبه منعدم في غير تلك المراحل ، وعلى سبيل المثال في الحقبة الممتدة بين ١٨٩٣ و١٩٠٢ ، او في الحقبة الممتدة بين ١٩٠٤ و١٩١١ ، او في الحقبة الممتدة بين ١٩١٧ و١٩١٩ . ولهـــذا تفسيره . فالسنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر هي سنوات النضال العنيد ضد الشعبية (النارودنية) وانحطاطها الذاتـــي النزعة . والسنوات الاولى من القرن العشرين هي سنوات النضال ضــد التحريف الاقتصادي النزعة للماركسية . اما الاعوام الممتدة بين ١٩٠٤ و١٩١١ فهي أعوام نضوج الثورة الروسية الاولى ، ثورة ١٩٠٥ ، وارتفاع مدها ثم انحساره ، وما يترتب على ذلك مــن دروس ينبغي ان تستخلص (وقد استخلصت فعلا في المناظرة بين البلاشفة والمناشفة) . اما في حقبة ١٩١٧ ــ ١٩١٩ فقـــد كانت المهمة الاولى التي لا يجوز ان تتقدم عليها اي مهمة أخرى هي العمل على توطيد السلطة السوفياتية الفتية والانتصار فــي الحرب الاهلية وسحق الثورة المضادة . وبالمقابل فان بـــروز الاهتمام بالمسألة القومية في مراحل ١٩٠٣ ، و١٩١٣ ــ ١٩١٦ ، و١٩٢٠ ــ ١٩٢٣ ، تفسره هو الآخر عوامل تاريخية عينية . ففي عام ١٩٠٣ ، عام انعقاد المؤتمر الثاني لحزب عمال روسيـــــا الاشتراكي ــ الديموقراطي (وهو مؤتمر تأسيسي وتاريخي بالمعنى الكامل للكلمة لانه المؤتمر الذي حدد هوية الحزب وزوده ببرنامج وبتنظيم مركزي) ، برزت خطورة المسألة القومية بصفة استثنائية من خلال المحاولات التي بذلها الماركسيون القوميون (غير الروس) لحمل الحزب على تبني مبدأ الاتحادية القومية في علاقاتـــــه

التنظيمية . فحزب عمال روسيا الاشتراكي ــ الديموقراطي ما كان ينبغي في رأي «القوميين» ان يكون جسدا تنظيميا ممركزا تنعدم فيه الحدود والحواجز بين عمال شتى القوميات التي كانت تتألف منها الامبراطورية الروسية ، وإنما ينبغي ان يكون «اتحادا فيدراليا» بين تعدد من منظمات حزبية قومية مستقلة ذاتيا .
واخطر المحاولات في هذا الاتجاه صدرت عن البونديين ، اي عن الماركسيين القوميين اليهود. وإنما من وجهة نظر تنظيمية خالصة تصدى لينين للمسألة القومية في مرحلة ١٩٠٣ هذه . فقد كان الشرط الاول لنجاح النضال الديموقراطي ضد الاوتوقراطية الروسية القيصرية قيام تنظيم مركزي موحد لجميع عمال الامبراطورية أيا كان انتماؤهم القومي . وكانت النزعة القومية بين عمال شعوب الاطراف تقف حائلا دون قيام مثل هذا التنظيم المركزي وتقضي على الحزب بأن يظل مجرد حلقات ضيقة ، منعزلة ، لا حول لها ولا قوة . ومن هنا فان لينين لم يرَ من المسألة القومية في تلك المرحلة سوى وجهها السلبي بوصفها عقبة ، بله خطرا دائما يهدد وحدة عمال روسيا ويحكم على نضالهم بالتجزئة والتبعثر ، وبالتالي بالشلل . وهذه الملاحظة لها اهميتها الكبرى في اي محاولة لتقييم نصوص ١٩٠٣ التي قد تلبس لينين لبوس العدمي القومي اذا ما فصلت عن سياقها التاريخي ، سياق تنظيم حزب مركزي موحد لعمال عموم روسيا.
وفي مرحلة ١٩١٣ ــ ١٩١٦ برز خطر النزعة القومية من جديد بنتيجة الجاذبية التي مارستها المدرسة الماركسية النمسوية على الاشتراكيين ــ الديموقراطيين من ابناء القوميات المضطهَدة في الامبراطورية الروسية . وكان الحل النمسوي يقوم على مبدئين اثنين : الاتحادية القومية في تنظيم الحزب ، والاستقلال الذاتي القومي الثقافي في تنظيم دولة متعددة القوميات . وقد خاض لينين نضالا مراً ضد الماركسيين النمسويين ، ولاسيما

ضد شعارهم القومي النزعة والبورجوازي الصغير النموذجي في الاستقلال الذاتي القومي الثقافي . فلقد رأى لينين في هذا الشعار خطرا داهما «يوحد البروليتاريا والبورجوازية ضمن نطاق الامة الواحدة ويقسم بروليتاريا شتى الامم» . وبالفعل ، كان الشاغل الاول للماركسيين النمسويين الحفاظ على الوحدة السياسية للامبراطورية النمسوية المتعددة القوميات ولو على حساب تكريس التجزئة والعزلة القومية بين عمال الامم والشعوب التي تتألف منها الدولة . وبالمقابل ، فان شاغل لينين الاول كان الحفاظ على الوحدة الطبقية والتنظيمية لعمال شتى امم روسيا ولو على حساب تخلع دولة القياصرة . ومن منظور المناقشة مع الماركسيين النمسويين نستطيع ان نفهم تمام الفهم توكيد لينين بأن الماركسي هو خصم لكل نزعة قومية أسواء كانت مشذبة ام فظة . ولكن ما ينبغي الا ننساه هو ان المناظرة مع أوتو باور وكارل رينر وتلامذتهما الروس لا تستوعب كل الموقف اللينيني من المسألة القومية في نصوص ١٩١٣ ــ ١٩١٦ . فهذه النصوص تتحدد دلالتها ايضا بمنظور الحرب العالمية الاولى . فلقد جاءت معارك هذه الحرب الطاحنة لتؤجج المشاعر القومية في اوروبا على نحو لم يسبق له مثيل ولتعطي الصراع الطبقي والصراع بين المصالح الامبرياليةظاهرا من صراع قومي. وبذلك أمكن للنزعة الشوفينية ان تكشر عن أنيابها ، وأن تصبح التيار الجارف في أوساط الاشتراكية ــ الديموقراطية الاوروبية . وإزاء هذه الخيانة الصفيقة لمبدأ الماركسية الأممي ، لم يجد لينين بدأ من ان يفتح النار ، بأقصى وأقسى ما يستطيع ، على أولئك الذين كانوا حتى الأمس القريب سدنة تراث ماركس وانجلز : كاوتسكي وفرسان الاممية الثانية . والنصوص التي كتبها لينين في السجال مع شوفينيي الحرب العالمية الامبريالية الاولى تتركز اكثر مما تتركز حول مسألة الوطن والوطنية . وقد استطاعت هذه النصوص ان

تسد ثغرة نظرية كبيرة في الماركسية ، لانها استطاعت ، ولأول مرة ، ان تسلط الضوء على نحو متماسك منطقيا حتى النهاية على دلالة تلك الجملة المشهورة الواردة في «البيان الشيوعي» والقائلة بأن «العمال لا وطن لهم» .

بيد ان غزارة نصوص ١٩١٣ ــ ١٩١٦ حول المسألة القومية لا تستوعبها لا المناظرة مع المدرسة الماركسية النمسوية ، ولا المساجلة مع شوفينيي الأممية الثانية كذلك . واذا كنا نريد الاحاطة بشمولية هذه النصوص وبتنوعها فلا بد ايضا من التنويه بالمناقشة التي دارت بين لينين وبين قسم من الماركسيين اليساريين او الامميين انجرف الى مواقع العدمية القومية والوطنية في محاولة ملهوفة منه للتصدي للقرح الشوفيني . هذا التيار الماركسي «اليسراوي» كان يمثله روزا لوكسمبورغ وكارل راديك البولونيان وبوخارين وبياتاكوف الروسيان . وبحجة ان العصر هو عصر الامبريالية المنفلتة من عقالها انتهى هؤلاء «الاقتصاديون الامبرياليون» الى الافتراض بأن الثورة الاشتراكية والبروليتارية الخالصة هي وحدها التي باتت ممكنة في هذا العصر ، ومن هنا كان استنتاجهم المتسرع بأن الحروب القومية ما عادت ممكنة وبأن القومية لم يعد لها من مكان غير المتحف في عصر الامبريالية ، فرفعوا شعار «لتسقط الحدود» بين الدول وشعار «منهج الثورة الاشتراكية الخالصة» وطالبوا باستبدال البرنامج القومي القديم للاشتراكية ــ الديموقراطية الروسية (حق الأمم في تقرير المصير) ببرنامج جديد لا يعترف لغير البروليتاريا والشغيلة بهذا الحق .

والحقيقة ان الاطروحات اللينينية عن المسألة القومية لم تكتسب أبعادها الشمولية الا من خلال المناقشة مع هؤلاء المصابين بمرض الطفولة اليساري . فلقد كان المحور الذي تتمفصل عنده تلك الأطروحات حتى ذلك الحين هو أوروبا بجناحيها الغربي والشرقي : الغربي حيث تنتمي المسألة القومية الى الماضي ،

والشرقي حيث تنتمي الى الحاضر . ولكن من اللحظة التي بدأ فيها لينين يركز اللهجة على البعد الكولونيالي للمسألة القومية على اعتبار ان عصر الامبريالية هو بالتحديد العصر الذي تتحول فيه المسألة القومية الى مسألة كولونيالية بالنسبة الى الغالبية الساحقة من أمم الارض وشعوبها، وجدت الاستراتيجية اللينينية في المسألة القومية المنظور الثالث الذي كانت ما تزال تفتقر اليه لتصبح شاملة حقا وكونية حقا : منظور المستقبل الذي هو منظور الحركات القومية في آسيا والشرق والمستعمرات . وبالفعل ، لم يرَ الاقتصاديون الامبرياليون من الامبريالية غير وجهها المتروبولي، اما لينين فقد رأى ايضا وفي الوقت نفسه وجهها الكولونيالي . فلئن كانت الامبريالية قد وحدت العالم بأسره لأول مرة في التاريخ ، فانها لم توحده الا لتقسمه ، ولتقسمه على وجه التحديد الى أمم مستعمِرة ومستعمَرة. وثنائية العصر الامبريالي هذه هي التي فتحت الباب على مصراعيه أمام تطور الاطروحات اللينينية حول المسألة القومية باتجاه التوكيد على امكانية وضرورة تحالف الثورة الاشتراكية في المتروبولات والثورة القومية في المستعمرات . وبذلك ايضا يكون الشعار اللينيني عن تحالف العمال والفلاحين في الثورة الروسية قد وجد استمراره على نطاق الثورة العالمية التي هي حصيلة لقاء الثورة الاشتراكية في الغرب البروليتاري والثورة القومية في الشرق الفلاحي .

ولئن كانت ملحمة أوكتوبر ١٩١٧ وبطولات الحرب الاهلية ومآسيها قد حالت بين لينين وبين تعميق أطروحاته عن المسألة القومية في ذلك الاتجاه الجديد ، فان مرحلة ١٩٢٠ ــ ١٩٢٣ قد اتاحت له ان يتدارك ذلك لا على صعيد نظري فحسب وإنما ايضا على صعيد العمل والممارسة المباشرة . فمرحلة ١٩٢٠ ــ ١٩٢٣ قد شهدت تجدد الاهتمام بالمسألة القومية اذ انطرحت على ثورة اوكتوبر من جهة اولى مسألة تكوين الاتحاد السوفياتي ، اي مسألة

تسوية العلاقات بين الامة الظالمة سابقا (الروس) وبين الامم التي اختارت ان تدخل في علاقات اتحادية مع الامـــة التي كانت تضطهدها ، كما انطرحت عليها من الجهة الثانية مسألة تنظيـم العلاقات مع الحركات القومية الثورية في الشرق والمستعمرات ؛ وهي الحركات التي بدت وكأنها منفـذ النجاة الوحيد للثـورة الاشتراكية الاولى من الحصار الرأسمالي وذلك بعد ان بات جليا للعيان ان الغرب البروليتاري قد «صمت» .

وما يميز نصوص هذه المرحلة هو ان طابعها العملي يغلب على طابعها النظري (برقيات ، رسائل ، خطب ، الخ) . بيد ان ذلك لا يقلل شيئا من أهميتها . بل على العكس من ذلك . فالمسألـة القومية لم تعد محض مسألة برنامجية ، بل أضحت مسألـــة ممارسة وتعامل مباشر من خلال الحاجة الماسة الى حل مسألة القوميات في الاتحاد السوفياتي وإلى تنظيم العلاقات مــع ثورة الشرق القومية التي وجدت في ثورة اوكتوبر على وجه التحديد حافزها الكبير .

ومما تجدر الاشارة اليه ههنا ان لينين قد استطاع ان يدرك بنفاذ عبقريته وشموليتها ان مسألة تكوين الاتحاد السوفياتـــي وحل مسألة القوميات فيه ترتبط ارتباطا لا انفصام فيه بمسألة تنظيم العلاقات مع الشعوب والقوميات التي كانت ما تزال تئن تحت نير الامبريالية . ذلك ان قدرة الاتحاد السوفياتي الفتـي على اجتذاب مئات الملايين من البشر الذين راحوا يستيقظون على حياة جديدة في آسيا والمستعمرات مشروطة قبل كل شـــيء بقدرته على اقامة علاقات ديموقراطية ، غير امبرياليـة ، بين روسيا المتروبولوتية سابقا وبين شعوب أطرافها. وبعبارة أخرى، ان طبيعة العلاقات التي ستقوم بين ثورة اوكتوبر وبين حركـة التحرر الوطني لشعوب الشرق ستقرر قبل كل شيء داخـــل الاتحاد السوفياتي نفسه من خلال العلاقات التـــي ستقوم بين

بروليتاريا المركز وبين فلاحي الاطراف . ومن هنا كان الشاغل الاخير للينين قبل ان يطبق أجفانه الى الأبد هو التنبيه الى ان الخطر الاول على الاتحاد السوفياتي وعلى علاقاته بالثورة العالمية هو خطر شوفينية الدولة الكبيرة التي يمكن ان تبرز في أوساط الشيوعيين الروس او المتروسين ، وإلى ان هذا الخطر أدهى بما لا يقاس من خطر ظهور نزعة قومية لدى شعوب الاطراف . وهذه حقيقة لم يدركها ستالين ، الجيورجي المتروس ، الذي وقف غداة وفاة لينين يقيم علاقة تساو بين شوفينية الامة الكبيرة لدى الروس الذين كانوا حتى الأمس القريب أمة ظالمة وبين النزعة القومية لدى شعوب الاطراف التي كانت حتى الأمس القريب ايضا من «الأقوام الغريبة» اي المظلومة .

***

تبقى كلمة اخيرة .

ان غزارة النصوص اللينينية حول المسألة القومية قد جعلتنا نؤثر ان نقدم هذه المختارات في اربعة مجلدات متمايزة :

١ ــ نصوص حول المسألة اليهودية .

٢ ــ نصوص حول المسألة القومية .

٣ ــ نصوص حول الوطن والوطنية .

٤ ــ نصوص حول حركة التحرر الوطني في الشرق والمستعمرات .

وغني عن البيان اننا لم ندرج في هذه المختارات كل ما كتبه لينين حول المسألة القومية . فقد أسقطنا عن عمد الكثير من النصوص التي سبق ان ترجمت ونشرت ، وذلك على وجه التحديد لانها ترجمت ونشرت (طبعات موسكو المتنوعة) . وبالمقابل فان الكثير من النصوص التي سبق ان ترجمت ترجمة جزئية

قمنا بتعريبها بتمامها . وقد حاولنا جهدنا ، حتى لا نكلف القارىء العربي عبئا ماليا اكبر مما ينبغي ، ان يكون ثلثا نصوص كل مجلد من مجلدات المختارات الاربعة مما لم تسبق ترجمته على الاطلاق حتى في طبعات موسكو . واملنا وطيد في ان يتم ذات يوم الاستغناء عن جميع هذه الانواع من المختارات لتحل محلها او الى جانبها طبعة عربية للمؤلفات الكاملة لفلاديمير إيليتش لينين .

جورج طرابيشي

حول بيان
« اتحاد الاشتراكيين ــ الديموقراطيين الارمن »

لقد ولدت منظمة اشتراكية ــ ديموقراطية جديدة في القفقاس : «اتحاد الاشتراكيين ــ الديموقراطيين الارمن» . ولقد بدأ هذا الاتحاد نشاطه العملي ، على حد علمنا ، منذ ستة اشهر او ما ينوف عليها بقليل ، وبات يمتلك صحيفة خاصة به باللغة الارمنية . ولقد تلقينا العدد الاول من هذه الصحيفة المسماة ب «البروليتاريا» والمصدرة باسم : «حزب عمال روسيا الاشتراكي ــ الديموقراطي» . وهو يضم سلسلة من مقالات وتعليقات صغيرة ورسائل تعرض الشروط الاجتماعية والسياسية التي أفضت الى انشاء «اتحاد الاشتراكيين ــ الديموقراطيين الارمن» ، والتي تشير الى الخطوط الكبرى لبرنامج نشاطه .

وفي الافتتاحية المعنونة باسم «بيان الاشتراكيين ــ الديموقراطيين الارمن» نقرأ : «ان اتحاد الاشتراكيين ــ الديموقراطيين الارمن ، بوصفه فرعا من حزب عمال روسيا الاشتراكي ــ الديموقراطي الذي مد تشعباته الى جميع أرجاء روسيا ، متضامن كل التضامن مع هذا الحزب في نشاطه ولسوف يناضل معه من اجل مصالح بروليتاريا البلاد قاطبة بوجه عام والبروليتاريا الارمنية بوجه خاص » . ثم يتطرق

المؤلفون ، بعد بيانهم التطور السريع للرأسمالية في القفقاس والنتائج الفظيعة في قوتها وتنوعها ، المصاحبة لذلك التطور ، الى مسألة الوضع الراهن للحركة العاملة في القفقاس . فهذه الحركة قد رسخت من الآن جذورها العميقة في المراكز الصناعية القفقاسية ، في باكو وتفليس وباطوم بمشاريعها الرأسمالية الكبيرة وطبقتها البروليتارية الصناعية العديدة . بيد ان نضال العمال القفقاسيين ضد أرباب العمل كان ما يزال حتى الآن . وهذا طبيعي بحكم مستواهم الثقافي الشديد الانخفاض، ذا طابع لاواع بهذا القدر او ذاك ، وعفوي بهذا القدر او ذاك . كانت هناك اذن ضرورة لقوة قادرة على توحيد قوى العمال المبعثرة وعلى إعطاء مطالبهم شكلا واضحا ومفهوما وعلى تطوير الوعي الطبقي فيهم . هذه القوة هي الاشتراكية . وبعد ان يعرض «الاتحاد» بإيجاز الأطروحات الاساسية للاشتراكية العلمية ، يشرح موقفه تجاه الاتجاهات الراهنة في الاشتراكية ـ الديموقراطية الأممية والاشتراكية ـ الديموقراطية الروسية بوجه خاص . يقول البيان : «ان المثل الاعلى الاشتراكي لا يمكن ان يتحقق في راينا لا بالضغط الاقتصادي المستقل ذاتيا للطبقة العاملة ولا بإصلاحات سياسية واجتماعية جزئية . فذلك غير ممكن الا بواسطة تحويل جذري للنظام القائم برمته ، اي بواسطة ثورة اجتماعية ينبغي ان تكون دكتاتورية البروليتاريا السياسية مقدمتها الضرورية» . ثم يعلن «الاتحاد» ، بعد ان أوضح ان النظام السياسي القائم في روسيا معاد لكل حركة اجتماعية وبوجه خاص للحركة العاملة ، ان المهمة الفورية التي يأخذها على عاتقه هي التربية السياسية للبروليتاريا الارمنية وربطها بنضال بروليتاريا روسيا بأسرها للاطاحة بالأوتوقراطية القيصرية. و«الاتحاد» اذ لا ينكر كل الانكار ضرورة نضال اقتصادي جزئي للعمال ضد أرباب العمل لا يجعل من هذا النضال غاية في ذاته . فهو يعترف بهذا النضال بقدر

ما هو قمين بتحسين وضع العمال المادي وبتنمية الوعي السياسي والتضامن الطبقي لديهم .

ويمثل موقف «الاتحاد» تجاه المسألة القومية اهمية خاصة بالنسبة الينا . يقول البيان : «انطلاقا من واقع ان قوميات عديدة ومتنوعة تدخل في تركيب الدولة الروسية ، وأن مستوياتها الثقافيةمتفاوتة،وإيمانا منا بأنالتطوير الواسعللادارةالذاتيةالمحلية هو وحده الذي يستطيع ان يضمن مصالح هذه العناصر المتباينة الأصول ، نرى انه ليس هناك بديل عن تأسيس جمهورية **اتحادية** (نحن الذين نسوّد) في روسيا الحرة المستقبلة . اما فيما يتعلق بالقفقاس ، وبالنظر الى التنوع الإثني الكبير في سكانه ، فاننا سنبذل قصارى جهودنا لتوحيد جميع العناصر الاشتراكية المحلية وجميع العمال المنتمين الى شتى القوميات . اننا سنعمل على انشاء تنظيم اشتراكي ـ ديمقراطي موحد وقوي للنضال بفعالية ضد الاوتوقراطية . واننا لنعترف ، في روسيا المستقبلة ، لجميع الامم بالحق في تقرير مصيرها بحرية لاننا لا نرى في الحرية القومية الا مظهرا من مظاهر الحريات المدنية بوجه عام . وانطلاقا من وجهة النظر هذه ، واخذا بعين الاعتبار، كما أشرنا آنفا ، التنوع الاثني للقفقاس وانعدام الحدود الجغرافية بين القوميات المختلفة ، لا نرى أن هناك امكانية لان يتضمن برنامجنا المطالبة بالاستقلال الذاتي السياسي للقوميات القفقاسية . وانما نطالب فقط بالاستقلال الذاتي فيما يتعلق بالحياة الثقافية ، أي بحرية اللغة والمدارس والتربية الخ.»

اننا نحيي من كل قلبنا بيان « اتحاد الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الارمن » ، ولاسيما محاولته الجديرة بالاعجاب لطرح المسألة القومية طرحا صحيحا . ولقد كنا نتمنى لو أن هذه المحاولة قد استكملت حتى نهايتها . فالمبدآن الاساسيان اللذان ينبغي على جميع الاشتراكيين ـ الديموقراطيين في روسيا

الاسترشاد بهما في المسألة القومية قد **أشار** اليهما « الاتحاد » بالصورة الصحيحة. فهناك اولا لا مطلب الاستقلال الذاتي القومي بل مطلب الحرية السياسية والمدنية والمساواة التامة في الحقوق، وثانيا مطلب حق تقرير المصير لكل قومية من القوميات التي تدخل في تركيب الدولة . ولكن « اتحاد الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الارمن » لم يطور بعد بصورة منطقية متماسكة كل التماسك هذين المبدئين . فهل نستطيع بالفعل أن نتكلم ، من **منظورهما** ، عن مطلب جمهورية **اتحادية** ؟ ان الاتحاد (١) **يفترض** كيانات قومية وسياسية مستقلة ذاتيا ، والحال أن « اتحاد الاشتراكين ـ الديموقراطيين الارمن » ينبذ مطلب الاستقلال الذاتي القومي . والحق أن على هذا « الاتحاد » ، حتى يكون منطقيا مع نفسه الى النهاية ، أن يحذف من برنامجه مطلب جمهورية **اتحادية** ، وأن يقتصر على المطالبة بجمهورية ديموقراطية بوجه عام . فليس من مهمة البروليتاريا **أن تدعو** الى الاتحادية والى الاستقلال الذاتي القومي ، وليس من مهمة البروليتاريا أن تقدم مثل هذه المطالب التي ترتد في التحليل الاخير وبالضرورة الى المطالبة بانشاء دولة **طبقية** مستقلة ذاتيا.ان مهمة البروليتاريا أن توحد **علىأوثق** نحو **أوسع جماهير** العمال من جميع القوميات، أن توحدهم بهدف النضال **على أوسع نطاق ممكن** من أجل الجمهورية الديموقراطية ومن أجل الاشتراكية . واذا كانت الحلبة السياسية المتاحة لنا في الساعة الراهنة قد تواجدت وما تزال تتواجد وتتسع بواسطة سلسلة من أعمال العنف المقرفة ، فان علينا لهذا السبب بالذات ، وحتى نناضل بفعالية ضد كل شكل من أشكال الاستغلال والاضطهاد، ان نحشد ، لا أن نشتت.

---

١ ـ الاتحاد « فيدراسيون » يقصد به ههنا الاتحاد الفيدرالي . ـالمعرب ـ

قوى الطبقة الاكثر عرضة للاضطهاد والاعظم قدرة على النضال ، اعني **الطبقة العاملة** . والمطالبة بالاعتراف بحق تقرير المصير لكل قومية تعني فقط أن علينا ، بوصفنا حزب البروليتاريـــا ، أن **نعارض** دوما وبلا تحفظ **كل محاولة** للتأثير من الخارج **بالعنف أو بالظلم** على حرية الشعب في التقرير . وفي الوقت الذي نـؤدي فيه على الدوام هذا الواجب السلبي (النضال والاحتجاج ضـد العنف) ، نولي اهتمامنا من جانبنا نحن لا لتقرير مصير الشعوب أو الامم ، وانما لتقرير مصير **البروليتاريا** في كل قومية . وعلى هذا فان البرنامج المشترك ، الاساسي ، الصالح في كل الظروف، للاشتراكيين ــ الديموقراطيين في روسيا يجب أن يقوم فقــط على أساس المطالبة بمساواة تامة في الحقوق بين المواطنين (بغض النظر عن الجنس واللغة والدين والعرق والقومية الخ.) وبحقهم في تقرير مصيرهم بحرية وديموقراطية .أما فيما يتعلق **بتأييــد** مطالب الاستقلال الذاتي **القومي** ، فان هذا التأييد ليس البتــة الزاما دائما ، الزاما من الزامات برنامج البروليتاريا . وهـــو لا يمكن أن يصبح بالنسبة الى البروليتاريا حتميا الا في حـــالات خاصة استثنائيـــة . و « اتحـــاد الاشتراكيين ــ الديموقراطيين الارمن» يقر هو نفسه بعد وجود ظروف استثنائية من هذا النوع بالنسبة الى الاشتراكية ــ الديموقراطية الارمنية .

وانا لنأمل بأن نعود مرة ثانية الى مسألة الاتحادية والقوميات. أما الآن فاننا سننهي مقالنا بتوجيه التحية مرة أخرى الى العضو الجديد في حزب عمال روسيا الاشتراكي ــ الديموقراطي ، الى « اتحاد الاشتراكيين ــ الديموقراطيين الارمن » .

«الايسكرا» ــ العدد ٣٣
١ شباط ١٩٠٣
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٦ ــ ص ٣٢٢ ــ ٣٢٦ .

المسألة القومية فى برنامجنا

لقد طرحنا ، في مشروع برنامج الحزب ، مطلب جمهورية متمتعة بدستور ديموقراطي يضمن فيما يضمن « الاعتراف بحق تقرير المصير لجميع الامم التي تتألف منها الدولة » . وقد بدا هذا المطلب من مطالب البرنامج غير واضح بما فيه الكفاية بالنسبة الى الكثيرين ، وقد شرحنا في العدد ٣٣ من « الاسكرا » وفي معرض الحديث عن « بيان » الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الارمن (١) ، دلالة تلك النقطة على النحو التالي : ان الاشتراكية ـ الديموقراطية ستناضل دوما ضد كل محاولة للتأثير من الخارج ، بالعنف أو بالظلم أيا كانت صفته ، على التعبير الحر عن الارادة القومية . ولكن الاعتراف غير المشروط بالنضال من أجل حرية تقرير المصير لا يلزمنا البتة بتأييد أي مطلب كان من مطالب تقرير المصير القومي . فالمهمة الايجابية والرئيسية التي تأخذها الاشتراكية ـ الديموقراطية على عاتقها ، بوصفها حزب البروليتاريا ، هي العمل على حرية تقرير المصير لبروليتاريا كل قومية لا للشعوب والامم . ان علينا دوما ودونما شروط أن نتطلع الى الوحدة **الاوثق** لبروليتاريا جميع القوميات، ونحن لا نستطيع

---

١ ـ انظر النص السابق . ـالمعربـ

ان نطرح ونؤيد بفعالية المطالب التي ترمي الى انشاء دولة طبقية جديدة أو الى استبدال وحدة الدولة السياسية الكاملة باتحاد فيدرالي أوهن ترابطا الخ الا في حالات خاصة واستثنائية .

ان هذا التفسير لبرنامجنا فيما يتعلق بالمسألة القومية قد أثار احتجاجا قويا من جانب الحزب الاشتراكي البولوني (ح.ا.ب) (١) . ففي مقال بعنوان « موقف الاشتراكية - الديموقراطية الروسية تجاه المسألة القومية»(«برزدسويت»)(٢) - آذار ١٩٠٣) ثارت ثائرة « ح.ا.ب » بسبب ذلك التفسير « المدهش » وبسبب الطابع « الغائم » لمفهومنا « الغامض » عن تقرير المصير ، ووصفنا بأننا مذهبيون متشنجون ، واتهمنا بأن لنا وجهات نظر « فوضوية » تزعم « أن العامل يجب ألا يهتم الا بالاطاحة بالرأسمالية اطاحة كاملة ، ما دامت اللغة والقومية والثقافة وما سواها لا تعدو ان تكون اكثر من اختراعات بورجوازية » الخ. ومن المفيد أن نتوقف بتفصيل كبير عند هذه المحاججة التي تتضمن كل أشكال سوء التفاهم الدارجة والذائعة لدى الاشتراكيين بصدد المسألة القومية .

ما الداعي لان يكون تفسيرنا « مدهشا » الى هذا الحد ؟ ولم يرون فيه ابتعادا عن المعنى « الحرفي » ؟ وهل يتطلب حقا الاعتراف **بحق** الامم في تقرير مصيرها **تأييد** اي مطلب من مطالب تقرير المصير ، أيا كانت الامة التي يصدر عنها ؟ ان الاعتراف **بحق** جميع المواطنين في تنظيم جمعيات حرة لا يلزمنا البتة ، نحن الاشتراكيين - الديموقراطيين ، **بتأييد** تشكيل كل جمعية جديدة

---

١ - حزب قومي النزعة تأسس عام ١٨٩٢ . «ن.س»

٢ - اي «الفجر» . «ن.س»

(ن.س : الناشر السوفياتي)

أيا كانت ، ولا يمنعنا البتة من ابداء رأينا ومن الدعاية ضد فكرة تشكيل هذه الجمعية الجديدة أو تلك ، اذا كانت هذه الفكرة غير مناسبة وغير معقولة . اننا نعترف حتى لليسوعيين **بالحق** ، في القيام بالدعاية بحرية ، ولكننا نناضل (ليس بوسائل بوليسية بالطبع) ضد كل وحدة بين اليسوعيين والبروليتاريين . ولهذا عندما تصرح « برزدسويت » : « اذا ما فهم مطلب حرية التقرير هذا حرفيا (وهذا هو المعنى الذي أعطيناه اياه حتى الآن)، فانه، في هذه الحال ، يرضينا » ، فمن الواضح تماما أن «ح.ا.ب» هو الذي يبتعد عن المعنى الحرفي للبرنامج . ولا منطقية استنتاجه لا مراء فيها من وجهة النظر الشكلية .

ولكننا لا نريد الاكتفاء باثبات الصحة الشكلية لتفسيرنا . ولنطرح بصراحة المسألة من اساسها : هل ينبغي على الاشتراكية ــ الديموقراطية دوما ، وبلا شروط ، أن تطالب بالاستقلال القومي ، أم ينبغي عليها الا تفعل ذلك الا في شروط محددة ، وفي أي شروط على وجه التحديد ؟ لقد أجاب « ح.ا.ب » دوما وبلا لبس بنعم على هذا السؤال، ولهذا لا يدهشنا البتة عطفه على الاشتراكيين ــ الثوريين الروس الذين يطالبون بنظام سياسي من نمط اتحادي ويناصرون بالتصريح «الاعتراف الكامل واللامشروط بحق تقرير المصير القومي » (مقال بعنوان « الاستعباد القومي والاشتراكية الثورية » في العدد ١٨ من « ريفوليوتسيونايا روسيا ») . (١) ومن سوء الحظ أن هذا الكلام ليس الا واحدة من تلك العبارات الديموقراطية البورجوازية التي تظهر للمرة

---

١ ــ اي : «روسيا الثورية» : صحيفة سرية ناطقة بلسان الاشتراكيين ــ الثوريين . «ن.س»

المائة او الالف الطبيعة الحقيقية لحزب الاشتراكيين ـ الثوريين المزعومين . و « ح.ا.ب » اذا يعض على طعم هذه العبارات وينساق وراء اغراء هذه الجعجعة ، يظهر بدوره مدى ضعف ارتباطه ، في وعيه النظري وفي نشاطه السياسي ، بنضال البروليتاريا الطبقي . وانما بمصالح هذا النضال على وجه التحديد ينبغي أن **نربط** مطلب التعبير الحر عن الارادة القومية . وانما في هذا الشرط على وجه التحديد يكمن الفارق بين طريقنا في طرح المسألة القومية وبين طريقة الديموقراطي البورجوازي . فهذا الاخير (وكذلك الاشتراكي الانتهازي المعاصر الذي يتعقب خطاه) يتصور أن الديموقراطية تستبعد الصراع الطبقي ، ولهذا يطرح جميع مطالبه السياسية في المجرد ، دفعة واحدة ، «دونما شروط» ، من وجهة نظر مصالح « الشعب بأسره » ، أو حتى من وجهة نظر مطلق أخلاقي أبدي . والاشتراكي ـ الديموقراطي يفضح بلا شفقة هذه الاوهام البورجوازية الصغيرة دوما وفي كل مكان ، أسواء عبرت عن نفسها في فلسفة مثالية مجردة أم في طريقة الطرح اللامشروط لمطلب الاستقلال القومي .

واذا كانت ما تزال هناك ضرورة للبرهان على أن الماركسي لا يستطيع الاعتراف بمطلب الاستقلال القومي الا بصفة شرطية ، وعلى وجه التحديد بالشرط المشار اليه أعلاه ، فاننا سنستشهد بكلمات مؤلف **كان يدافع** من وجهة نظر ماركسية عن مطالبة البروليتاريا البولونية ببولونيا مستقلة . ففي مقال بعنوان «نهاية بولونيا ؟ » كتب كارل كاوتسكي في عام ١٨٩٦ : « لا تستطيع البروليتاريا البولونية ، بمجرد ادراجها المسألة البولونية ضمن اهتماماتها ، الا تعلن عن تأييدها لاستقلال بولونيا ، ولا تستطيع بالتالي الا تحيي كل خطوة تخطى الى الامام في هذا الاتجاه ، وذلك بقدر ما تكون هذه الخطوة متفقة بشكل عام مع المصالح الطبقية للبروليتاريا الاممية المناضلة » .

ويتابع كاوتسكي قائلا : « ان هذا التحفظ يجب ابداؤه في الحالات جميعا . **فالاستقلال القومي ليس مرتبطا ارتباطا غير قابل للانفصام بالمصالح الطبقية للبروليتاريا المناضلة بحيث يتوجب السعي الى الحصول عليه بلا شروط ومهما تكن الظروف (١)** . ولقد كان ماركس وانجلز يؤيدان حازم التأييد وحدة ايطاليا وتحررها ، ولكن هذا لم يمنعهما في ١٨٥٩ من شجب تحالف ايطاليا مع نابليون » (نيوزايت ، السنة ١٤ ، العدد ٢ ، ص ٥٢٠) (٢) .

واضح اذن أن كاوتسكي يرفض رفضا قاطعا المطالبة **اللامشروطة** باستقلال الامم ، ويطالب بصورة جازمة بأن تطرح المسألة لا على صعيد تاريخي عام فحسب ، بل أيضا على صعيد طبقي . ولو امعنا النظر في الكيفية التي كان ماركس وانجلز يطرحان بها المسألة البولونية ، لرأينا أنهما طرحاها بالضبط على هذا النحو من البداية . وقد خصصت « الصحيفة الرينانية الجديدة » (٣) مكانا كبيرا للمسألة البولونية ، وطالبت بقوة لا باستقلال بولونيا فحسب ، بل أيضا بحرب تشنها المانيا ضد روسيا من أجل حرية بولونيا . بيد أن ماركس كان في الوقت نفسه ينحي باللائمة على روجه (٤) لان هذا الاخير ، في الوقت

---

١ ـ التسويد من لينين . ـ المعرب ـ

٢ ـ نيوزايت (الزمن الحديث) : المجلة النظرية للاشتراكية ـ الديموقراطية الالمانية ، أشرف كاوتسكي على اصدارها من عام ١٨٨٣ الى عام ١٩١٧ . «ن.س»

٣ ـ صحيفة كان ماركس يرأس تحريرها بين عامي ١٨٤٨ و١٨٤٩ . ـ المعرب ـ

٤ ـ أرنولد روجه (١٨٠٢ ـ ١٨٨٠) : من جماعة الهيغليين الشباب ثم من أنصار الليبيرالية البورجوازية . ـ المعرب ـ

الذي أيد فيه حرية بولونيا في برلمان فرانكفورت ، قد حل المسألة البولونية بمساعدة الجمل الديموقراطية البورجوازية وحدهـا منددا بذلك « الظلم المخزي » ، من دون أن يقوم بأي تحليل تاريخي . ولم يكن ماركس من عداد أدعياء الثورة والمتشدقين بها، من أولئك الذين يخشون اكثر ما يخشون « الجدال » في اللحظات التاريخية الثورية . وكان ماركس ينهال بلاذع السخرية على «انسانية» المواطن روجه ، مبينا له ، بالاستناد الى مثال اضطهاد شمالي فرنسا لجنوبيها ، أن الاضطهاد القومي لا يستدعي دوما ، من وجهة نظر الديموقراطية والبروليتاريا ، تطلعا مشروعا الى الاستقلال. وكان ماركس يستند الى الشروط الاجتماعية الخاصة التي أصبحت بولونيا بنتيجتها « جزءا ثوريا من روسيا والنمسا وبروسيا ... وحتى الطبقة النبيلة البولونية ، التي كانت ما تزال تقوم جزئيا على مقومات اقطاعية ، انضمت بنكران نموذجي للذات الى الثورة الديموقراطية الزراعية . لقد كانت بولونيا قد أمست موئلا للديموقراطية الاوروبية بينما كانت المانيا ما تزال تعيش على الايديولوجيا الدستورية الاكثر تسطيحا والاكثر فخامة في سيمائها الفلسفية ... وما دمنا (نحن الالمان) نساعد على اضطهاد بولونيا ، وما دمنا نحتفظ بجزء من بولونيا مغلول الى المانيا ، فاننا سنظل نحن انفسنا مغلولين الى روسيا والى السياسة الروسية ولن نستطيع ان نتحرر جذريا في بلادنا من الحكم المطلق الرعوي والاقطاعي . ان انشاء بولونيا ديموقراطية هو الشرط الاول لانشاء المانيا ديموقراطية » (1) .

واذا كنا استشهدنا بهذه التصريحات على هذا النحو المفصل،

---

١ – يستشهد لينين هنا بسلسلة من المقالات التي كتبها انجلز في صيف ١٨٤٨ عن المسألة البولونية في «الصحيفة الرينانية الجديدة» . «ن.س»

فهذا لانها تبين بوضوح الشروط التاريخية التي تحدد فيها موقف الاشتراكية ـ الديموقراطية الاممية من المسألة البولونية ، وهو الموقف الذي لبث ثابتا طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر برمته تقريبا . ومن لا يعر اهتماما للشروط التي تبدلت منذ ذلك الحين ، ومن يدافع عن حلول الماركسية التي تقادم عليها العهد ، فانه يكون وفيا لحرف المذهب لا لروحه ، ويكون قد ردد عن ظهر قلب الاستنتاجات القديمة ، من دون أن يستخدم منهج البحث الماركسي في تحليل وضع سياسي جديد . ان العصر السالف ، عصر آخر الحركات الثورية البورجوازية ، والعصر الراهن ، عصر الرجعية الشرسة والتوتر الشديد بين جميع القوى عشية الثورة البروليتارية ، ان هذين العصرين يختلف أحدهما عن الآخر جلي الاختلاف . **ففي السابق** كانت بولونيا بكاملها ، أي ليس الطبقة الفلاحية فحسب بل أيضا جمهرة طبقة النبلاء ، ثورية . وكانت تقاليد النضال من أجل التحرر القومي راسخة وعميقة للغاية آنذاك الى حد أن خيرة أبناء بولونيا ، بعد أن قهروا في بلدهم ، ذهبوا ليقدموا مساندتهم في كل مكان للطبقات الثورية . وذكرى دومبروفسكي ووروبلفسكي (١) مرتبطة ارتباطا لا انفصام فيه بأكبر الحركات الثورية في القرن التاسع عشر ، بالتمرد الاخير ـ نتمنى أن يكون التمرد الاخير التعيس ـ للعمال الباريسيين . ولقد كان الانتصار الكامل للديموقراطية في أوروبا **آنذاك** مستحيلا فعلا بدون نهوض بولونيا وابلالها . ولقد كانت بولونيا فعلا **آنذاك** حصن الحضارة ضد القيصرية ، **والفصيلة**

---

١ ـ وجهان بارزان من وجوه الحركة الثورية البولونية في عامي ١٨٦٣ ـ ١٨٦٤ . وقد هاجرا ، بعد سحق التمرد البولوني ، الى فرنسا ، وصارا من قادة عامية باريس في ١٨٧١ . «ن.س»

المتقدمة للديموقراطية . ولكن الطبقات الحاكمة في بولونيا اليوم، الطبقة النبيلة البولونية في ألمانيا والنمسا وكبار الصناعيين وكبار رجال المال في روسيا ، تسلك مسلك حليف الطبقات الحاكمة في البلدان التي تضطهد بولونيا ، بينما تناضل البروليتاريا الالمانية والبروليتاريا الروسية الى جانب البروليتاريا البولونية التي حملت ببطولة لواء التقاليد الكبيرة لبولونيا القديمة الثورية من أجل تحررها الذاتي . ان الممثلين المتقدمين للماركسية اليوم في القطر المجاور ، اذ يراقبون بانتباه تطور أوروبا السياسي ويتعاطفون كل التعاطف مع نضال البولونيين البطولي ، يعترفون بصراحة مع ذلك : « لقد أصبحت بطرسبورغ في الساعة الراهنة مركزا ثوريا أهم بكثير من وارسو ، والحركة الثورية الروسية لها تأثير أممي اكبر مما للحركة الثورية البولونية » . هذا هو الجواب الذي أعطاه كاوتسكي منذ عام ١٨٩٦ ، عندما دافع عن مشروعية تضمين برنامج الاشتراكيين — الديموقراطيين البولونيين مطلب اعادة توحيد بولونيا (١) . ولكن مهرينغ انتهى في عام ١٩٠٢ ، بعد دراسته تطور المسألة البولونية من عام ١٨٤٨ الى أيامنا هذه ، الى الاستنتاج التالي : « اذا كانت البروليتاريا البولونية راغبة في احياء دولة طبقية بولونية لا تريد حتى الطبقات السائدة ان تسمع عنها ، فانها لن تلعب في هذه الحال الا دور كرنفال تاريخي . ومثل هذا المقلب يمكن أن يقع للطبقات المالكة (كما وقع للطبقة النبيلة البولونية في عام ١٧٩١ على سبيل المثال) ، ولكن لا يجوز

---

١ — يشير لينين هنا الى موقف كاوتسكي اثناء مؤتمر الاممية الثانية في لندن عام ١٨٩٦ عندما عارض موقف روزا لوكسمبورغ والاشتراكيين — الديموقراطيين البولونيين الداعي الى عدم ادراج مطلب استقلال بولونيا في برنامج الاممية وفي برنامج الماركسيين البولونيين . —المعرب—

للطبقة العاملة أن تنحط الى هذا المستوى . واذا كانت هذه الطوبائية الرجعية قد بعثت الى الوجود من جديد بهدف حض فئات الانتلجانسيا والبورجوازية الصغيرة التي ما يزال التحريض القومي يلقى في أوساطها بعض الصدى على الانضواء تحت راية التحريض البروليتاري ، فان تلك الطوبائية تستأهل في هذه الحال الادانة مرتين ، بوصفها تظاهرة لتلك الانتهازية الشائنة التي تضحي بالمصالح العميقة للطبقة العاملة على مذبح نجاحات سهلة وعديمة الاهمية .

« ان هذه المصالح تقتضي قطعا أن يناضل العمال البولونيون، في الدول الثلاث التي تتقاسم بولونيا ، جنبا الى جنب مع رفاقهم الطبقيين بدون اي فكرة مسبقة . لقد دال الزمن الذي كان يمكن فيه للثورة البورجوازية أن تخلق بولونيا حرة . وبعث بولونيا غير ممكن فيالساعة الراهنة الا بواسطة الثورة الاجتماعية حين ستحطم البروليتاريا المعاصرة أغلالها » (١) .

اننا نمحض تأييدنا الكامل لاستنتاجات مهرينغ هذه . ونحن نلاحظ فقط أن هذا الاستنتاج يظل صحيحا صحة غير قابلة للجدال حتى ان كنا لا نتطرف تطرف مهرينغ في المحاججة . فمما لا مراء فيه أن الوضع الراهن للمسألة البولونية يختلف جذري الاختلاف عما كان عليه قبل خمسين عاما . بيد أن وضعها الراهن هذا لا يمكن اعتباره أبديا . ومما لا مراء فيه أن التناحر الطبقي قد رمى الى الوراء بعيدا بالمسائل القومية ، ولكننا لا نستطيع ان نؤكد قاطع التوكيد، من غير ان نجازف بالسقوط في الدوغمائية، انه من المستحيل أن تعاود هذه المسألة القومية أو تلك احتلالها

---

١ ـ من مقدمة مهرينغ للمجلد الثالث من طبعته في عام ١٩٠٢ لمؤلفات ماركس وانجلز بن ١٨٤١ و١٨٥٠ . «ن.س»

لمقدمة المسرح السياسي بصورة مؤقتة . ومما لا جدال فيه أن احياء بولونيا قبل سقوط الرأسمالية غير محتمل الى أبعد حدود اللااحتمال ، ولكننا لا نستطيع القول انه مستحيل مطلق الاستحالة ، وان البورجوازية البولونية لا يسعها أن تأخذ بناصر الاستقلال ، الخ ، في حال سنوح بعض الظروف . والاشتراكية ـ الديموقراطية الروسية لا تقيد يديها بنفسها . فهي تأخذ بعين الاعتبار **جميع** الظروف الممكنة ، بل حتى جميع الظروف **التي يمكن تصورها** ، عندما تسجل في برنامجها الاعتراف بحق الامم في تقرير مصيرها . وهذا البرنامج لا يتنافى البتة مع تبني البروليتاريا البولونية لشعار جمهورية بولونية حرة ومستقلة بالرغم من أن احتمال تحقيقه قبل انتصار الاشتراكية ضئيل كل الضآلة . ان هذا البرنامج يتطلب فقط الا يضلل الحزب الاشتراكي حقا الوعي البروليتاري ، والا يموه الصراع الطبقي ، والا يداهن الطبقة العاملة بجمل ديموقراطية بورجوازية ، والا يهدم وحدة النضال السياسي الراهن للبروليتاريا . وهذا الشرط ، الذي لا مجال بدونه بالنسبة الينا للاعتراف بتقرير المصير ، شرط أساسي . وعبثا يجهد « ح.ا.ب » ليصور الامور كما لو أن الخلاف بينه وبين الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الروس أو الالمان يكمن في نفي هؤلاء الاخيرين لحق تقرير المصير ولحق المطالبة بجمهورية حرة ومستقلة . ليس هذا هو الخلاف ، وانما هو تناسي وجهة النظر الطبقية ، وتعمية وجهة النظر هذه بالشوفينية ، وتدمير وحدة النضال السياسي الراهن . وهذا ما لا يسمح لنا بأن نعد«ح.ا.ب»حزبا عماليا اشتراكيا ـ ديموقراطيا حقا . اليكم ، على سبيل المثال ، كيف يطرح « ح.ا.ب » المسألة عادة : « ... اننا نستطيع فقط أن نضعف القيصرية بانتزاعنا منها بولونيا ، ولكن مهمة الاطاحة بها انما تقع على كاهل الرفاق

الروس » . او ايضا : « ... بعد الاطاحة بالاوتوقراطية سنحدد مصيرنا على نحو يكفل لنا الانفصال عن روسيا » . ارايتم اي نتائج فظيعة ينتهي اليها هذا المنطق الفظيع ، حتى من وجهة نظر برنامج يطالب باحياء بولونيا ؟ **فما دامت** احدى النتائج الممكنة للتطور الديموقراطي هي احياء بولونيا (وان كان احتمال تحقق ذلك في ظل سيطرة البورجوازية غير مضمون البتة) ، فان على البروليتاريا البولونية **بالتالي** الا تناضل بالاشتراك مع البروليتاريا الروسية للاطاحة بالقيصرية وانما « فقط » لاضعاف هذه الاخيرة بواسطة انفصال بولونيا. **وما دامت** القيصرية تعقد مع البورجوازية والحكومات الالمانية والنمسوية ، الخ ، تحالفات لا تني تتوثق اكثر فأكثر ، فان على البروليتاريا البولونية **بالتالي** أن تضعف تحالفها مع البروليتاريات الروسية والالمانية وغيرها التي تناضل معها الآن ضد نير **واحد** . وهذا لا يعني من شيء سوى التضحية بالمصالح الجوهرية للبروليتاريا على مذبح التصور الديموقراطي البورجوازي عن الاستقلال القومي . ان تجزئة روسيا ، التي يريد أن يصل اليها الحزب الاشتراكي البولوني ، **بخلاف** هدفنا الذي هو الاطاحة بالاوتوقراطية ، تظل وستظل جملة جوفاء ما دام التطور الاقتصادي ينزع الى توحيد مختلف أجزاء المنظومة السياسية والى توثيق عرى هذه الوحدة باستمرار ، وما دامت بورجوازية جميع البلدان تتوحد بمزيد من القوة باستمرار ضد عدوها المشترك ، البروليتاريا ، ولصالح حليفها المشترك ، القيصر . بيد ان **تجزئة قوى البروليتاريا** التي تئن الآن تحت نير تلك الاوتوقراطية هي بالمقابل حقيقة واقعة محزنة ونتيجة مباشرة لغلطة «ح.ا.ب» ، نتيجة مباشرة لافتتانه بالصيغ الديموقراطية البورجوازية . وحتى يكون في وسع الحزب الاشتراكي البولوني أن يغمض عينيه دون تجزئة البروليتاريا هذه ، فانه مكره على الانحطاط الى مستوى الشوفينية وعلى عرض وجهة نظر

الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الروس على سبيل المثال على النحو التالي : « ان علينا (نحن البولونيين) أن ننتظر الثورة الاجتماعية ، وان نتحمل بصبر حتى ميعادها النير القومي » . ان هذه ، بكل بساطة ، لاكذوبة . فالاشتراكيون ـ الديموقراطيون الروس لم يسدوا قط نصيحة من هذا القبيل . بل انهم يناضلون هم انفسهم ، على العكس ، ويدعون البروليتاريا الروسية قاطبة الى النضال ضد كل نير قومي في روسيا ، ويدرجون في برنامجهم لا المساواة الكاملة بين اللغات والقوميات الخ فحسب ، بل أيضا الاعتراف لكل أمة بالحق في تقرير مصيرها بنفسها . واذا كنا ، في الوقت الذي نعترف فيه بهذا الحق ، **نشرط** تأييدنا لمطالب الاستقلال القومي بمصالح نضال البروليتاريا ، فان الشوفيني هو وحده الذي يستطيع ان يفسر موقفنا بريبة الروسي تجاه الاجنبي ، لان هذا الموقف هو نتيجة محتومة ، في الواقع ، لريبة البروليتاريا الواعية تجاه البورجوازية . ان « ح.ا.ب » يرى الامور كما لو ان المسألة القومية يستوعبها التعارض التالي : « نحن » (البولونيون) و « هم » (الالمان والروس الخ) . أما الاشتراكيون ـ الديموقراطيون فانهم يضعون ، من جانبهم ، في المقام الاول التعارض التالي : « نحن » البروليتاريون و « هم » البورجوازية . لقد رأينا ، نحن البروليتاريين ، عشرات المرات كيف **تخون** البورجوازية مصالح الحرية والوطن واللغة والامة عندما تنتصب البروليتاريا الثورية في وجهها . لقد راينا كيف استسلمت البورجوازية الفرنسية للبروسيين في أسوأ لحظات انحطاط الامة الفرنسية واستعبادها ، وكيف تحولت حكومة الدفاع القومي الى حكومة خيانة قومية ، وكيف استدعت بورجوازية أمة مضطهدة لنجدتها جنود الامة المضطهدة لسحق ابناء وطنها البروليتاريين الذين تجاسروا على مد أيديهم الى السلطة . ولهذا سنقول دوما للعمال البولونيين من غير ان تبلبلنا

بصورة من الصور الهلوسات الشوفينية والانتهازية : ان الوحدة الكاملة والوثيقة مع البروليتاريا الروسية هي وحدها القادرة على تلبية متطلبات النضال القائم ، النضال الراهن ضد الاوتوقراطية، ومثل هذه الوحدة هي وحدها القادرة على تقديم ضمانة تحرر اقتصادي وسياسي كامل .

وما قلناه عن المسألة البولونية ينطبق تمام الانطباق على كل مسألة قومية أخرى . فلقد أورثنا تاريخ الاوتوقراطية الملعون **عزلة** شديدة بين الطبقات العاملة من شتى القوميات التي تضطهدها تلك الاوتوقراطية . وهذه العزلة هي أدهى وأعظم عقبة في النضال ضد الاوتوقراطية ، ولا يجوز لنا أن نضفي صفة شرعية على هذا الشر ، لا يجوز لنا أن نكرس هذه الفضيحة بأي « مبدأ » من النزعة الانعزالية الحزبية أو « الاتحادية » الحزبية . وبدهي أنه من الابسط والاسهل اتباع خط الحد الادنى من المقاومة وانتظام كل طرف في ركنه الخاص به طبقا للمبدأ القائل: « الباقي لا يعنيني » ، كما يريد أن يفعل في الوقت الراهن البوند (١) . وكلما ازددنا وعيا لضرورة الوحدة ، وكلما تعززت قناعتنا باستحالة شن هجوم عام على الاوتوقراطية بدون اكمل اشكال الوحدة، وكلما اشتد الاحساس بضرورة تنظيم مركزي في نضالنا ضد نظامنا السياسي ، تضاءل ميلنا الى الاكتفاء بحل للمسألة « بسيط » ولكن ظاهري ليس الا ، وكاذب كل الكذب في الواقع . واذا لم نكن واعين للضرر الناجم عن الانعزال . واذا

---

١ ـ البوند : «الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وبولونيا وروسيا»، تأسس عام ١٨٩٧ ، وانتسب في عام ١٨٩٨ الى ح.ع.ر.ا.د. ولكنه كان ينتهج سياسة قومية النزعة ، صهيونية ، ويطالب بتطبيق مبدأ الاتحادية القومية في تنظيم الحزب الروسي . ـالمعربـ

لم نكن نريد ان نضع حدا نهائيا وجذريا ومهما كلف الامر لهـــذا الانعزال في معسكر الحزب البروليتاري ، فلا حاجة البتة آنذاك لورقة تين « الاتحادية » ، ولا فائدة من الشروع بحل مسألــة لا يريد أحد « الاطراف » أن يحلها في حقيقة الامر ، ومن الافضل آنذاك أن تترك لدروس التجربة الحية والحركة الواقعية مهمـــة اقناع كل طرف بضرورة المركزية من أجل نجاح نضال بروليتاريي جميع القوميات المضطهدة من قبل الاوتوقراطية ضـــد هـــذه الاوتوقراطية وضد البورجوازية الاممية التي لا ينى اتحادهـــا يتوثــق .

«الايسكرا» ـ العدد ٤٤ .
١٣ تموز ١٩٠٣
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٦ ـ ص ٤٧٥ ـ ٤٨٥ .

حول الثورة القومية

(مقتطـف)

ان ثورة تنجزها الامة بأسرها هي وحدها القابلة لان تـــكون ثورة مظفرة ، بمعنى ما . وهذا لان اتحاد غالبية ساحقــة مـــن السكان ضروري كل الضرورة كيما تتغلب الثورة وتفرض مطالبها. وهذه الغالبية الساحقة يجب أن تتألف اما من طبقــة واحـــدة فحسب واما من طبقات مختلفة تنشد بعض الاهداف المشتركة . ومن المؤكد ، فيما يتعلق بالثورة الروســية المعاصرة ، أنهـــا لا تستطيع الانتصار الا بوصفها ثورة قومية **بمعنى** أن انتصارهـــا يتطلب المساهمة الواعية في النضال من قبل غالبيــة الســـكان الساحقــة .

ولكن المعنى المقبول بوجه عام لتعبير الثــورة « القوميـــة » الدارج يقتصر على ذلك . والحق أننا لا نستطيع أن نستخلص من هذا المفهوم اي استنتاج آخر فيما عدا تحصيل الحاصل المذكور آنفا (ان الغالبية الساحقة هي وحدها التي تستطيع الانتصار ازاء أقلية منظمة تمتلك السلطة) . ولهذا فان تطبيقها كصيغة عامة ، كمعيار تكتيكي ، كنموذج ، خاطىء كل الخطأ ومضاد للماركسية جوهريا . فمفهوم « الثورة القومية » يجب أن يبين للماركســي ضرورة التحليل الدقيق لجميع مصالح الطبقات **المختلفة** التـــي

تتحد من اجل بعض المهام المشتركة المحددة والمحدودة على حد سواء . ولا يمكن في حال من الاحوال أن يستخدم ذلك المفهوم لتلافي وتجاهل دراسة الصراع الطبقي ابان هذه الثورة أو تلك . ومثل هذا الاستخدام لمفهوم « الثورة القومية » هو بمثابة هجران كامل للماركسية وعودة الى الجملة المبتذلة للديموقراطيين او الاشتراكيين البورجوازيين الصغار .

«بروليتاري» ـ العدد ١٦ .
٢ ايار ١٩٠٧
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ١٢ ـ ص ٤٠٦ .

الكاديت والقوميون

عندما نوهنا بأن الـكاديت (١) هم في جوهرهم قوميـون ـ ليبيراليون ، وبأنهم يطرحون المسألة القومية طرحا **بعيدا كل البعد عن الديموقراطية** ، ردت علينا الـ « ريتش » (٢) بسخط وتعال متهمة ايانا بالجهل والتلفيق .

فاليكم هذه الوثيقة ، وهي واحدة من وثائق كثيرة أخرى . وللقراء والناخبين أن يحكموا .

في ١٨ تشرين الاول انعقد، في بيت السيد م. كوفاليفسكي، اجتماع ثان «للشخصيات المعنية بالمسألة السلافية» (٣) . واثناء هذا الاجتماع تلي نداء الى المجتمع ممهور بامضاء كل من ا. أنيتشكوف ، كاريف ، ل. بانتيلييف (المرشح السابق لحزب

---

١ ـ الكاديت : الاسم المختصر لحزب الديموقراطيين ـ الدستوريين ، وهو حزب البورجوازية الليبيرالية الروسية الذي تأسس عام ١٩٠٥ . وكان الكاديت يريدون تأسيس ملكية دستورية في روسيا . «ن.س»

٢ ـ «ريتش» (الكلمة) : الصحيفة اليومية المركزية لحزب الكاديت . «ن.س»

٣ ـ المقصود بالمسألة السلافية ههنا مسألة الحرب التي كانت قائمة آنذاك بين تركيا وبين شعوب اوروبا الشرقية السلافية التي كانت تناضل في سبيل تحررها الوطني . ـالمعربـ

الكاديت)، ج. فالبورك، وكما هو متوقع، السيد م. كوفاليفسكي وآخرين .

ومن الممكن تلخيص نداء الليبيراليين الى المجتمع بالعبارة التالية :

« ان القلب الروسي يتعاطف .... **بحمية عامة** مع السلافيين ، **ويأمل أن يساهم الوجدان القومي الروسي** في ضمان ثمار انتصاراتهم لهم » .

أين وجه الاختلاف في هذا عن النزعة القومية والشوفينية لـ « نوفويه فريميا » وأضرابها ؟ (١) ان الاختلاف الوحيد هو انهم يلبسون ههنا قفازات بيضا ويستخدمون عبارات اكثر دبلوماسية وحذرا . ولكن أسواء لبست الشوفينية قفازات بيضا أم عبرت عن نفسها بأسلوب متكلف فانها تظل شيئا بغيضا كريها .

ان الديموقراطيين لن يتكلموا ابدا عن « حمية عامة » **في** الوقت الذي يكون فيه حولهم (وفي القمة !) قوميون روس يضطهدون بمختلف الوسائل العديد من الشعوب !

ان الديموقراطيين لن يطيقوا أبدا أن يعارضوا التركي بالسلافي في الوقت **الذي** يتوجب فيه معارضة كبار **الملاك** العقاريين والانكشاريين السلافيين والاتراك **بجماع** الفلاحين السلافيين والفلاحين **الاتراك** .

وفي الوقت **الذي** يرزح فيه البولونيون واليهود وجميع « **الاقوام الغريبة** » **تحت** نير **الاضطهاد** والتعذيب ، لن يسمح الديموقراطيون ابدا باستبدال **وجدان** انصار الحرية وأعداء

---

١ ـ «نوفويه فريميا» (الزمان الجديد) : صحيفة يومية ملكية روسية ، صارت تنطق بعد عام ١٩٠٥ بلسان عصابة المئة السود . ـالمعرب ـ

الاضطهاد بين **جميع** القوميات بـ « الوجدان القومي الروسي » .

ما من ديموقراطي مستقيم ، ما من نصير مخلص للقوميات المضطهدة يجوز له أن يصوت للكاديت !

«البرافدا» ــ العدد ١٥١

٢٤ تشرين الاول ١٩١٢

« المؤلفات الكاملة »

المجلد ١٨ – ص ٢٧٨ – ٢٧٩

روسيا المعاصرة والحركة العاملة

... هذا ما كأنه فحوى تقرير الرفيق لينين (١) . وعندما سأله أحد المستمعين عن رايه في المسألة القومية ، أجاب المقرر بأن الاشتراكية ـ الديموقراطية الروسية تعترف كامل الاعتراف بحق كل امة في « حرية تقرير المصير » ؛ بحقها في تحديد مصيرها وحتى في الانفصال عن روسيا . ذلك أن الثورة الروسية وقضية الديموقراطية غير مرتبطتين البتة (كما كانت الحال في المانيا) بقضية التوحيد والمركزة . فالمسألة التي تتوقف عليها دقرطة روسيا ليست المسألة القومية ، وانما المسألة الزراعية .

وقد نوه الرفيق لينين في الوقت نفسه بضرورة الوحدة الكاملة للجيش الثوري لبروليتاريا مختلف القوميات في النضال من أجل الدقرطة الكاملة للبلاد . ولا يصبح حل المسألة القومية ممكنا الا انطلاقا من هنا ؛ كما هي الحال في أميركا وبلجيكا

---

١ ـ تحت عنوان «روسيا المعاصرة والحركة العاملة» قدم لينين في كراكوفيا ببولونيا تقريرا في ١٨ نيسان ١٩١٣ . ونص هذا التقرير مفقود ، ولكن الصحيفة المركزية للحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي البولوني في غاليسيا وسيليزيا ، «الى الامام» نشرت عنه خلاصة وافية . «ن.س»

وسويسرا . وقد فند المقرر أفكار رينر (١) حول المسألة القومية، وعارض بشدة شعار الاستقلال الذاتي القومي الثقافي . ويؤكد بعضهم في روسيا أن التطور القادم لروسيا سيتبع الطريق النمسوي ، طريق التعفن البطيء . ولكن علينا أن نتحفظ من كل صراع قومي داخل الاشتراكية ـ الديموقراطية ، فهو سيقضي بالاعدام على الهدف الكبير للكفاح الثوري، ومن الواجب من وجهة النظر هذه ان يكون الصراع القومي في النمسا (٢) بمثابة تحذير لنا . ومن الواجب أن تكون قدوتنا الاشتراكية ـ الديموقراطية القفقاسية التي مارست دعايتها باللغات الجيورجية والارمنية والترية والروسية في آن واحد .

نشر في ٢٢ نيسان ١٩١٣
في صحيفة «الى الامام»ـ العدد٩٢
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ١٩ ـ ص ٤٠ ـ ٤١ .

---

١ ـ كارل رينر (١٨٧٠ ـ ١٩٥٠) : من زعماء الجناح اليميني للحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي النمسوي ، وأحد منظري برنامج الاستقلال الذاتي القومي الثقافي . وقد اصبح فيما بعد رئيسا لجمهورية النمسا . ـالمعربـ

٢ ـ يشير لينين هنا الى الصراع القومي داخل الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي النمسوي الذي كان من نتائجه انقسام الحزب الى ست مجموعات قومية متمايزة . «ن.س»

الفيپكيون والنزعة القومية

انها لمجلة مملة الـ « روسكايا ميسل » (١) . وليس في هذه المطبوعة غير شيء واحد مثير للاهتمام . ففيها يكتب الليبراليون « الفيكيون » (٢) ، محررو وانصار كتاب الـــردة المشهـــور ، « الفيپكي » ، الذي سفح فيه أبطال الحريـــة القـــدامى دلاء القاذورات على **نضال الجماهـــير من أجل الحرية** ، وصـــوروا جماهير العمال والفلاحين الديموقراطية على أنها قطيع يسوقـــه « المثقفون » ، وذلك على غرار ما يفعله جميـــع المتطرفـــين في رجعيتهم .

ان ردة « المجتمع المثقف » الليبرالي الروسي ، الذي صار عدو الثورة والديموقراطية ، ليست بظاهرة عارضة : فقد كانت

---

١ ـ «الفكر الروسي» : مجلة سياسية وأدبية صدرت في موسكو بين ١٨٨٠ و١٩١٨ ، وكانت الناطقة بلسان الجناح اليميني من حزب الكاديت بعد ثورة ١٩٠٥ . «ن.س»

٢ ـ «الفيپكي» (الاوتاد) : مصنف نشره في عام ١٩٠٩ الصحافيون الكاديت، وحاولوا فيه تسفيه التقاليد الديموقراطية الثورية لحركة التحرر في روسيا، وشتموا حركة ١٩٠٥ الثورية وكالوا المديح للحكومة القيصرية لانها أنقـــذت البورجوازية من «غضبة الشعب» بواسطة «حرابها وسجونها» . ـن.س ـ

محتمة بعد ١٩٠٥ . فلقد استولى على البورجوازية الذعر ازاء مبادرة العمال المستقلة ويقظة الفلاحين . وفي محاولة للحفاظ على وضعها الطبقي المستغل حزمت البورجوازية ، ولاسيما الفنية ، امرها : الرجعية ولا الثورة .

ان المصالح الطبقية الانانية ، مصالح كيس الدراهم ، هي التي ولدت التيار **المناهض للثورة** العريض والعميق في اوساط الليبيرالية ، التيار المعادي للديموقراطية والمؤيد لكل نزعة امبريالية وقومية وشوفينية ، وكذلك لكل نزعة تجهيل .

ان العمال الواعين لن تدهشهم ردة الليبيراليين وخيانتهم هذه ، لأن رأيهم فيهم لم يكن قط رأيا حسنا . ولكن من المفيد ان نلاحظ ما يدعو اليه الجحدة الليبيراليون ، وأن نلاحظ **ما الافكار** التي يريدون ان يكافحوا بها الديموقراطية بوجه عام والاشتراكية ــ الديموقراطية بوجه خاص .

كتب السيد إزغوييف في «روسكايا ميسل» : «لقد كانت الاوساط المثقفة الروسية وما تزال الى اليوم مقتنعة في مجملها بأن المسألة الرئيسية في الحياة الاوروبية هي نضال البروليتاريا ضد البورجوازية من اجل الاشتراكية ...» .

ان السيد إزغوييف يصف هذه الفكرة بأنها «مسبقة ومغلوطة»، ويبين كيف تتكون وتنمو بين بولونيي المانيا ، في نضالهم ضد الالمان من اجل انتزاع الاعتراف بقوميتهم ، فئة اجتماعية وسطية جديدة ، «طبقة متوسطة ديموقراطية» .

ان إزغوييف عندما يتكلم عن «المثقفين» انما يعني في الواقع الاشتراكيين والديموقراطيين . وانه لما **يزعج** هذا الليبيرالي ان يعتبر نضال البروليتاريا ضد البورجوازية هو المسألة الرئيسية. والليبيراليون يعملون على تأجيج الصراع القومي وتضخيمه **لتحويل الانتباه** عن المسائل **الجدية** ، مسائل الديموقراطية والاشتراكية .

والواقع ان الاشتراكية تحتل بين «مسائل الحياة الاوروبية» المكانة الاولى ، والصراع القومي المكانة التاسعة . وعلاوة على ذلك فان الصراع الاخير هذا يكون أضعف وأوهن شأنا كلما كانت الديموقراطية مطبقة بصورة اكثر تماسكا .

انه لمن المضحك لا اكثر ولا أقل تشبيه نضال البروليتاريا من اجل الاشتراكية ، تلك الظاهرة العالمية ، بنضال أمة من الامم المضطهَدة في اوروبا الشرقية ضد البورجوازية الرجعية التي تضطهدها (وبالأصل ان البورجوازية **البولونية** تتحالف عن طواعية في كل فرصة مناسبة مع البورجوازية **الالمانية** ضد البروليتاريا).

« بروسفشتشينييه »
العدد ٤ ـ نيسان ١٩١٣
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ١٩ ـ ص ٦٥ ـ ٦٦ .

الطبقة العاملة والمسألة القومية

ان روسيا قطر خليط من الناحية القومية . والسياسة الحكومية ، التي هي سياسة كبار الملاك العقاريين المدعومين بالبورجوازية ، مصطبغة عن بكرة ابيها بنزعة قومية مئة-سودية.

وهذه السياسة تسدد راس رمحها ضد **غالبية**شعوب روسيا التي تشكل **غالبية** سكانها . وفي الوقت نفسه ترفع النزعة القومية البورجوازية للأمم الاخرى (البولونية واليهودية والاوكرانية والجيورجية الخ) راسها وتسعى ، بواسطة الصراع القومي او الصراع من اجل ثقافة قومية ، الى **صرف** الطبقة العاملة عن الاهتمام بأهدافها العالمية الكبرى .

ان المسألة القومية تتطلب ان يطرحها جميع العمال الواعين وان يحلوها على نحو واع .

فعندما كانت البورجوازية تناضل من اجل الحرية مع الشعب، مع الشغيلة ، كانت تتصدى للدفاع عن حرية الامم التامة وعن مساواتها الكاملة في الحقوق . وتضرب لنا أقطار طليعية كسويسرا وبلجيكا والنرويج الخ مثالا عن أمم حرة ، تحيا في ظل نظام ديموقراطي حقيقي ، تتعايش معا بتفاهم او تنفصل سلميا .

اما اليوم فان البورجوازية تخشى العمال ، فتسعى الى التحالف مع البوريشكيفتشيين والرجعية، وتخون الديموقراطية، وتدافع عن اضطهاد الامم او عن لا تساويها ، ولا تألو جهدا في

إفساد العمال بشعارات **قومية النزعة** .

ان البروليتاريا هي وحدها التي تدافع اليوم عن حرية الامم الحقيقية وعن وحدة عمال جميع الامم .

وحتى يتاح لأمم مختلفة ان تحيا او تنفصل (متى كان الانفصال انسب لها) لتشكل دولا متمايزة ، وهذا في ظل الحرية والسلام، فلا بد من الديموقراطية الكاملة التي لا تجد نصيرا لها في غير الطبقة العاملة . يجب الا يكون هناك اي امتياز لأي أمة ، ولأي لغة . ويجب الا يكون هناك اي تنغيص وأي جور تجاه الاقليات القومية . تلكم هي مبادىء الديموقراطية العمالية .

يريد الرأسماليون وكبار الملاك بأي ثمن ان يقسموا عمال مختلف الامم . بيد ان كبار هذا العالم يحيون ، من جهتهم ، في تفاهم تام ، مثلهم في ذلك مثل المساهمين في الشركات التي «تدر» الملايين (شأن مناجم الذهب على اللينا) (١) : فجميع من يملكون **رأسمالا** ، أسواء كانوا أورثوذكسيين أم يهودا ، روسا أم المانا ، بولونيين ام اوكرانيين ، يستغلون عمال الامم كافة على ادهى ما يكون الاستغلال .

ان العمال الواعين أنصار **للوحدة** الكاملة بين عمال جميع الامم داخل جميع المنظمات العمالية ، أسواء كانت تربوية ام نقابية ام سياسية الخ . ولنترك للسادة الكاديت عار إنكار او التقليل من مساواة الاوكرانيين في الحقوق . ولنترك لبورجوازية الامم كافة ألهية الجمل الكاذبة عن الثقافة القومية والمشكلات القومية الخ .

ان العمال لن يسمحوا بقسمهم بواسطة الخطابات المداهنة

---

١ ــ اللينا : اسم نهر في سيبيريا ، منه اشتق لينين اسمه المستعار . ــ المعرب ــ

المنافقة حول الثقافة القومية او «الاستقلال الذاتي الثقافي القومي» . ان عمال جميع الامم يتحدون للدفاع جنبا الى جنب ، داخل منظماتهم المشتركة ، عن الحرية التامة والمساواة الكاملة في الحقوق ، ضمانة الثقافة الحقيقية .

ان العمال يبدعون على صعيد العالم بأسره ثقافتهم الخاصة بهم ، ثقافة اممية مهد الطريق لها منذ أقدم الازمان أبطال الحرية وأعداء الاضطهاد . ويعارض العمال العالم القديم ، عالم الاضطهاد القومي والمشاحنات القومية والنزعة الخصوصية الانعزالية القومية ، بعالم جديد ، عالم وحدة شغيلة جميع الامم الذي لا يمكن ان يكون فيه من مكان لأي امتياز ولأي اضطهاد للانسان من قبل الانسان .

«البرافدا» ـ العدد ١٠٦ .
١٠ ايار ١٩١٣
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ١٩ ـ ص ٨٥ ـ ٨٧

مشروع وثيقة برناجية
للمؤتمر الرابع للاشتراكية ـ الديموقراطية
في إقليم ليتونيا
(المسألة القومية)

... ان هذه المسألة (١) ، أسواء بطريقة طرحها على صعيد المبادىء العام ومن وجهة نظر الاشتراكية ام من زاوية العلاقة التنظيمية العملية (بناء حزبنا الخاص) ، تتطلب بإلحاح ان تناقشها وتحللها جميع المنظمات الاشتراكية ـ الديموقراطية .

وباعتراف المنشفي المحايد بليخانوف نفسه ، **انتهك** مؤتمر

---

١ ـ كتب لينين هذا المشروع برسم البلاشفة الليتونيين الذين كان المناشفة قد ابعدوهم عن جميع المراكز القيادية في ليتونيا. وقد تبنى البلاشفةالليتونيون في حينه مشروع لينين باستثناء القسم المتعلق منه بالمسألة القومية ، وهو القسم الذي نترجمه هنا . ـالمعربـ

ـ المعرب ـ

المصفين في آب ١٩١٢(١) برنامج حزب عمال روسيا الاشتراكي ــ الديموقراطي بروح «تكييف الاشتراكية مع النزعة القومية» .

وبالفعل لقد ارتأى هذا المؤتمر ، بناء على اقتراح من البونديين ، ان شعار «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» شعار مقبول ، وذلك خلافا لقرار المؤتمر الثاني للحزب .

ان هذا الشعار (الذي أيدته في روسيا **جميع** الاحزاب **البورجوازية** ذات النزعة القومية اليهودية) مناقض **لأممية** الاشتراكية ــ الديموقراطية . اننا ، بوصفنا ديموقراطيين ، نناهض بلا حدود كل اضطهاد ، مهما يكن واهنا ، يلحق بأي قومية مهما تكن ، وكل امتياز يمنح لقومية او لأخرى . اننا لنعلن ، بوصفنا ديموقراطيين ، حق حرية تقرير المصير للأمم ، **بالمعنى السياسي** للكلمة (انظر برنامج ح.ع.ر.إ.د)، اي حرية الانفصال. اننا نطالب **بمساواة** مطلقة **في الحقوق** لجميع الامم داخل الدولة وبمحافظة مطلقة على حقوق كل أقلية قومية . اننا نطالب بسلطات ادارية واسعة وبالاستقلال الذاتي للمناطق التي ينبغي رسم حدودها طبقا للمعيار القومي على وجه التحديد .

ان جميع هذه المطالب ملزمة لكل ديموقراطي منطقي مع نفسه ، وكم بالاحرى للاشتراكي .

ولكن الاشتراكيين لا يقتصرون على المطالب الديموقراطية العامة . ان الاشتراكيين **يكافحون** جميع انواع تظاهرات النزعة **القومية البورجوازية** اسواء غلظت أم رقت . ومن هذه التظاهرات على وجه التحديد شعار «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» الذي

---

١ ــ هو المؤتمر الذي عقده البونديون و«التروتسكيون» والوسطيون من المناشفة باستثناء بليخانوف ردا على مؤتمر البلاشفة في براغ في كانون الثاني ١٩١٢ ، والذي تمخضت عنه الكتلة المعروفة باسم «كتلة آب» التصفوية .

يوحد بين بروليتاريا وبورجوازية الأمـــة **الواحدة** ، **ويقسم** بروليتاريا الأمم **المتباينة** .

لقد تقيد الاشتراكيون ـ الديموقراطيـــون دوما ويتقيدون بوجهة نظر **الأممية** . وعندما نريد ان نصون ضد الاقطاعيين وضد الدولة البوليسية المساواة في الحقوق بين جميع القوميات فاننا ندعو لا الى **«ثقافة قومية»** بل الى ثقافة **أممية** لا تسهم كل ثقافة قومية فيها الا بجزء منها ، ونعني به المحتوى الديموقراطـــي المتماسك والاشتراكي لكل واحدة من الثقافات القومية .

ان شعار «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» يخدع العمال بظاهر من وحدة ثقافية للأمم ، في حين ان الثقافة السائدة اليوم في كل أمة هي في الواقع «ثقافة» الاقطاعيين او البورجوازيين او البورجوازيين الصغار .

اننا ضد الثقافة القومية بوصفها شعار النزعة القوميـــة البورجوازية . **ونحن مع الثقافة الاممية للبروليتاريا الاشتراكية والديموقراطية حتى النهاية .**

وحدة عمال **جميع** القوميات ، المقترنة بأكمـــل مساواة بين القوميات وبالديموقراطية الاكثر تماسكا على صعيد الدولة : هذا هو شعارنا وهذا هو ايضا شعار كل الاشتراكية ـ الديموقراطية الثورية الأممية . وهذا الشعار البروليتاري الأصيل لا يفضـــي الى خدعة ووهم الوحدة «القومية» بين البروليتاريا والبورجوازية، في حين ان شعار «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» يخلـــق بالتأكيد تلك الخدعة ويزرع ذلك الوهم بين الشغيلة .

اننا ، نحن الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الليتونيين ، نحيا في اقليم شديد اختلاط السكان على الصعيد القومي . ونحـــن محاطون بممثلي النزعة القومية البورجوازية الليتونية والروسية والإستونية والالمانية الخ ، وحساسيتنا كبيرة تجاه الزيـــف البورجوازي المتمثل في شعار «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» .

وانا لنتمسك قبل اي شيء بشعار **وحدة جميع** المنظمات مهما تكن ، ووحدة عمال **جميع** القوميات ، وهو الشعار الذي جربته عمليا منظمتنا الاشتراكية ــ الديموقراطية .

وغالبا ما تبذل المحاولات لتبرير شعار «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» بالاستشهاد بالنمسا . وإزاء مثل هذه المقارنة لا بد ان يبقى عدد من النقاط ماثلا أما أذهاننا : أولا ، ان وجهة نظر اوتو باور ، المنظّر النمسوي الرئيسي للمسألة القومية (وجهة النظر التي عرضها في كتابه «المسألة القومية والاشتراكية ــ الديموقراطية») ، تجد حتى في شخص مؤلف متحرز مثل ك. كاوتسكي من يقر بأنها **تهويل** من شأن ما هو قومي **وتهوين مخيف** من شأن ما هو أممي (انظر ك. كاوتسكي : «القومية والاممية» ، وهناك ترجمة روسية لهذا المقال) . ثانيا ، ان البونديين وحدهم ، بالاضافة الى جميع الاحزاب البورجوازية اليهودية ، هم الذين دافعوا عندنا حتى الآن عن «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي»، في حين لا يقر **لا** باور **ولا** كاوتسكي بالاستقلال الذاتي القومي لليهود ، وفي حين يعلن كاوتسكي بصراحة (في المقال نفسه) ان يهود اوروبا الشرقية **(غاليسيا** (١) وروسيا) هم طائفة لا أمة . ثالثا ، ان برنامج برون (٢) القومي (١٨٩٩) للاشتراكيين ــ الديموقراطيين النمسويين **لا** يعترف هو نفسه

---

١ ــ غاليسيا : منطقة تقع بين بولونيا واوكرانيا كان تعداد اليهود فيها كبيرا نسبيا . ــالمعربــ

٢ ــ في عام ١٨٩٩ عقد الحزب الاشتراكي ــ الديموقراطي النمسوي مؤتمرا في مدينة برون أقر فيه مبدأ اللامركزية القومية (الاتحادية) في تنظيم الحزب . ــ المعرب ــ

بالاستقلال الذاتي القومي ما فوق الاقليمي (١) بتمامه ، ولا يذهب الى اكثر من حد المطالبة باعادة تجميع جميع المناطق القومية التابعة لقومية واحدة في إطار الدولة كلها (الفقرة ٣ من برنامج برون) . رابعا ، ان هذا البرنامج ، المبني على نحو ظاهر للعيان على تسوية (وغير المرضي من وجهة نظر الأممية) كان مصيره **الفشل التام** في النمسا بالذات لان التسوية لم تؤد الى المصالحة بل الى انشقاق الانفصاليين التشيكيين . خامسا ، ان هؤلاء الانفصاليين التشيكيين ، الذين أدانتهم الاممية بالاجماع في مؤتمر كوبنهاغن (٢) ، يعلنون عن تحبيذهم للنزعة الانفصالية البوندية (انظر «الاشتراكي ـ الديموقراطي التشيكوسلوفاكي» ، العدد ٣ ، الصحيفة الناطقة بلسان الانفصاليين التي يمكن الحصول عليها مجانا في براغ ، شارع هيبرنسكا ٧) . سادسا ، ان باور نفسه يطالب بالوحدة **على مستوى القاعدة** بين المنظمات السياسية الاشتراكية ـ الديموقراطية لقوميات مختلفة . وباور نفسه يحكم على «البنية القومية» للحزب النمسوي بأنها متناقضة وهشة ، وقد قادت هذا الحزب الآن الى انشقاق **كامل** .

وبكلمة واحدة ، ان المقارنة مع النمسا تنقلب **على** البونديين بدلا من ان تكون **في صالحهم** .

---

١ ـ سمي الاستقلال الذاتي القومي الثقافي بما فوق الاقليمي حتى يطبق على ابناء كل قومية على حدة أيا كانت مناطق سكناهم . والنمسا بموجب ذلك يجب ان تتألف لا من مناطق مستقلة ذاتيا ، وانما من قوميات مستقلة ذاتيا في شؤونها الثقافية . ـ المعرب ـ

٢ ـ مؤتمر الاممية الثانية في كوبنهاغن في عام ١٩١٠ ، وقد ادان بالاجماع نزعة الاشتراكيين ـ الديموقراطيين التشيكيين الى تكوين تنظيم نقابي قومي خاص بهم ومنفصل عن التنظيمات النقابية لسائر عمال الامبراطورية النمسوية. ـ المعرب ـ

الوحدة على مستوى القاعدة ، الوحدة التامة والانصهار على الصعيد المحلي بين العمال الاشتراكيين ـ الديموقراطيين من جميع القوميات وفي جميع المنظمات العمالية : ذلكم هو شعارنا. فليسقط اذن شعار «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» الذي يعبر عن الخداع البورجوازي والتسوية !

اما فيما يخص بنية حزبنا فاننا **ضد** الاتحاد ومع **الوحدة** بين المنظمات المحلية (لا المركزية فحسب) للاشتراكيين ـ الديموقراطيين من جميع الامم .

ان على المؤتمر ان ينبذ في آن واحد شعار الاستقلال الذاتي القومي الثقافي ومبدأ الاتحادية في بناء الحزب . وعلى الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الليتونيين ، شأن الاشتراكيين ـ الديموقراطيين البولونيين والاشتراكيين ـ الديموقراطيين في القفقاس طوال مرحلة ١٨٩٨ ـ ١٩١٢ كلها (طوال الاربعةعشر عاما من تاريخ الحزب) ان يظلوا أوفاء للأممية الاشتراكية ـ الديموقراطية .

كتب قبل ٢٥ ايار (٧ حزيران)١٩١٣
نشر باللغة الليتونية في صحيفة
«سيناس بيبدرس» في آب ١٩١٣ .
« **المؤلفات الكاملة** »
المجلد ١٩ ـ ص ١١٣ ـ ١١٦ .

أطروحات حول المسألة القومية(١)

١ ــ ان فقرة برنامجنا (عن حرية تقرير مصير الامم) لا يمكن ان يوجد لها اي تفسير غير حرية تقرير المصير **السياسي** ، اي الحق في الانفصال لتشكيل دولة مستقلة .

٢ ــ ان هذا البند من البرنامج الاشتراكي ــ الديموقراطي ضروري مطلق الضرورة للاشتراكيين ــ الديموقراطيين في روسيا .

أ ــ باسم المبادىء الاساسية للديموقراطية بوجه عام .

ب ــ بسبب وجود عدد معين من الامم المتميزة بشروط اقتصادية وبأنماط حياتية الخ عظيمة الاختلاف في اراضي روسيا **(ولاسيما في أطرافها)** . ثم ان هذه الامم (جميع أمم روسيا باستثناء الروس ــ الكبار) تئن تحت نير اضطهاد الملكية القيصرية الى حد لا يصدق .

ج ــ اخيرا لأن التحول الديموقراطي البورجوازي للدول في جميع أرجاء اوروبا الشرقية (النمسا والبلقان) وفي آسيا ، اي في البلدان المتاخمة لروسيا ، اما انه لم يكتمل وإما انه قد بدأ

---

١ ــ كتب لينين هذه الاطروحات بمناسبة سلسلة المحاضرات التي القاها في تموز ١٩١٣ في عدد من المدن السويسرية . «ن.س»

بالكاد . والحال ان هذا التحول قد أدى في كل مكان من العالم، وعلى نطاق كبير بهذا القدر او ذاك ، الى انشاء دول قومية مستقلة ، او دول تتألف من قوميات متقاربة متصاهرة فيما بينها الى أقصى حد .

د ــ ان روسيا اليوم هي القطر الذي يسوده النظام السياسي الاكثر تأخرا والاكثر رجعية ، بالمقارنة مع النظام السياسي في جميع الاقطار التي تحيط به ، بدءاً من النمسا في الغرب حيث توطدت دعائم الحرية السياسية والنظام الدستوري منذ عام١٨٦٧ وحيث بات حق الانتخاب العام ساري المفعول الآن ، الى الصين الجمهورية في الشرق . ولهذا يتوجب على الاشتراكيين ــ الديموقراطيين في روسيا ان يلحوا ، في كل دعاياتهم ، على حق كل قومية في تشكيل دولة منفصلة او في الاختيار الحر للدولة التي تريد ان تحيا بين ظهرانيها .

٣ ــ لما كانت الاشتراكية ــ الديموقراطية تعترف بحق جميع القوميات في حرية تقرير المصير ، فان على الاشتراكيين ــ الديموقراطيين ان :

أ ــ يظهروا عداء لا حد له تجاه كل استخدام للعنف ، تحت اي شكل كان ، من قبل أمة سائدة (او لها الغالبية بين السكان) ضد أمة ترغب في الانفصال لتشكل دولة متمايزة .

ب ــ ان يطالبوا بتسوية مسألة الانفصال هذه على اساس اقتراع سكان الاقليم اقتراعا عاما ، مباشرا ، متساويا وسريا ، وعلى هذا الاساس وحده .

ج ــ ان يشنوا نضالا لا هوادة فيه أسواء ضد الاحزاب المئة السود والاوكتوبرية ام ضد الاحزاب البورجوازية الليبيرالية («التقدميين» والكاديت (١) الخ) في كل مرة تدافع فيها هذه

---

١ ــ المئة السود حزب ملكي ورجعي لكبار الملاكين العقاريين . =

الاحزاب او تقبل بالاضطهاد القومي بصورة عامة ، او تنكر حق الامم في حرية تقرير مصيرها بصورة خاصة .

٤ ـ ان اعتراف الاشتراكية ـ الديموقراطية بحق جميع القوميات في حرية تقرير المصير لا يعني البتة انها تستنكف عن اصدار حكمها الخاص بصدد مناسبة انفصال هذه الامة او تلك ، في كل حالة خاصة ، لتشكل دولة متمايزة . بل ينبغي على الاشتراكيين ـ الديموقراطيين على العكس ان يصدروا حكما خاصا بهمآخذين بعين الاعتبار شروط تطور الراسمالية واضطهاد بروليتاريي شتى الامم من قبل بورجوازية جميع الامم مجتمعة ، وكذلك الاهداف المجملة للديموقراطية ، وفي المقام الاول ، مصالح نضال البروليتاريا الطبقي من اجل الاشتراكية .

ومن وجهة النظر هذه هناك واقعة تستأهل ان نوليها اهتماما خاصا . ففي روسيا أمتان اتاحت لهما سلسلة من الشروط ، بالاضافة الى التاريخ ونوع الحياة ، ان تكونا اكثر تحضرا وتفردا من الامم الاخرى . وهما قادرتان بالتالي على ان تضعا موضع تطبيق ، بأيسر الطرق واكثرها «طبيعية» ، حقهما في الانفصال . انهما فنلندا وبولونيا . وقد اظهرت تجربة ثورة ١٩٠٥ ان الطبقات السائدة من كبار الملاك والبورجوازيين تنكر ، حتى في هاتين

= والاوكتوبريون اعضاء حزب «اتحاد ١٧ اوكتوبر» الذي تأسس بعد صدور البيان الامبراطوري في ١٧ اوكتوبر ١٩٠٥ . وهو حزب رجعي مؤيد للقيصرية ويضم البورجوازيين الكبار والملاك العقاريين . التقدميون حزب بورجوازي ليبيرالي ملكي بدأ ائتلافا لاحزبيا ، ثم انتهى الى تشكيل حزب سياسي مستقل في تشرين الثاني ١٩١٢ .

الكاديت حزب الدستويين الديموقراطيين ، تأسس في عام ١٩٠٥ ليكون الزعيم السياسي للبورجوازية الليبيرالية الملكية . ـالمعربـ

الأمتين ، النضال الثوري من اجل الحرية وتسعى الى التقرب من الطبقات السائدة في روسيا ومن الملكية القيصرية **خوفا** من البروليتاريا الثورية في فنلندا وبولونيا .

ولهذا ينبغي على الاشتراكية ـ الديموقراطية ان تحذر بأكبر طاقتها البروليتاريا والطبقات الكادحة من جميع القوميات من الشعارات القومية النزعة التي تخدعها بها بورجوازيتها : فهذه الاخيرة تبذل قصارى جهدها ، بخطاباتها الرقيقة او الصاخبة عن «الوطن» ، لكي **تقسم** البروليتاريا **وتصرف انتباهها** عن تصرفاتها هي ، اعني البورجوازية ، وعن التحالف السياسي والاقتصادي الذي يربطها ببورجوازية الامم الاخرى وبالملكية القيصرية .

ان البروليتاريا لا تستطيع لا ان تشن النضال من اجل الاشتراكية ، ولا ان تدافع عن مصالحها الاقتصادية اليومية ، بدون أوثق وحدة وأكمل وحدة بين عمال جميع الامم في قلب جميع المنظمات العمالية بلا استثناء .

ان البروليتاريا لا تستطيع ان تنتزع الحرية الا اذا شنت النضال الثوري من اجل الاطاحة بالملكية القيصرية واستبدالها بجمهورية ديموقراطية . ان الملكية القيصرية **تتنافى** وحرية القوميات ومساواتها في الحقوق . ثم انها الحصن الرئيسي للهمجية والوحشية والرجعية ، في آسيا كما في اوروبا . والقوة الوحيدة القادرة على الاطاحة بهذه الملكية هي البروليتاريا الموحدة لجميع أمم روسيا ، التي تجر معها من بين الجماهير الكادحة من جميع الامم العناصر الديموقراطية المتماسكة والقادرة على النضال الثوري .

ولهذا فان العامل الذي يضع الوحدة السياسية مع بورجوازية أمته فوق الوحدة الكاملة مع بروليتاريي جميع الامم انما يسلك مسلكا مناقضا لمصلحته الخاصة ولمصلحة الاشتراكية ولمصلحة الديموقراطية .

٥ ـ ان الاشتراكية ـ الديموقراطية التي تناضل من اجل نظام دولة ديموقراطي متماسك تطالب بمساواة مطلقة في الحقوق بين القوميات وتكافح جميع الامتيازات ، ايا كانت ، الممنوحة لقومية او لعدة قوميات .

وترفض الاشتراكية ـ الديموقراطية بوجه خاص اللغة «الرسمية» . فهذه اللغة لا حاجة لها في روسيا بصورة خاصة ، لان سبعة اعشار سكانها ينتمون الى اسرة الشعوب السلافية التي ستتوصل بلا صعوبة ، وبداعي مقتضيات التداول الاقتصادي ، الى ان تتفاهم من غير ان يكون هناك اي امتياز «رسمي» لأي لغة من اللغات ، وهذا فيما لو وجد تعليم حر في دولة حرة .

وتطالب الاشتراكية ـ الديموقراطية بأن تحل محل تقسيمات روسيا الادارية القديمة التي أوجدها كبار الملاكين الاقطاعيين وموظفو الدولة الاوتوقراطية والاقطاعية تقسيمات مبنية على اساس متطلبات الحياة الاقتصادية المعاصرة ومرسومة بالتوافق، بقدر الامكان ، مع التعداد القومي للسكان .

ان جميع مناطق الدولة التي تتميز بخصائص خاصة في نمط الحياة او بالتعداد القومي لسكانها يجب ان تتمتع بسلطات ادارية خاصة واسعة وبالاستقلال الذاتي ، وكذلك بمؤسسات قائمة على اساس الاقتراع العام ، المتساوي والسري .

٦ ـ تطالب الاشتراكية ـ الديموقراطية باصدار قانون عام لمجمل الدولة يصون حقوق كل أقلية قومية في اي مكان من الدولة كان . وبموجب هذا القانون يجب ان يعتبر لاغيا وباطلا كل اجراء قد تحاول به الغالبية القومية ان تخلق امتيازا قوميا لصالحها او تقلص حقوق الاقلية القومية (في ميدان التعليم ، واستخدام هذه اللغة او تلك ، والميزانية ، الخ) ، ويجب ان يحظر تطبيق ذلك الاجراء تحت طائلة العقوبة .

٧ ـ تستنكر الاشتراكية ـ الديموقراطية شعار «الاستقلال

الذاتي القومي الثقافي» (او «القومي» فحسب) وكذلك المشاريع الرامية الى تحقيقه . وبالفعل ، ان هذا الشعار (١) مناف على نحو مطلق لأممية نضال البروليتاريا الطبقي – (٢) يساعد على جر البروليتاريا والجماهير الكادحة الى دائرة نفوذ أفكار النزعة القومية البورجوازية – (٣) يمكن ان يصرف الاهتمام عن مهمة التحويل الديموقراطي المتماسك للدولة بأسرها ، وهو التحويل الذي يستطيع هو وحده ان يضمن السلم القومي (بقدر ما ان ذلك ممكن بوجه عام في ظل النظام الراسمالي) .

وبالنظر الى الحدة الخاصة التي حظيت بها مسألة الاستقلال الذاتي القومي الثقافي في أوساط الاشتراكيين–الديموقراطيين ، فهذه بعض توضيحات حول هذه الأطروحة .

أ – انه لمن غير المقبول ، من وجهة نظر الاشتراكية الديموقراطية ، اطلاق شعار الثقافة **القومية** ، أسواء بصورة مباشرة ام غير مباشرة . ان هذا الشعار مغلوط ، لان كل الوجود الاقتصادي والسياسي والثقافي للانسانية يصبح أمميا اكثر فاكثر ، حتى في ظل النظام الرأسمالي . ولسوف تجعله الاشتراكية أمميا بصورة كاملة . والثقافة الامية التي تخلقها بروليتاريا البلدان كافة منذ اليوم بصورة منتظمة لا تأخذ بمجمل هذه «الثقافة القومية» او تلك (من اي مجتمع قومي ايا كان) ، ولكنها تأخذ **فقط** من كل ثقافة قومية عناصرها الديموقراطية والاشتراكية المتماسكة .

ب – لا يوجد في برامج الاشتراكية الديموقراطية بلا أدنى شك سوى مثال وحيد عن بند متقارب ، على نحو خجل بكل تأكيد ، من شعار الثقافة القومية : أقصد الفقرة الثالثة من برنامج برون للاشتراكيين – الديموقراطيين النمسويين ، التي تقول : «ان جميع المناطق التابعة لأمة واحدة والمتمتعة بسلطات ادارية خاصة تؤلف كيانا قوميا يسوي شؤونه القومية باستقلال

ذاتي كامل» .

انه شعار تسوية ، لانه لا ينطوي كما نرى على ظل من استقلال ذاتي قومي ما فوق اقليمي (شخصي). ولكن هذا الشعار خاطىء وضار هو الآخر ، لانه ليس من مهمة الاشتراكيين ـ الديموقراطيين في روسيا بشكل من الاشكال تجميع ألمان لودز وريغا وبطرسبورغ وساراتوف في أمة واحدة . ان مهمتنا هي النضال من اجل الديموقراطية الكاملة والغاء **جميع** الامتيازات القومية ، حتى يتوحد عمال روسيا الالمان مع عمال سائر الامم الاخرى لصيانة وتطوير الثقافة الاممية للاشتراكية .

وخاطىء كل الخطأ بالتالي شعار الاستقلال الذاتي القومي ما فوق الاقليمي (الشخصي) الذي ينص (طبقا لخطة الانصار المنطقيين لهذا الشعار) على تأسيس برلمانات قومية ووزراء دولة قوميين (أ. باور و ك. رينر) . فأمثال هذه المؤسسات ، المناقضة لكل الشروط الاقتصادية للبلدان الرأسمالية ، والتي لم تجرب في اي دولة ديموقراطية في العالم ، ما هي الا وهم انتهازي يتوهمه أولئك الذين فقدوا كل أمل في قيام مؤسسات ديموقراطية متماسكة والذين يبحثون عن مخرج للمشاحنات القومية البورجوازية في نزعة خصوصية انعزالية مصطنعة تجمع بين البروليتاريا والبورجوازية في كل أمة حول بعض المسائل («الثقافية») .

ان الظروف ترغم أحيانا الاشتراكيين ـ الديموقراطيين على الامتثال مؤقتا لهذا الحل او ذاك من حلول التسوية . ولكن الحلول التي علينا ان نقتبسها عن البلدان الاخرى ليست حلول تسوية ، وانما حلول اشتراكية ـ ديموقراطية متماسكة . اما اقتباس محاولة التسوية النمسوية غير المثمرة فانه عين البلاهة، اليوم اكثر من اي وقت مضى ، لان تلك المحاولة قد انتهت في النمسا بالذات الى اخفاق ذريع كامل ما دامت قد ادت الى

انفصاليـــة الاشتراكيين ـ الديموقراطيين التشيكيين والـــى انشقاقهم .

ج ـ ان تاريخ شعار «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» في روسيا يشير الى ان **جميع** الاحزاب البورجوازية اليهودية بـــلا استثناء ، والاحزاب اليهودية **وحدها** ، هي التي تبنته . وقـــد اقتفى البوند أثرها بدون اي نقد ، وان يكن قد رفض في الوقت نفسه ودونما ظل من منطق فكرة برلمان (دييت) قومي ـ يهودي ووزراء قوميين يهود . والحال انه حتى أولئـك الاشتراكيون ـ الديموقراطيون الاوروبيون الذين يقبلـــون او يرفعون شعـــار «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» الهجين يقرون بأنه غير قابل بصورة من الصور للتطبيق على اليهود (أ. باور و ك. كاوتسكي): «ان يهود غاليسيا وروسيا طائفة اكثر منهم أمـــة ، والمحاولات المبذولة لتحويل الجماعة اليهودية الى امة هي محاولات تأبيـــد لطائفة» (ك. كاوتسكي) .

د ـ نلاحظ ان السلم القومي في البلدان المتمدينة لا يتحقق على نحو كامل بما فيه الكفاية (نسبيا) في ظل النظام الرأسمالي **الا** عندما يطبق **الحد الاقصى** من الروح الديموقراطية في تنظيم الدولة وإدارتها بأسرهما (سويسرا) . والشعارات ذات الـــروح الديموقراطية المتماسكة (الجمهورية ، الميليشيا ، انتخاب الموظفين من قبل الشعب، الخ) توحد بين البروليتاريا والجماهير الكادحة، وبصفة عامة ، بين جميع العناصر المتقدمة من كل أمة باســـم النضال من اجل شروط تحظر كل امتياز قومي مهما يكن واهنا، في حين ان شعار «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» يدعو الى انعزال الامم في الميدان المدرسي (او «الثقافي» بوجه عام) ، ذلك الانعزال الموائم كل المواءمة للابقاء على أسس مختلف انـــواع الامتيازات (بما فيها الامتيازات القومية) .

ان الشعارات ذات الروح الديموقراطية المتماسكة تحقـــق

اندماج البروليتاريا والديموقراطية المتقدمة في كل الامم (فهذه الفئات لا تحتاج الى ان تتفرد العناصر الديموقراطية من الامم ، وانما تحتاج الى ان تتحد هذه العناصر في جميع الميادين ، بما فيها الميدان القومي) ، في حين ان شعار الاستقلال الذاتي القومي الثقافي يزرع **الانقسام** في صفوف بروليتاريا شتى الامم اذ يربطها بالعناصر الرجعية والبورجوازية من كل أمة .

ان الشعارات ذات الروح الديموقراطية المتماسكة تصطدم بمعارضة شرسة من جانب الرجعيين والبورجوازية المناهضة للثورة من كل الامم ، في حين ان شعار الاستقلال الذاتي القومي الثقافي مقبول تماما في نظر الرجعيين والبورجوازيين المناهضين للثورة من بعض الامم .

٨ ـ هكذا فان جملة الشروط الاقتصادية والسياسية في روسيا تتطلب من الاشتراكية ـ الديموقراطية ان تمارس على نحو غير مشروط **اندماج** عمال جميع القوميات في قلب جميع المنظمات البروليتارية بلا استثناء (السياسية والنقابية والتعاونية والتربوية الخ ، الخ) . لا اتحاد في بنية الحزب ، لا تكوين لمجموعات اشتراكية ـ ديموقراطية قومية ، بل وحدة بروليتاريي جميع الامم في كل محلة محددة ، ودعاية وتحريض بكل لغات البروليتاريا المحلية ، ونضال مشترك لعمال جميع الامم ضد جميع الامتيازات القومية ايا كانت ، واستقلال ذاتي لمنظمات الحزب المحلية والمنطقية .

٩ ـ ان تجربة تاريخ ح.ع.ر.ا.د التي تزيد على عشرة أعوام تؤكد الاطروحات المذكورة آنفا . فقد ولد الحزب في عام ١٨٩٨ بوصفه حزب «روسيا» ، اي حزب بروليتاريا جميع قوميات روسيا . وقد ظل حزب «روسيا» عندما انفصل عنه البوند في عام ١٩٠٣ ، بعد ان رد مؤتمر الحزب ادعاء البوند بالاعتراف به ممثلا **أوحد** للبروليتاريا اليهودية . وفي عامي ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧

اظهرت الحياة بما لا يدع مجالا للشك افتقار ذلك الادعاء الى اساس : فقد استمر البروليتاريون اليهود بالمساهمة بأعداد كبيرة وبروح وحدوية في النشاط الاشتراكي ـ الديموقراطي المشترك في مجموعة من المنظمات المحلية ، ورجع البوند الى الحزب . وأعاد ايضا مؤتمر ستوكهولم (١٩٠٦) توحيد الاشتراكيين ـ الديموقراطيين البولونيين والليتونيين الذين اخذوا بمبدأ الاستقلال الذاتي الاقليمي . وبالأصل، ان المؤتمر لم يقبل بمبدأ الاتحاد ، وطالب بالوحدة على الصعيد المحلي بين الاشتراكيين ـ الديموقراطيين من جميع القوميات . وقد وضع هذا المبدأ موضع تطبيق طوال سنوات عديدة في القفقاس ، ووضع موضع تطبيق في وارسو (العمال البولونيون والجنود الروس) ، وفي فيلنو (العمال البولونيون والليتونيون واليهود والليتوانيون) ، وفي ريغا . وقد طبق في هذه المراكز الثلاثة الاخيرة ضد البوند ، الانفصالي ، المنشق . وفي كانون الاول ١٩٠٨ اتخذ ح.ع.ر.ا.د في مشار (١) له قرارا خاصا اكد مطلب **الوحدة** بين عمال جميع القوميات **طبقا لمبدأ آخر** غير مبدأ الاتحاد . وقد أدى امتناع الانفصاليين البونديين عن تطبيق قرار الحزب الى انهيار كل ذلك «الاتحاد من أسوأ نمط» (٢) ، وإلى تقارب البونديين من الانفصاليين التشيكيين وبالعكس (انظر :

---

١ ـ آثرنا ترجمة كلمة «كونفرانس» ب «مشار» تمييزا لها من المؤتمر والاجتماع . ـ المعرب ـ

٢ ـ «اتحاد من أسوأ نمط» : هكذا وصفت قرارات مشار براغ في ١٩١٢ العلاقات التي كانت قائمة بين ح.ع.ر.ا.د وبين المنظمات الاشتراكية ـ الديموقراطية القومية ولاسيما البوند .

« ن. س»

كوسوفسكي في «ناشا زاريا» (١) وصحيفة الانفصاليين التشيكيين «الاشتراكي ـ الديموقراطي» ، العدد ٣ ١٩١٣ ، مقال عن كوسوفسكي) (٢) . واخيرا ، وفي المشار التصفوي في آب ١٩١٢ ، استثار ذلك المبدأ محاولة من جانب الانفصاليين البونديين والمصفين ، وكذلك من جانب قسم من مصفي القفقاس ، لادراج «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» **خلسة في** برنامج الحزب **من غير ان يحظى بدفاع جذري عنه حتى النهاية !**

ان عمال بولونيا الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الثوريين ، شأنهم شأن عمال ليتونيا والقفقاس ، يتمسكون دوما بمبدأ الاستقلال الذاتي الاقليمي **ووحدة** العمال الاشتراكيين ـ الديموقراطيين من **جميع** الامم . والانشقاق البوندي ـ التصفوي وتحالف البوند مع غير الاشتراكيين ـ الديموقراطيين في وارسو يطرحان **على جدول الاعمال** ، بالنسبة الى جميع الاشتراكيين ـ الديموقراطيين ، **مجمل** المسألة القومية من زاوية أهميتها النظرية ومجهود بناء الحزب في آن واحد .

ان حلول التسوية قد نقضها وردمها بالتحديد أولئك الذين مارسوها ضد ارادة الحزب ، ويدوي اليوم اكثر من اي وقت مضى مطلب الوحدة بين العمال الاشتراكيين ـ الديموقراطيين من جميع القوميات .

١٠ ـ ان النزعة القومية الفظة والرجعية المغالية للملكية القيصرية ، بالاضافة الى تجدد نشاط جميع النزعات القومية **البورجوازية** ، الروسية الكبيرة (السيد ستروفه ، و«روسكايا

---

١ ـ ناشا زاريا (فجرنا) : مجلة شهرية مشروعة للمناشفة المصفين . «ن. س»

٢ ـ كوسوفسكي : من زعماء البوند البارزين . ـالمعرب ـ

مولفا» (١) ، و«التقدميون» ، الخ) ، والاوكرانية ، والبولونية (لاسامية «القومية ــ الديموقراطية») (٢) ، والجيورجية ، والارمنية ، الخ ، ان هذه الوقائع تتطلب بإلحاح من المنظمات الاشتراكية ــ الديموقراطية في جميع أرجاء روسيا ان تولي المسألة القومية اهتماما اكبر مما في السابق وأن تنشىء لهذا الغرض حلولا ماركسية متماسكة بروح الاممية الصارمة ووحدة بروليتاريي جميع الامم .

كتب في حزيران ١٩١٣
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ١٩ ــ ص ٢٥٥ ــ ٢٦٣

---

١ ــ روسكايا مولفا (الشائعة الروسية) : صحيفة يومية ناطقة بلسان «التقدميين» . «ن.س»

٢ ــ الحزب القومي ــ الديموقراطي : الحزب الرجعي والقومي الرئيسي للملاك العقاريين والبورجوازيين في بولونيا ، كان وثيق الارتباط مع الكنيسة الكاثوليكية ومتحالفا مع القيصرية ضد الحركة الثورية . «ن.س»

الليبيراليون والديموقراطيون في مسألة اللغات

لقد اشارت الصحف في مناسبات عدة الى تقرير الحاكم العام للقفقاس ؛ ذلك التقرير الذي يتميز لا بروح مغالية في الرجعية وانما بـ «ليبيرالية» خجول . فالحاكم العام يعارض فيما يعارض الترويس المصطنع للسكان غير الروس . وفي القفقاس يعمل ممثلو السكان غير الروس **من تلقاء أنفسهم** على تعليم الاطفال الروسية ؛ وعلى سبيل المثال في المدارس الدينية الارمنية حيث تعليم اللغة الروسية غير إلزامي .

وفي معرض التنويه بهذه الواقعة تقول «روسكويه سلوفو»(١) ؛ وهي من اكثر الصحف الليبيرالية ذيوعا في روسيا، تقول بسداد راي ان موقف العداء تجاه اللغة الروسية **في روسيا** «يتجلى فقط» في أعقاب الزرع «المصطنع» (**كان يجب ان تقول : بالعنف**) لهذه اللغة .

---

١ ـ اي «الكلمة الروسية» : صحيفة غير حزبية كانت تعبر عن مصالح البورجوازية الليبيرالية المعتدلة . «ن.س»

تكتب الصحيفة: «لا داعي للقلق على مستقبل اللغة الروسية. فهي ستحظى بالقبول من تلقاء نفسها في جميع أرجاء روسيا» . وهذا صحيح، لان ضرورات التداول الاقتصادي سترغم باستمرار القوميات التي تعيش في إطار دولة واحدة (ما دامت تريد ان تعيش معا) على دراسة لغة الغالبية . وكلما كان نظام روسيا اكثر ديموقراطية ، وكلما تطورت الراسمالية بقوة وسرعة واتساع اكبر ، حفزت ضرورات التداول الاقتصادي بإلحاح اكبر مختلف القوميات على دراسة اللغة الانسب لرواج العلاقات التجارية المشتركة .

ولكن الصحيفة الليبيرالية تسارع في مناقضة نفسها وفي التدليل على عدم تماسكها ليبيراليا . فهي تكتب :

«من المشكوك فيه ان يكون هناك، حتى بين خصوم الترويس. من يفكر بنفي ضرورة وجود لغة واحدة مشتركة للدولة كلها في دولة مترامية الاطراف كروسيا ، او من ينكر ان هذه اللغة يمكن ان تكون غير اللغة الروسية» .

منطق معكوس ! ففي سويسرا لا توجد لغة **واحدة** مشتركة للدولة كلها بل هناك ثلاث : الالمانية والفرنسية والايطالية . ومع ذلك فان هذا البلد الصغير لا يخسر بالنتيجة بل يربح . ان ٧٠ بالمئة من السكان في سويسرا ألمان (٤٣ بالمئة في روسيا روس – كبار) • و٢٢ بالمئة فرنسيون (١٧ بالمئة في روسيا اوكرانيون) ، و٧ بالمئة ايطاليون (٦ بالمئة في روسيا بولونيون و٤،٥ بالمئة روس بيض) . واذا كان ايطاليو سويسرا يتكلمون بالفرنسية في غالب الاحيان في البرلمان الاتحادي ، فانهم لا يفعلون ذلك تحت ضغط قانون بوليسي همجي (لا وجود لمثل هذه القوانين في سويسرا) ، وانما بكل بساطة لأن المواطنين المتمدينين في دولة ديموقراطية يؤثرون من تلقاء انفسهم اللغة التي تفهمها الغالبية . واللغة الفرنسية لا توحي بالبغضاء للايطاليين ، لانها

لغة أمة حرة ومتمدينة ، لغة لا تفرضها تدابير بوليسية منفرة .

فلم يتوجب اذن على روسيا «المترامية الاطراف» ، الاكثر تنوعا بكثير والأشد تأخرا الى حد مخيف ، ان **تعرقل** تطورها بإبقائها على امتياز ما لواحدة من لغاتها ؟ اليس العكس هو الواجب ، ايها السادة الليبيراليون ؟ واذا كانت روسيا تريد اللحاق بأوروبا ، افلا ينبغي عليها ان تضع حدا للامتيازات من كل الانواع بأسرع وأتم وأقوى ما في الامكان ؟

لو تلاشت الامتيازات كافة ، ولو لم تعد هذه اللغة او تلك مفروضة فرضا ، لتعلم السلافيون جميعا بسرعة كيف يتفاهمون ، ولما ارعبتهم الفكرة «الفظيعة» ، فكرة سماع خطابات بلغات مختلفة في البرلمان المشترك. وضرورات التداول الاقتصادي هي التي **ستقرر** من تلقاء نفسها ما لغة القطر المعني التي ستجد الغالبية **فائدة** في تعلمها لصالح العلاقات التجارية . ومما سيجعل هذا القرار أرسخ متانة ان سكان الامم المتخلفة يكونون قد قبلوا به بحرية . كما انه سيكون أسرع وأوسع مدى كلما كانت الديموقراطية اكثر تماسكا ، وتطور الرأسمالية بالتالي أسرع .

ان الليبيراليين يتطرقون الى مسألة اللغات ، كما الى سائر المسائل السياسية، بروح المساومة المرائية : فهم يمدون يدا (علنا) الى الديموقراطية ، واليد الاخرى (من الخلف) الى الاقطاعيين ورجال البوليس . يهتف الليبيرالي : نحن ضد الامتيازات ، ولكنه يساوم من الخلف ويحصل من الاقطاعيين تارة على امتياز وطورا على آخر ...

«سفرنايا برافدا» ـ العدد ٢٩
٥ ايلول ١٩١٣
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ١٩ ـ ص ٣٨٠ ـ ٣٨٢

كيف يدافع الاسقف
نيكون عن الاوكرانيين

تعلمنا الـ «كييفسكايا ميسل» (١) ان الاسقف نيكون ، نائب اليمين في دوما الدولة ، كان اول من وقع مشروع القانون الذي رفع الى الدوما بصدد المدرسة والجمعيات الاوكرانية .

فحوى القانون : السماح بالتعليم بالاوكرانية في المدارس الابتدائية ، تسمية الاوكرانيين مدرسين ، ادخال تعليم اللغة الاوكرانية وتاريخ اوكرانيا ، عدم اضطهاد الجمعيات الاوكرانية وعدم تحظيرها «تبعا لنزوات الادارة التي هي في غالب الاحيان من قبيل التعسف الخالص» .

وهكذا فان **التعسف** لا يرضي **في بعض الحالات** ذلك الرفيق الحزبي لبوريشكيفيتش (٢) الذي هو الاسقف نيكون .

---

١ ـ اي «فكر كييف» : من كبريات الصحف الديموقراطية البورجوازية في روسيا . «ن.س»

٢ ـ بوريشكيفيتش (١٨٧٠ ـ ١٩٢٠) : اقطاعي ورجعي وملكي من عصابة المئة السود . ـالمعربـ

ان هذا الاخير يرى بحق انه يثير «مسألة بالغـــة الاهمية ، مسألة التشويه المنزل بحق ٣٧ مليون فرد من الشعب الاوكراني»، وان «اوكرانيا الغنية ، الجميلة ، الموهوبة ، المزدهرة والشاعرية مقضي عليها بالانحطاط وبالبلادة التدرجية وبموت بطيء» .

انه لمن المشروع تماما الاحتجاج على اضطهاد الروس ـ الكبار للاوكرانيين . ولكن انظروا ما الحجج التي يدافع بها الاسقـف نيكون عن المطالب الاوكرانية :

«ان الشعب الاوكراني لا يسعى وراء ما يسمـــى بالاستقلال الذاتي الذي نال من الشهرة اكثر مما يستأهـــل ... وليس الاوكرانيون بانفصاليين ... وليس الاوكرانيون بغرباء . انهـم منا ، انهم اخوتنا ، ولا ينبغي من حيث صفتهم هذه ان يعانوا من اي تضييق في استعمال لغتهم وتطوير ثقافتهم القومية . وإلا نكون قد وضعناهم بأنفسنا ، هم أشقاؤنا ، في مستوى اليهود والبولونيين والجيورجيين الخ ممن هم بالفعل غرباء» .

هذا هو جوهر الامر : ان الاسقف الاوكراني نيكون واصدقاءه السياسيين يستجدون من ملاك الاراضي الروس الكبار **امتيازات** للاوكرانيين بحجة ان هؤلاء الاخيرين أشقاؤنا في حين ان اليهود غرباء ! وبعبارة أصرح وابسط : اننا نوافق على اضطهاد اليهود، الخ ، بوصفهم غرباء ، شريطة ان ينعم علينا بالامتيازات .

انه لمشهد معروف من مشاهد الدفاع عن «الثقافة القومية» من قبل **جميع** القوميي النزعة من البورجوازيين ، وبدءاً من المئة الســـود الى الليبراليين ، بل حتـــى الى الديموقراطيين البورجوازيين !

اما ان حماية الاوكرانيين من الاضطهاد غير ممكنـــة الا اذا وفرت الحماية لجميع الشعوب بلا استثناء من كل اضطهاد ، وإلا اذا طرد من حياة الدولة الى غير رجعة لفظ «الغرباء» ، وإلا اذا ضمنت الحماية للمساواة المطلقة بين الامم ، فهذا شيء لا يريد ان

يعرفه الاسقف نيكون . اننا لا نستطيع حماية اي شخص من الاضطهاد القومي ما لم يطبق على نحو منطقي متماسك الاستقلال الذاتي المحلي والمِنطقي (١) على أوسع نطاق ومبـدأ حل **جميع** مسائل الدولة بإرادة غالبية السكان (اي مبدأ الديموقراطية المتماسكة) .

ان شعار «ثقافة الاوكرانيين القومية» في نظر الاسقف نيكون هو في الواقع شعار دعاية المئة السود بالاوكرانية ، شعار الثقافة الاكليريكية الاوكرانية .

لقد فهم العمال الواعون ان شعار «الثقافة القومية» هو خدعة بورجوازية او اكليريكية ، من دون ان تكون هناك أهمية تذكر لكون الثقافة روسية ــ كبيرة او اوكرانية او يهودية او بولونية او جيورجية او سوى ذلك . ومنذ ١٢٥ عاما ، عندما لم تكن الأمة قد انشطرت بعد الى بورجوازية وبروليتاريا ، كان شعار الثقافة القومية قابلا لان يكون نداء وحدويا متلاحما الى النضال ضد الاقطاعية والاكليريكية . ولكن منذ ذلك الحين انفلت الصراع الطبقي بين البورجوازية والبروليتاريا من عقاله في كل مكان . وصار انقسام الامة «الواحدة» الى مستغِلين ومستغَلين حقيقة واقعة .

ان الاكليريكيين او البورجوازيين هم وحدهم الذين يسعهم الكلام عن الثقافة القومية بوجه عام . اما الجماهير الكادحة فلا تستطيع ان تتكلم الا عن الثقافة الاممية للحركة العاملة العالمية . وهذه الثقافة هي وحدها التي تعني المساواة المطلقة والفعلية والصادقة بين الامم ، وغياب الاضطهاد القومي ، وتحقيق الديموقراطية . ووحدة عمال جميع الامم وانصهارهم في إطار

---

١ ــ المنطقي : نسبة الى منطقة . ــالمعربــ

جميع المنظمات العمالية في النضال ضد الرأسمال هما وحدهما اللذان يفضيان الى «حل المسألة القومية» .

«برافدا ترودا» ـ العدد ٣

١٣ ايلول ١٩١٣

المجلد ١٩ ـ ص ٤٠٨ ـ ٤١٠ .

قرار حول المسألة القومية[1]

ان انفلات نزعة المئة النسود القومية من عقالها ، والتقــدم الذي حققته الميول القومية النزعة في أوساط البورجوازيــة الليبيرالية ، وتفاقم حدة الميول القومية النزعة لدى الفئات العليا من القوميات المضطهَدة ، ان جميع هذه العناصر تضفي علــى المسألة القومية في الساعة الراهنة مكانة بارزة .

ان الوضع داخل صفوف الاشتراكية ــ الديموقراطيــة (محاولات الاشتراكيين ــ الديموقراطيين القفقاسيين والبونــد والمصفين لالغاء برنامج الحزب (٢) ، الخ) يرغم الحزب علــى ان يولي المسألة المزيد من اهتمامه .

ان المشار ، بالاستناد الى برنامج «ح.ع.ر.ا.د» ــ ولصالح تنظيم صحيح للتحريض الاشتراكي ــ الديموقراطي بصدد المسألة

---

١ ــ احد القرارات التي اتخذها المشار الموسع للجنة المركزية لحزب عمال روسيا الاشتراكي ــ الديموقراطي المنعقد في أواخر ايلول ١٩١٣ في قريةبورونين في بولونيا حيث كان يقيم لينين آنذاك . «ن.س»

٢ ــ يشير لينين ههنا الى قرار مشار المصفين في آب ١٩١٢ بعدم اعتبار شعار «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» متنافيا مع برنامج ح.ع.ر.ا.د.
« ن.س »

القومية ــ يصيغ الاطروحات التالية :

١ ــ ان السلم القومي ، بمقدار ما هو ممكن في مجتمع رأسمالي قائم في اساسه على الاستغلال والربح والشراسة ، غير قابل للتحقيق الا بالشروط التالية : تنظيم جمهوري متماسك وديموقراطي حتى النهاية للدولة، يضمن المساواة المطلقة بين الامم قاطبة واللغات كافة وعدم وجود لغة رسمية الزامية ، مدارس توفر للسكان تعليما بجميع اللغات المحلية، واخيرا قانون اساسي، مسجل في الدستور ، يبطل مفعول كل امتياز ايا كان لأي أمة من الامم وكل انتهاك ايا كان لحقوق أقلية من الاقليات القومية . وعلاوة على ذلك ينبغي بوجه خاص تطبيق استقلال ذاتي مِنطقي واسع وإدارة محلية متمتعة بسلطات كبيرة ديموقراطية كاملة ، على ان تحدد حدود هذه المناطق على اساس الشروط الاقتصادية ونمط الحياة ، وبإرادة السكان المحليين ، وتبعا للتركيب القومي للسكان ، الخ .

٢ ــ ان التقسيم المدرسي للقوميات في حدود الدولة الواحدة ضار مطلق الضرر من وجهة نظر الديموقراطية بوجه عام، ومصالح نضال البروليتاريا الطبقي بوجه خاص . وانما في هذا التقسيم على وجه التحديد يكمن جوهر الخطة التي تبنتها في روسيا جميع الاحزاب البورجوازية التابعة للجماعة اليهودية والعناصر البورجوازية التابعة للجماعة اليهودية والعناصر البورجوازية الصغيرة والانتهازية من مختلف الامم ، خطة «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» المزعوم او خطة «انشاء مؤسسات تضمن حرية التطور القومي» .

٣ ــ ان مصالح الطبقة العاملة تتطلب انصهار عمال جميع قوميات الدولة الواحدة في منظمات بروليتارية واحدة ، سياسية ونقابية وتعاونية وتربوية الخ . وهذا الانصهار لعمال مختلف القوميات في منظمات واحدة هو وحده الذي يمكّن البروليتاريا

من شن كفاح مظفر ضد الراسمال الاممي وضد الرجعية ، وكذلك ضد دعاية ومطامح كبار الملاك والكهنة والقوميي النزعة من بورجوازيي جميع الامم الذين يعلنون عادة عن مطامحهم المعادية للبروليتاريا تحت راية «الثقافة القومية» . ان الحركة العاملة العالمية تخلق وتطور في كل يوم اكثر فاكثر الثقافة الاممية للبروليتاريا .

٤ ــ فيما يتعلق بحق الامم التي تضطهدها الملكية القيصرية في حرية تقرير المصير ، اي في الانفصال لتشكيل دولة متمايزة، يتوجب على الحزب الاشتراكي ــ الديموقراطي ان يدافع عن هذا الحق مهما كلف الامر . فهذا ما تتطلبه بوجه عام المبادىء الاساسية للديموقراطية الاممية ، وبوجه خاص الاضطهاد القومي المنقطع النظير الذي تنزله بغالبية سكان روسيا الملكية القيصرية التي تمثل اكثر انظمة الدولة رجعية وهمجية بالمقارنة مع نظام الدول المجاورة في اوروبا وآسيا . وهذا ما تتطلبه ايضا قضية حرية السكان الروس ــ الكبار انفسهم ، العاجزين عن تأسيس دولة ديموقراطية ما لم تستأصل من شأفتها النزعة القومية الروسية ــ الكبيرة الممثلة بالمئة السود ، والمدعومة بتقاليد العديد من مظاهر القمع الدموي الذي تعرضت له الحركات القومية ، والمتمتعة بتأييد مطلق لا من قبل الملكية القيصرية وجميع الاحزاب الرجعية فحسب بل ايضا من قبل الليبيرالية البورجوازية الروسية ــ الكبيرة التي تزحف على بطنها امام الملكية، ولاسيما في مرحلة الثورة المضادة .

٥ ــ ان مسألة حق الامم في حرية تقرير مصيرها (اي الضمانة التي يقدمها دستور الدولة لنمط حر وديموقراطي في تسوية مسألة الانفصال) لا يجوز ان تخلط بالمسألة المتعلقة بمعرفة ما اذا كان من المناسب ان تنفصل هذه الامة او تلك . فهذه المسألة الاخيرة يجب ان يحلها الحزب الاشتراكي ــ الديموقراطي

في كل حالة خاصة على نحو مستقل كل الاستقلال ذاتيا ، من وجهة نظر مصالح التطور الاجتماعي برمته ومصالـــح نضال البروليتاريا الطبقي في سبيل الاشتراكية .

وينبغي على الاشتراكية ـ الديموقراطية ، وهي تفعل ذلك، الا تنسى ان كبار الملاك والكهنة وبورجوازية الامـــم المضطهَدة يموهون في غالب الاحيان تحت شعارات قومية النزعة رغبتهم في قسم العمال وتضليلهم ، في الوقت نفسه الذي يعقدون فيه من وراء ظهورهم صفقات مع كبار الملاك وبورجوازية الامة السائدة على حساب الجماهير الكادحة من جميع الامم .

***

ان المشار يدرج مسألة البرنامج القومـــي في جدول اعمال المؤتمر (١) . ويدعو المشار اللجنة المركزية وصحافة الحـــزب والمنظمات المحلية الى تسليط الضوء على المسألة القومية باكبر قدر ممكن من التفصيل (في الكراسات والمناقشات الخ) .

كتب في ايلول ١٩١٣ ونشر فـــي كانون الاول ١٩١٣ فيكراسة بعنوان «بيان وقراراتمشار اللجنة المركزية لحـــزب عمال روسيا الاشتراكي ـ الديموقراطي ومناضلي الحزب» .
«المؤلفات الكاملة»
المجلد ١٩ ـ ص ٤٦٠ ـ ٤٦٢

---

١ ـ اي المؤتمر السادس للحزب الذي تأخر انعقاده حتى عام١٩١٧ . ـالمعرب ـ

رسالة الى س . شاؤوميان [١]

٦ – ١٢ – ١٩١٣

الصديق العزيز ، لقد أسعدني جدا ان اتلقى رسالتك المؤرخة في ٥–١١ . عليك ان تعلم ان من كان في وضعي يقدر كثيرا آراء الرفاق في روسيا ، ولاسيما أولئك الذين يفكرون ويهتمـــون بالمسألة موضع النقاش . ولهذا كان لجوابك السريع أطيب الوقع في نفسي . ان المرء ليشعر بعزلة أقل (٢) عندما يتلقى مثل هذه الرسائل . ولكن كفانا غنائية . لننتقل الى الوقائع .

١ – انك من أنصار لغة رسمية في روسيا . فهي «لا غنـى عنها . ولقد كان وسيكون لها أهمية تاريخية تقدمية» . لست أوافقك بصورة من الصور . لقد كتبت حول هذا الموضوع منذ مدة طويلة في «البرافدا» (٣) ، ولم أر حتى الآن دحضا. وحجتك

---

١ – س.ج. شاؤوميان (١٨٧٨ – ١٩١٨) : مناضل بلشفي ارمني بارز ، أولى اهتماما خاصا للمسألة القومية . –المعرب–

٢ – كان لينين يعيش آنذاك في كراكوفيا في بولونيا . –المعرب–

٣ – يشير لينين هنا الى مقالته : «الليبراليون والديموقراطيون في مسألة اللغات» . «ن.س» .

لا تقنعني البتة ، بل بالعكس . لقد كان للغة **((الروسية))** مردود تقدمي بالنسبة الى عدد كبير من الامم الصغيرة والمتأخرة ، **هذا** أمر لا مراء فيه . ولكن الا ترى انه **كان يمكن ان يكون لها** مردود تقدمي اكبر ايضا لو لم يكن هناك إكراه ؟ كيف ! أليست «اللغة الرسمية» أشبه بعصا **تبعدك** ضرباتها عن اللغة الروسية ؟ وكيف لا تريد ان تفهم تلك **البسيكولوجيا** البالغة الاهمية في المسألة القومية ، والتي تلوث وتشوه وتلغي ، فيما اذا وجد اي إكراه ، المردود التقدمي الذي لا مراء فيه للمركزة وللدول الكبيرة وللغة الموحدة؟ ولكن هناك ايضا الاقتصاد الذي هو أهم **من** البسيكولوجيا: ففي روسيا **الآن** اقتصاد **رأسمالي** يجعل اللغة **الروسية** ضرورة لا غنى عنها . وانت لا تؤمن بقوة الاقتصاد ، وتريد ان «تدعمه» بهراوات أوباش الشرطة ؟؟ الا ترى اذن انك بهذا **تشوه** الاقتصاد، وتعرقله ؟ أفلن يضاعف زوال النظام البوليسي القذر بعشرة أضعاف (بألف ضعف) الجمعيات الحرة للحفاظ على اللغة الروسية ونشرها ؟ كلا ، انني لا أوافقك البتة ، وانني **لاتهمك** بـ «الاشتراكية الملكية البروسية» (١) !!

٢ ــ انت ضد الاستقلال الذاتي . انت **فقط** مع الادارة الذاتية المنطقية . لست أوافقك البتة . تذكر شروح انجلز عندما كان يقول ان المركزة لا تستبعد البتة «الحريات المحلية» (٢) . لمَ الاستقلال الذاتي لبولونيا وليس للقفقاس والجنوب والاورال؟ ان البرلمان المركزي هو الذي سيرسم **حدود** الاستقلال الذاتي ! اننا مع المركزية ــ الديموقراطية بصورة مطلقة . ونحن ضد

---

١ ــ بالالمانية في النص . والتعبير لماركس ضد لاسال . ــالمعرب ــ

٢ ــ يشير لينن الى تصريحات انجلز في مقالته : «مساهمة في نقد مشروع برنامج ١٨٩١ الاشتراكي ــ الديموقراطي» . «ن.س» .

الاتحاد . اننا مع اليعاقبة ضد الجيرونديين (١) . اما التخوف من الاستقلال الذاتي في روسيا ... فهذا ، والحق يقال ، مضحك ! بل رجعي . اذكر لي مثالا ، تخيل مثالا «يمكن» ان يصبح معه الاستقلال الذاتي ضارا ! انك لن تستطيع ان تذكر مثالا واحدا ! والمحاكمة العقلية الضيقة : بالرغم من ان الادارة الذاتية تفيد في روسيا (وفي بروسيا) النظام البوليسي القذر .

٣ ـ انك تكتب : «ان الحق في حرية تقرير المصير لا يعني الحق في الانفصال فحسب ، بل يعني ايضا الحق في رابطة اتحادية ، الحق في الاستقلال الذاتي» . لست أوافقك البتة . انه **لا** يعني الحق في **الاتحاد** . فالاتحاد وحدة بين متساوين ، وحدة تتطلب الاتفاق **العام** . فكيف يمكن ان يكون هناك حق **لأحد** الاطراف في **اتفاق** الطرف الآخر معه ؟ ان هذا للغو . اننا نعارض من حيث المبدأ الاتحاد : فهو يضعف الروابط الاقتصادية ، ويمثل نمطا لا قيمة له لدولة واحدة . انت تريد الانفصال ؟ افعل اذن ما يحلو لك ، اذا كنت تستطيع تحدي الروابط الاقتصادية ، او بالاحرى اذا كان الاضطهاد ومشادات «التعايش» **تشوه** وتهدم بناء الروابط الاقتصادية . انت لا تريد الانفصال ؟ اذن اعذرني، لا تقرر **بالنيابة عني** ، لا تفكر بأن لك «حقا» في الاتحاد .

«الحق في الاستقلال الذاتي» ؟ هذا خاطىء ايضا . **اننا مع الاستقلال الذاتي** لجميع الاطراف ، ومع **الحق** في الانفصال (لا **مع انفصال** الجميع !) . ان الاستقلال الذاتي هو خطتنا **نحن** لتنظيم دولة ديموقراطية . والانفصال ليس البتة خطتنا . اننا لا ندعو البتة الى الانفصال . وفي الاجمال نحن ضد الانفصال .

---

١ ـ اليعاقبة الجناح اليساري من الثورة الفرنسية ، والجيرونديون جناحها اليميني . ـالمعرب ـ

ولكننا مع **الحق** في الانفصال ، بسبب النزعة القومية الروسية ــ الكبيرة الرجعية التي دنست قضية التعايش القومي الى حد ان الروابط قد **تزداد بعد** انفصال حر !

ان الحق في حرية تقرير المصير **استثناء** لقدمتنا العامة : المركزية . وهذا الاستثناء ضروري مطلق الضرورة ، في وجه النزعة القومية الروسية ــ الكبيرة الرجعية ، واي تخل عن هذا الاستثناء هو انتهازية (كما لدى روزا لوكسمبرغ) ، ولعبة ساذجة تستفيد منها النزعة القومية الرجعية الروسية ــ الكبيرة . ولكن **لا ينبغي** تفسير الاستثناء بمعنى موسع . فليس هناك من شيء، ولا يجب ان يكون هناك من شيء ، لا شيء البتة ، غير **الحق** في **الانفصال** .

انني اكتب حول هذا الموضوع في «البروسفشتشنييه» (١). اكتب لي لا محالة بمزيد من التفصيل عندما اكون قد انهيت هذه المقالات (ستظهر على ٣ دفعات) . وسأرسل لك ايضا بعض الاشياء . لقد بذلت جهدا لا بأس به في تمرير القرار . ولقد قمت هذا الصيف بعدة عروض حول المسألة القومية (٢) ، ولقد انهكت نفسي بعض الشيء في الاعداد لها . وعلى هذا فان في نيتي «التمسك برأيي» ، وان كنت ، بالطبع ، «أولي اهتماما للرأي الذي يعبر عنه» (٣) الرفاق الذين درسوا تلك المسألة اكثر واطول مني .

---

١ ــ يشير لينين ههنا الى مقالته : «ملاحظات نقدية حول المسألة القومية». « ن.س »

٢ ــ يشير لينين هنا الى الندوات التي قام بها حول المسألة القومية في عدد من المدن السويسرية في تموز ١٩١٣ . «ن.س»

٣ ــ بالالمانية في النص . ــالمعربــ

٤ ـ ضد «تغيير» البرنامج ، ضد «البرنامج القومي» ؟ هنا ايضا لا أوافقك . انت تخاف من **الكلمات** . ولا داعي للخــوف منها . وعلى كل حال فانه (البرنامج) يُغير من قبل **جميع الناس.** ولكن **خلسة** ، بدناءة وبمعنى سيء . اننا نحدده ، نحن ايضا ، ونوضحه ، ونطوره، ونؤكده بروحه **الحقيقية**، بروح ديموقراطية، **متماسكة** ، بروح ماركسية (مضادة للنمسويين) (١) . هذا **مــا كان ينبغي** فعله . الا فليأتوا الآن ، أولئك الانتهازيون الانــــذال (البونديون ، المصفون ، الشعبيون) ، وليدلوا بأجوبتهم ، بمثل تلك **الدقة** وبمثل ذلك **الكمال** ، على **جميع** المسائل التي تطرقنا اليها وسويناها في قرارنا (٢) . الا فليحاولوا . كلا . اننا لــم «نتراخ» أمام الانتهازيين ، ولكننــــــا **سحقناهم** بصدد **جميع** النقاط !

اننا بحاجة ماسة الى كراسة شعبية حول المسألة القومية . اكتب . انني انتظر جوابك ، واشد على يدك بحرارة .

المخلص ف.ا. التحية لجميع الاصدقاء .
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ١٩ ـ ص ٥٣٥ ـ ٥٣٨ .

---

١ ـ كان الماركسيون النمسويون الخصوم الرئيسيين للينين في المسألــة القومية ، اذ رفعوا شعار الاستقلال الذاتي القومي الثقافي بدلا من شعار حق الامم في تقرير مصيرها . ـالمعربـ

٢ ـ يشير لينين هنا الى قرار مشار اللجنة المركزية لحزب عمال روسيا في ايلول ١٩١٣ في قرية بورونين في بولونيا بصدد المسألة القومية . ـالمعربـ

حول الاستقلال الذاتي « القومي الثقافي »

ان خطة او برنامج الاستقلال الذاتي المسمى بـ «القومي الثقافي» (وبتسمية اخرى : «انشاء مؤسسات تضمن حرية التطور القومي») يقوم في جوهره على **تقسيم المدارس حسب القوميات** .

ومما يزيد من ضرورة الالحاح على هذه النقطة ان القوميي النزعة السافرين او المتكتمين من كل نوع (من بينهم البونديون) يحاولون في معظم الاحايين تمويهها .

ان كل أمة ، بغض النظر عن المكان الذي يعيش فيه اي واحد من رعاياها (بغض النظر عن الاقليم: ومن هنا كان تعبير الاستقلال الذاتي «ما فوق الاقليمي») ، تؤلف رابطة واحدة ، معترفا بها على صعيد الدولة ، تسيّر شؤونها القومية والثقافية . والتعليم هو في طليعة هذه الشؤون . وتحديد تعداد الامم بواسطة التسجيل الحر لكل مواطن ، بغض النظر عن مكان اقامته ، في الرابطة القومية التي يختارها ، يكفل دقة واستمرارا منطقيا مطلقين في تنظيم التعليم حسب القوميات .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو معرفة ما اذا كان مثل هذا التقسيم مقبولا من وجهة نظر الديموقراطية بوجه عام ، ومن وجهة نظر مصالح نضال البروليتاريا الطبقي بوجه خاص .

ويكفي ان نتصور بوضوح جوهر برنامج «الاستقلال الذاتي

القومي الثقافي» حتى نجيب بلا تردد على ذلك السؤال : انه غير مقبول بتاتا .

فما دامت أمم مختلفة تعيش في إطار دولة واحدة ، فانها تكون موحدة بملايين ومليارات الروابط الاقتصادية والحقوقية والعادات . فكيف يمكن ، والحالة هذه ، فصل الميدان المدرسي عن هذه الروابط ؟ هل يمكن «انتزاعه من صلاحية» الدولة ، كما تعلن ذلك الصيغة البوندية ، الكلاسيكية في أسلوبها في التشدق بما لا معنى له ؟ واذا كان الاقتصاد يجمع بين أمم تعيش في دولة واحدة ، فمن اللغو والرجعية محاولة تقسيمها في ميدان المسائل «الثقافية» ، ولاسيما المدرسية . بل ينبغي، على العكس، السعي الى **تجميع** الامم في الميدان المدرسي حتى يتهيأ في المدارس ما يتحقق في الحياة . ونحن نلاحظ في الوقت الراهن أمما غير متساوية حقوقيا ومتفاوتة في مستويات تطورها ، وتقسيم الميدان المدرسي على اساس القوميات لن يؤدي في هذه الشروط الا الى **تفاقم** وضع الامم الاكثر تأخرا ، وهذا **على صعيد الوقائع** . ففي اميركا ، وفي الولايات الجنوبية التي كانت تناصر الرق في الماضي ، ما يزال أولاد السود حتى يومنا هذا معزولين في مدارس خاصة ، بينما يذهب البيض والسود في الشمال الى المدرسة نفسها . ولقد رأى النور مؤخرا في روسيا مشروع لـ «تأميم المدارس اليهودية» (١) ، اي لفصل الاطفال اليهود عن اطفال سائر القوميات في مدارس خاصة . ولا جدوى من

---

١ ـ مشروع اقترحه في عام ١٩١٢ المشرف على شؤون التعليم في أوديسا واستقبلته وزارة التعليم القيصرية بترحاب . وقد ندد لينين بشدة بهذا المشروع في مقال له في آب ١٩١٣ . ونص المقال منشور في المجلد الاول من سلسلة المختارات اللينينية هذه . ـالمعربـ

الاضافة بأن هذا المشروع قد رأى النور **في** الاوساط الاكثر رجعية ، البوريشكيفتشية .

ان من يدعو الى تقسيم الميدان المدرسي على اساس القوميات لا يمكن ان يكون ديموقراطيا . ولاحظوا اننا نحاجج حتى الآن من وجهة نظر ديموقراطية عامة ، اي ديموقراطية بورجوازية .

واذا ما انطلق المرء من وجهة نظر النضال الطبقي البروليتاري فانه مرغم على ان يقف ضد تقسيم الميدان المدرسي على اساس القوميات موقفا أشد حزما بكثير . فمن ذا الذي يجهل ان راسماليي جميع الامم التي تقطن دولة واحدة يتحدون على أوثق نحو ، على نحو غير قابل للانفصام ، في شركات مساهمة ، وكارتلات ، وتروستات ، ونقابات صناعية ، الخ ، **ضد** عمال كل قومية ايا كانت ؟ ومن ذا الذي يجهل ان هناك **دوما** ، في كل مشروع رأسمالي **ايا كان**، وبدون اي استثناء ، ابتداء من المصانع والمناجم والمعامل الجبارة ومرورا بالبيوتات التجارية وانتهاء بالاستثمارات الزراعية الرأسمالية ، خليطا قوميا من العمال اكبر مما في الارياف الرتيبة ، الهادئة ، النائمة ؟

خذوا عامل المدن : انه هو الذي يعرف خيرا من اي شخص آخر الرأسمالية المتطورة وهو الذي تمثل أعمق التمثل ، وبكل وجوده ، بسيكولوجيا صراع الطبقات (بل لعله تشربه مع لبن أمه). ان هذا العامل لن يستطيع ان يحول بين نفسه وبين التفكير بأن تقسيم الميدان المدرسي على اساس القوميات ليس مشروعا **ضارا** فحسب ، بل هو ايضا مشروع خداع وتدجيل **من قبل الرأسماليين** . فالعمال **مهددون** بالتجزئة والانقسام والضعف تحت تأثير الدعاية لتلك الفكرة ، وبوجه خاص ، بنتيجة تقسيم المدارس العامة على اساس القوميات ، في حين ان الرأسماليين ، الذين يتمتع اطفالهم رائع التمتع بمدارس خاصة غنية وبمعلمين خصوصيين ، غير مهددين **في اي حال من الاحوال** بالتجزئة او

بالضعف ، بنتيجة «استقلال ذاتي **قومي ثقافي**» مزعوم .

والواقع ان «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» ، **اي** تقسيم الميدان المدرسي على اساس القوميات تقسيما مطلق الوضوح والتماسك ، لم يخترعه الراسماليون (فهم يلجؤون **في الوقت الراهن** الى اساليب اكثر فظاظة لتقسيم العمال) ، وانما اخترعه مثقفو النمسا البورجوازيون الصغار والانتهازيون . فنحن **لا نسمع احدا يتكلم** عن هذه الفكرة البورجوازية الصغيرة الى حد عبقري والقومية النزعة الى حد عبقري في اي قطر من الاقطار الديموقراطية المتعددة القوميات في اوروبا الغربية . وانما في اوروبا الشرقية وحدها ، في النمسا المتأخرة ، الاقطاعية ، الاكليريكية والبيروقراطية ، حيث الحياة الاجتماعية والسياسية **بأسرها** تعرقلها وتقيدها معارك خسيسة مزرية (بل الانكى من ذلك : خصومات ومشاحنات) بصدد اللغات ، وُلدت تلك الفكرة، فكرة البورجوازي الصغير الذي يمسك به اليأس من تلابيبه . لو كان في الامكان على الأقل عزل الامم جميعا ، دفعة واحدة ونهائية، عزلا صارما مستمرا مطلقا ، في «اصطبلات قومية» في الميدان المدرسي ما دام من المستحيل مصالحة الكلب والقطة ! : هذه هي البسيكولوجيا التي تولد عنها «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» الساذج . ان البروليتاريا ، التي تعي أمميتها والتي تجلها كبير الاجلال ، لن تقبل ابدا بهذه البلاهة من بلاهات النزعة القومية الناعمة .

وليس من قبيل الصدفة **ألا** يكون احد في روسيا قد تبنى «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» **باستثناء جميع** الاحزاب البورجوازية للجماعة اليهودية ، ثم (في ١٩٠٧) مشار الاحزاب

الشعبية اليسارية، **البورجوازية الصغيرة** ، من مختلف الامم(١)، واخيرا العناصر الدعية الجاهلة والانتهازية من الجماعات **شبه الماركسية** ، اي البونديين والمصفين (بل ان هؤلاء الاخيرين خافوا من ان يفعلوا ذلك على نحو صريح وواضح) . وليس من قبيل الصدفة الا يكون احد قد تكلم عن «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» من منبر دوما الدولة باستثناء تشخينكلي (٢) ، نصف المصفي المصاب بعدوى النزعة القومية ، وكيرينسكي (٣) ، البورجوازي الصغير .

ان المرء لتأخذه الرغبة في الضحك لا اكثر ولا أقل عندما يقرأ استشهادات المصفين والبونديين بالنمسا في هذا الصدد . أولا، لمَ ينبغي ان يقع الاختيار على اكثر البلدان المتعددة القوميات تأخرا **كنموذج** ؟ ولمَ لا يكون اكثرها تقدما ؟ ان هذا الاسلوب اشبه ما يكون بأسلوب الليبيراليين الروس الارادياء ، أعني الكاديت ، الذين يفتشون عن نماذج للدستور في البلدان المتأخرة قبل كل شيء ، اي في بروسيا او النمسا ، وليس في البلدان المتقدمة مثل فرنسا او سويسرا او اميركا ! ثانيا ، ان الادعاء

---

١ ـ هو اشار المعروف باسم «مشار الاحزاب الاشتراكية القومية في روسيا» الذي انعقد في فنلندا في ١٦ ـ ٢٠ نيسان ١٩٠٧ . وقد حضره ممثلون عن حزب الاشتراكيين ـ الثوريين والحزب الاشتراكي البولوني والحزب العمالي الاشتراكي اليهودي وحزب الاشتراكيين ـ الاتحاديين الجيورجيين وغرومادا روسيا البيضاء وحزب طاشناق الارمني واتحاد ليتونيا الاشتراكي-الديموقراطي.

« ن.س »

٢ ـ أ.ي. تشخينكلي : اشتراكي ـ ديموقراطي منشفي جيورجي . ـالمعربـ

٣ ـ أ.ف. كيرينسكي : اشتراكي ـ ثوري ، ترأس الحكومة البورجوازية المؤقتة في روسيا عام ١٩١٧ . ـالمعربـ

الجهلة القوميي النزعة في روسيـــا ، اي البونديين والمصفين والشعبيين اليساريين الخ ، اذ يقتدون بالمثال النمسوي يدخلون عليه من جانبهم سوءة **أخرى** . فأولئك الذين يستخدمون عندنا في دعايتهم وتحريضهم بوجه خاص وفي المقام الاول خطـــة « الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» هم على وجه التحديـــد البونديون (بالاضافة الى **جميع** الاحزاب البورجوازية للجماعـــة اليهودية ، تلك الاحزاب التي يسير في ركابها البونديون من دون ان يكونوا واعين لذلك على الدوام) . والحال ان داعية »الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» في وطن هذه الفكرة على وجه التحديد ، النمسا ، واعني أوتو باور ، قد كرس فصلا خاصا من كتابـــه للبرهان على استحالة تطبيقها على اليهود !

وفي هذا دليل أفصح من الخطب الطويلة على مـــدى تهافت منطق أ. باور وعلى مدى ضعف ايمانه بفكرته ، هو الذي يستثني من خطة الاستقلال الذاتي ما فوق الاقليمي للامم الامة **الوحيدة** ما فوق الاقليمية (لا تملك منطقة خاصة بها) .

وفي هذا دليل على ان البونديين يقتبسون عن اوروبا خططا **بالية** ، مضاعفين أخطاء اوروبا عشرة أضعاف ، و«مطورين» هذه الاخطاء الى درجة اللامعقول .

ذلك ان الاشتراكيين ــ الديموقراطيين النمسويين ــ ثالثا ــ قد **ردوا** برنامج «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» الذي اقترح عليهم في مؤتمرهم في برون (١٨٩٩) . وهم لم يقرروا اكثر من تسوية، في شكل اتحاد بين جميع **مناطق** الدولة المتحددة قوميا. وهذه التسوية لم تتضمن **لا** ما فوق اقليمية **ولا** تقسيم للتعليم تبعا للقوميات . وبموجب مشروع التسوية هذا **لا** تقوم مراكز تجمع السكان الاكثر تقدما (من وجهة النظر الرأسمالية) من مدن ومعامل ومناجم ومزارع كبيرة الخ بتقسيـــم المدارس تبعـــا للقوميات !

لقد كافحت الطبقة العاملة في روسيا وستظل تكافح الفكرة الرجعية ، الضارة ، البورجوازية الصغيرة ، القومية النزعة ، فكرة «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» .

«زا برافدو» – العدد ٤٦ .
٢٨ تشرين الثاني ١٩١٣ .
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ١٩ – ص ٥٣٩ – ٥٤٣

تركيب التلاميذ الرسمي في المدارس الروسية

حتى نكوّن فكرة اكثر وضوحا عن خطة «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» التي ترمي الى تقسيم التعليم على اساس القوميات ، من المفيد ان نرجع الى معطيات عينية عن تركيب التلاميذ القومي في المدارس الروسية . والمعطيات التالية عن دائرة بطرسبورغ المدرسية قد جُمعت في احصاء المدارس الذي جرى في ١٨ كانون الثاني ١٩١١ .

إليكم الارقام المشيرة الى توزيع التلاميذ في المدارس الابتدائية التابعة لوزارة التعليم العام تبعا **للغتهم الأم** . وهذه الارقام تخص كل دائرة سان بطرسبورغ المدرسية ، وسنضع بين هلالين الارقام التي تخص سان بطرسبورغ . وتحت اسم «اللغة الروسية» يخلط الموظفون دوما بين الروسية ــ الكبيرة ؛ والروسية البيضاء ، والاوكرانية (الروسية ــ الصغيرة على حد التسمية الرسمية). وإجمالي التلاميذ هو ٢٦٥٦٦٠ (٤٨٠٧٦)(١).

---

١ ــ الرقم الاول يشير كما أوضح لينين الى عدد التلاميذ في دائرة بطرسبورغ كلها ، والرقم الموضوع بين هلالين الى عددهم في مدينة بطرسبورغ وحدها . ــ المعرب ــ

الروسية : ٢٣٢٦١٨ (٤٤٢٢٣) ، البولونية : ١٧٣٧ (٧٨٠) ، التشيكية : ٣ (٢) ، الليتوانية : ٨٤ (٣٥) ، الليتونية : ١٣٧١ (١١٣) ، الجمودية : ١ (٠) ، الفرنسية : ١٤ (١٣) ، الايطالية : ٤ (٤) ، الرومانية : ٢ (٢) ، الالمانية: ٢٤٠٨ (٨٤٥) ، السويدية : ٢٢٨ (٢١٧) ، النرويجية : ٣١ (٠) ، الدانمركية : ١ (١) ، الهولاندية : ١ (٠) ، الانكليزية : ٨ (٧) ، الارمنية : ٣ (٣) ، الفجرية : ٤ (٠) ، الأدشية : ١١٩٦ (٣٩٦) ، الجيورجية : ٢ (١)، الأوسيتية : ١ (٠) ، الفنلندية : ١٠٧٥٠ (٨٧٤) ، الكاريلية : ٣٩٩٨ (٢) ، التشودية : ٢٤٧ (٠) ، الإستونية : ٤٧٢٣ (٥٣٦) ، اللوبارية : ٩ (٠) ، الزيريانية : ٦٠٠٨ (٠) ، الصاموئيدية : ٥ (٠) ، التترية : ٦٣ (١٣) ، الفارسية : ١ (١) ، الصينية : ١ (١)، لغات غير محددة : ١٣٨ (٧) .

تلكم هي الارقام بدقتها النسبية . وهي تدل على تمازج السكان القومي الذي لا يصدق ، بالرغم من انها تعود الى واحدة من مناطق روسيا الاكثر اكتظاظا بالروس ـ الكبار . وواضح هو الحد الاقصى من الاختلاط القومي في مدينة كبيرة كسان بطرسبورغ . وهذا ليس بالظاهرة العارضة ، وانما هو **قانون** للراسمالية في الاقطار كافة ومن أقصى العالم الى أقصاه . فالمدن الكبيرة ومناطق تجمع المصانع والمناجم وسكك الحديد ، وبصورة عامة المراكز التجارية والصناعية ، تتميز بحد أقصى من اختلاط السكان القومي . والحال ان مناطق التجمع التي من هذا النوع هي التي تنمو أسرع ما يكون النمو ، منتزعة من الارياف المنزوية قسما متعاظما باستمرار من سكانها .

ولنحاول الآن ان نطبق على معطيات الواقع الحي هذه تلك الطوبائية الميتة ، طوبائية البورجوازيين الصغار القوميي النزعة ، المسماة بـ «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» او (على حد ترجمة البونديين) «كف يد الدولة» عن مسائل الثقافة القومية ، اي

المسائل المدرسية في المقام الاول .

ان التعليم يجب ان «ينتزع من صلاحية الدولة» ليوضع بين ايدي ٢٣ (بالنسبة الى بطرسبورغ) «اتحادا قوميا» يقوم كل منها بتطوير «ثقافته القومية» الخاصة .

وانه لمن السخف حتى ان نبذر الكلمات للبرهان على ما في مثل هذا «البرنامج القومي» من انعدام المنطق والرجعية .

انه لواضح كالنهار ان الانكباب على الدعاية لمثل هذا المشروع يعني **في الواقع** ترويج او تأييد أفكار النزعة القومية البورجوازية والشوفينية والاكليريكية . ومصالح الديموقراطية بوجه عام ، ومصالح الطبقة العاملة بوجه خاص ، تتطلب نقيض ذلك على وجه التحديد : إذ يتوجب السعي الى **انصهار** أطفال **جميع** القوميات في إطار مدارس **واحدة** في محلة محددة ، وينبغي ان يطبق عمال جميع القوميات **بالتضافر** في الميدان المدرسي السياسة البروليتارية التي أحسن التعبير عنها كل الاحسان صامويلوف ، نائب عمال فلاديمير ، حين تكلم باسم المجموعة الاشتراكية — الديموقراطية العمالية في روسيا في دوما الدولة (١) . ان علينا ان نعارض بأقصى طاقتنا كل تقسيم للتعليم على أساس القوميات ايا كان .

ان ما ينبغي ان نسعى اليه ليس عزل الامم عن بعضها بعضا بصورة من الصور في الميدان المدرسي ، وانما على العكس خلق الشروط الديموقراطية الاساسية للتعايش السلمي بين الامم على اساس المساواة في الحقوق . علينا الا نرفع راية «الثقافة

---

١ — يشير لينين الى التصريح الذي ادلى به النائب البلشفي ف. صامويلوف في دوما الدولة في ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٣ عند مناقشة مشروع قانون زيادة أجور معلمي التعليم المسيحي . «ن.س»

«القومية» ، بل ان نفضح الطابع الاكليركي والبورجوازي لهـذا الشعار باسم الثقافة الامية للحركة العاملة العالمية .

وقد يسألنا سائل : هل من الممكن ، على اساس المساواة في الحقوق ، ضمان مصالح طفل جيورجي واحد بين تلاميـذ بطرسبورغ الـ ٤٨٠٧٦ ؟ وجوابنا على مثل هذا السؤال هو : ان انشاء مدرسة جيورجية خاصة في بطرسبـورغ على اساس «الثقافة القومية» الجيورجية مستحيل ، والدعوة الى مثل هذا المشروع تعني تلقين الجماهير الشعبية افكارا ضارة .

ولكننا لا نؤيد ما هو ضار ولا نسعى وراء ما هو مستحيل عندما نطالب لذلك الطفل بمقر مجاني من قبل الدولـة لتدريس اللغة الجيورجية وتاريخ جيورجيا الخ ، وبترجمـة الكتب الجيورجية في المكتبة المركزية ، وبتحمل خزينة الدولة جزءاً من تكاليف تعويض معلم جيورجي الخ . وفي مقدور السكان الحصول على هذا كله في إطار ديموقراطية فعلية وفي حال اقصـاء البيروقراطية و«البيريدونوفية» (١) عن المدارس إقصاء كاملا . ولكن **يستحيل** الحصول على هذه الديموقراطية الفعلية الا عـن طريق انصهار عمال **جميع** القوميات .

ان الدعوة الى مدارس قومية خاصة لكل «ثقافة قومية» لهي دعوة رجعية . ولكن من الممكن تماما ، اذا ما توفرت ديموقراطية فعلية ، ضمان مصالح التعليم باللغة الأم ، وتاريخ بلاد الطفل ، الخ ، **من دون** ان تقسم المدارس على اساس القوميات . ثم ان الادارة المحلية الذاتية الكاملة تعني من جهة أخرى استحالة فرض

---

١ ــ نسبة الى بيريدونوف ، الشخصية الرئيسية في رواية سولوغـوب «الابليس الخسيس» ، نموذج المعلم المستبد في روسيا القيصرية ، حيث كان الجو في المدارس خانقا ترتع فيه البيروقراطية والرتابة والبلادة . «ن.س»

اي شيء كان بواسطة الاكراه، وعلى سبيل المثال ، على الاطفـال الكاريليين الـ ٧١٣ في منطقة كيم (حيث لا يتجاوز عدد الاطفال الروس ٥١٤) ، او على الاطفال الزيريانيين الـ ٦٨١ في منطقـة بتشورا (١٥٣ روسيا) ، او على الليتونيين الـ ٢٦٧ في منطقة نوفغورود (اكثر من ٧٠٠٠ روسي) ، الخ ، الخ .

ان الدعاية للاستقلال الذاتي الثقافي القومي لغو باطل ليس له من مردود الآن غير قسم العمال ايديولوجيا . اما الدعايـــة لانصهار عمال جميع القوميات فانها تسهل نجاح التضامن الطبقي البروليتاري القادر على ضمان المساواة فـي الحقوق والتعايش السلمي بين جميع القوميات .

«بروليتارسكايا برافدا» ـ العدد ٧
١٤ كانون الاول ١٩١٣
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ١٩ ـ ص ٥٦٩ ـ ٥٧٢ .

البرنامج القومي
لحزب عمال روسيا
الاشتراكي ـ الديموقراطي

لقد اتخذ مشار اللجنة المركزية القرار المنشور في «البيان»(١) بصدد المسألة القومية وادرج مسألة البرنامج القومي في جدول اعمال المؤتمر .

اما لماذا وكيف احتلت المسألة القومية في الوقت الراهن مكانة الصدارة ـ في سياسة الثورة المضادة وفي وعي البورجوازية الطبقي وفي حزب روسيا الاشتراكي ـ الديموقراطي البروليتاري في آن واحد ـ فذلك ما يشير اليه القرار نفسه بالتفصيل . وليس هناك من حاجة بلا ادنى ريب للتوقف عنده ، اذ ان الوضع واضح كل الوضوح . وهذا الوضع واسس البرنامج القومي للاشتراكيين ـ الديموقراطيين قد تم تسليط الضوء عليها ، من وجهة نظر الادب النظري الماركسي ، في الفترة الاخيرة (يجب ان

---

١ ـ انظر «القرار حول المسألة القومية» . ـالمعرب ـ

نذكر هنا في المقام الاول مقالة ستالين) (۱) . ولهذا نرى ان من الانسب ان نقتصر في المقالة الحالية على طرح المسألة على صعيد الحزب فحسب ، وعلى توضيح النقاط التي لا تستطيع الصحافة الشرعية المخنوقة تحت نير الاضطهاد الستوليبيني ـ الماكلاكوفي ان تتكلم عنها .

ان الاشتراكية ـ الديموقراطية تؤسس نفسها في روسيا بالاستناد استنادا كاملا الى تجربة البلدان الاقدم عمرا ، اي اوروبا ، والى التعبير النظري عن هذه التجربة : الماركسية . ان خصوصية قطرنا وخصوصية اللحظة التاريخية لتأسيس الاشتراكية ـ الديموقراطية في هذا القطر تكمن أولا في ان الاشتراكية ـ الديموقراطية قد شرعت هنا ـ بخلاف اوروبا ـ تتكوّن **قبل** الثورة البورجوازية وما تزال مستمرة في تكونها **إبان** هذه الثورة . ثانيا ، ان النضال المحتوم في قطرنا من اجل تمييز الديموقراطية البروليتارية عن الديموقراطية البورجوازية بوجه‌عام والبورجوازية الصغيرة ـ وهو النضال المماثل في حقيقة الامر للنضال الذي عرفته الاقطار كافة ـ يدور في شروط انتصار نظري كامل للماركسية ، في الغرب وفي قطرنا . ولهذا فان شكل هذا النضال لا يتمثل في انه نضال من اجل الماركسية بقدر ما انه نضال مع او ضد النظريات البورجوازية الصغيرة التي تحتجب وراء جمل «ماركسية تقريبا» .

هكذا تسير الامور بدءاً من «الاقتصادية» (١٨٩٥ ـ ١٩٠١) و«الماركسية الشرعية» (١٨٩٥ ـ ١٩٠١ ، ١٩٠٢) . وأولئك

---

١ ـ يشير لينين هنا الى مقالة ستالين «المسألة القومية والاشتراكية ـ الديموقراطية» التي كتبها في ١٩١٢ ـ ١٩١٣ والتي تعرف اليوم باسم «الماركسية والمسألة القومية» . ـن.س ـ

الذين يخشون الحقيقة التاريخية هم وحدهم الذين يسعهم ان يتناسوا الصلة الوثيقة للغاية ، الصلة المباشرة والقرابة بين هذين التيارين وبين المنشفية (١٩٠٣ ــ ١٩٠٧) والتيار التصفوي (١٩٠٨ ــ ١٩١٣) .

وعلى صعيد المسألة القومية كانت «الإيسكرا» (١) القديمة ، التي اعدت إبان أعوام ١٩٠١ ــ ١٩٠٣ برنامج «ح.ع.ر.ا.د» في الوقت نفسه الذي كانت ترسي فيه أسس الماركسية لاول مرة وبصورة جذرية في نظرية الحركة العاملة في روسيا وممارستها، كانت «الإيسكرا» القديمة تناضل ، كما على صعيد سائر المسائل الاخرى ، ضد الانتهازية البورجوازية الصغيرة . وكانت هذه الانتهازية تعبر عن نفسها في المقام الاول في افتتانات البوند وذبذباته القومية النزعة . ولقد خاضت «الإيسكرا» القديمة ضد نزعة البوند القومية نضالا عنيدا ، ومن يتناسَ هذا النضال يدلل مرة أخرى على انه فاقد الذاكرة وينفصل عن الاساس التاريخي والايديولوجي لكل الحركة العاملة الاشتراكية ــ الديموقراطية في روسيا .

وقد شُن ايضا ، عند التصديق النهائي على برنامج «ح.ع.ر.ا.د » في آب ١٩٠٣ في المؤتمر الثاني ، نضال (لم يسجل في محاضر جلسات المؤتمر لان المسألة كانت تدور في **لجنة البرنامج**

---

١ ــ «الايسكرا» (الشرارة) : اول صحيفة ماركسية لعموم روسيا أسسها لينين في كانون الاول ١٩٠١ ، وكان لها دور كبير في تأسيس حزب عمال روسيا . وقد سقطت بين عامي ١٩٠٣ ــ ١٩٠٥ في ايدي المناشفة ، ومن هنا كان التمييز بين الايسكرا القديمة (اللينينية) والجديدة (المنشفية) . ــالمعربــ

التي كان المؤتمر بأسره تقريبا يتردد عليها) ضد المحاولة الخرقاء التي صدرت عن بعض الاشتراكيين ــ الديموقراطيين البولونيين للتشكيك في «حق الامم في تقرير مصيرها» ، اي للانزلاق الى مواقع الانتهازية والنزعة القومية من منحدر مغاير .

وإلى اليوم ايضا ، وبعد انصرام عشر سنوات ، ما يزال الصراع يدور على اساس **الخطين** الاساسيين الاثنين نفسيهما . الامر الذي يقيم البرهان مرة اخرى على الصلة العميقة القائمة بين هذا الصراع وبين جميع الشروط الموضوعية للمسألة القومية في روسيا .

ففي النمسا **رفض** مؤتمر برون (١٨٩٩) برنامج «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» (الذي دافع عنه كريستان وإيلنبوغن (١) الخ ، والذي وجد تعبيره في مشروع السلافيين الجنوبيين) . وبالمقابل تمت الموافقة على الاستقلال الذاتي القومي **الاقليمي** . والدعاية الاشتراكية ــ الديموقراطية بصدد الاتحاد الالزامي بين جميع المناطق القومية هي وحدها التي تمثل **تسوية** مع فكرة «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» . والمنظّرون الرئيسيون لهذه الفكرة التعيسة قد الحوا شديد الالحاح على ان هذه الفكرة **لا يمكن تطبيقها على اليهود** .

اما في روسيا ، **وكما يحدث دائما** ، فقد وجد أناس لم يتبنوا لانفسهم من هدف غير تطوير تلك الغلطة الانتهازيةالصغيرة الى نظام سياسي انتهازي . وكما ان برنشتاين في المانيا قد ولد في روسيا الكاديت اليمينيين ومن هم على شاكلة ستروفه وبولغانوف وطوغان وشركاهم ، كذلك فان «تناسي الاممية» من

---

١ ــ من زعماء الحزب الاشتراكي ــ الديموقراطي التشيكوسلوفاكي . ــ المعرب ــ

قبل أوتو باور (كما حكم بذلك كاوتسكي الذي ليس كمثله أحد في التحرز !) قد **ولد** في روسيا التبني **الكامل** لـ « الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» من قبل **جميع** الاحزاب البورجوازية اليهودية ومن قبل مجموعة كاملة من التيارات البورجوازية الصغيرة (البوند **ومشار** الاحزاب القومية الاشتراكية ــ الثورية في عام ١٩٠٧) . ان روسيا المتأخرة تقدم بنوع ما مثالا عن الطريقة التي تنتج بها الجراثيم الاوروبية الغربية فوق ترابنا الهمجي **أوبئة** حقيقية .

هناك من يحب ان يلاحظ عندنا ان برنشتاين «مقبول» في اوروبا ، ولكن من يلاحظ هذه الملاحظة ينسَ ان يضيف ان البرنشتاينية لم تولّد في اي مكان من العالم الستروفية باستثناء أمنا « المقدسة » روسيا ، وأن « الباورية » لم تؤد الا عندنا الى تبرير بعض الاشتراكيين ــ الديموقراطيين للنزعة القومية المهذبة للبورجوازية اليهودية .

ان «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» يمثل على وجه التحديد النزعة القومية الاكثر تهذيبا ، ولهذا السبب ، الاكثر ضررا . وهو يزرع الفساد في صفوف العمال بواسطة شعار الثقافة القومية والدعاية الضارة كل الضرر بل المعادية للديموقراطية عن ضرورة تقسيم التعليم على اساس القوميات . وباختصار ، ان هذا البرنامج يتناقض مطلق التناقض مع أممية البروليتاريا ، وهو لا يستجيب الا للمثل العليا للبورجوازيين الصغار القوميي النزعة .

ولكن هناك **حالة** يتوجب فيها على الماركسيين ، اذا كانوا لا يريدون ان يخونوا الديموقراطية والبروليتاريا ، ان يدافعوا عن مطلب خاص في المسألة القومية ، أعني : **حق** الامم في حرية تقرير المصير (الفقرة التاسعة من برنامج «ح.ع.ر.ا.د.د») ، اي في الانفصال السياسي . وقرار المشار يفسر ويبرر هذا المطلب

بقدر كبير من التفصيل ينعدم معه كل احتمال لسوء التفاهم .

ولهذا لن نتوقف ههنا الا للرد باقتضاب على الاعتراضات المدللة على جهل وانتهازية مطبقين ، والموجهة ضد ذلك البند من البرنامج . ولنلاحظ بالمناسبة انه **منذ الاعوام العشرة** التي مرت على وجود البرنامج ، لم يحاول اي **جزء** من «ح.ع.ر.إ.د». واي تنظيم قومي ، واي مشار مِنطقي ، واي لجنة محلية ، واي مندوب الى مؤتمر او مشار ، ان يثير مسألة تعديل الفقرة التاسعة او الغائها !

هذا ما لا يجوز لنا ان ننساه ابدا . وهذا ما يبين لنا دفعة واحدة ما اذا كانتهناك اوقية واحدة من الجدية والروح الحزبية في الاعتراضات ضد تلك الفقرة .

وها هوذا السيد سمكوفسكي ، من صحيفة المصفين، يصرح بخفة رجل صفى الحزب : «اننا ، لبعض الاعتبارات ، لا نشاطر روزا لوكسمبورغ اقتراحها الداعي الى الالغاء الكامل للفقرة التاسعة من البرنامج» (العدد ٧١ من ن.ر.غ) (١) .

اعتبارات سرية ! ولكن كيف لا يلجأ المرء الى «التكتم» عندما يكون جاهلا الى هذا الحد بتاريخ برنامجنا ؟ كيف لا يلجأ الى «التكتم» ، عندما يقبل السيد سمكوفسكي نفسه ، هو الذي لا ند له في خفته ، باستثناء بالنسبة الى فنلندا ؟

«كيف العمل ... اذا كانت البروليتاريا البولونية تريد ، في إطار دولة واحدة ، ان تخوض النضال المشترك مع كل بروليتاريا روسيا ، بينما تريد الطبقات الرجعية في المجتمع البولوني على العكس ان تفصل بولونيا عن روسيا . واذا ما جمعت في استفتاء

---

١ ــ اي «نوفايا رابوتشايا غازيتا» (الصحيفة العمالية الجديدة) : صحيفة المناشفة المصفين . ــالمعربــ .

غالبية الاصوات لصالح هذا المشروع ، فهل يتوجب علينا ، نحن الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الروس ، ان نقترع في البرلمان المركزي الى جانب رفاقنا البولونيين **ضد** الانفصال ، أم يتوجب علينا ان نقترع ، حتى لا ننتهك «الحق في حرية تقرير المصير»، **لصالح** الانفصال ؟ » .

كيف العمل ، بالفعل ، عندما تطرح اسئلة تدلل على مثل هذا القدر من السذاجة ومثل هذا القدر من تخليط عضال لا دواء له؟

ان **الحق** في حرية تقرير المصير يعني على وجه التحديد ، ايها السيد المصفي . ان المسألة يتولى حلها لا البرلمان المركزي وانما برلمان **الاقلية التي تنفصل** او دييتها او استفتاؤها . فعندما انفصلت النرويج (عام ١٩٠٥) عن السويد ، فان النرويج (الاصغر بمرتين من السويد) هي **وحدها** التي قررت ذلك .

ان الطفل نفسه يستطيع ان يتبين ان السيد سمكوفسكي يخلط الحابل بالنابل الى حد لا يصدق .

ان «الحق في حرية تقرير المصير» يستلزم نظاما ديموقراطيا لا تصبح معه الديموقراطية حقيقة واقعة فحسب ، بل **يستحيل** معه ايضا وجود حل **غير ديموقراطي** لمسألة الانفصال . والديموقراطية ، بصورة عامة ، لا تتنافى مع وجود نزعة قومية نشيطة ومضطهِدة . ولهذا تطالب البروليتاريا بديموقراطية **تحظر** الابقاء على أمة من الامم بالاكراه في إطار الدولة . ولهذا يتوجب علينا ، «حتى لا ننتهك الحق في حرية تقرير المصير» ، **لا ان** «نقترع لصالح الانفصال» كما يفترض ذلك الذكي السيد سمكوفسكي ، بل ان نقترع حتى يسمح للمنطقة التي تنفصل بأن تحل **بنفسها** هذه المسألة .

ومن الواضح انه ليس من الصعب ، حتى بطاقات السيد سمكوفسكي الفكرية ، ان ندرك ان «**حق** الطلاق» لا يستدعي **اقتراعا** لصالح الطلاق ! ولكن هذا هو مصير نقاد الفقرة التاسعة

الذين يتناسون أوليات المنطق !

حين انفصلت النرويج عن السويد، **كان واجبا** على البروليتاريا السويدية ، اذا كانت لا تريد ان تسير في ركاب البورجوازية الصغيرة القومية النزعة ، ان **تقترع** وأن تقوم بالتحريض ضد ضم النرويج بالاكراه ، على نحو ما كان يسعى اليه الكهنة ونبلاء الريف في السويد . وهذه نقطة واضحة وغير صعبة الفهم . وبالمقابل كان في مستطاع الديموقراطية السويدية القومية النزعة الا تقوم بهذا التحريض الذي يتطلبه مبدا **الحق** في حرية تقرير المصير من بروليتاريا الامم **ذات السيادة** التي تمارس **الاضطهاد.**

يتساءل السيد سمكوفسكي : «كيف العمل اذا كانت الغالبية مع الرجعيين ؟» . وهذا ، بالحق ، سؤال جدير بتلميذ في العاشرة من العمر . وكيف العمل ازاء الدستور **الروسي** اذا ما أعطى اقتراع ديموقراطي الغالبية للرجعيين؟ ان السيد سمكوفسكي يطرح سؤالا باطلا ، أجوف ، غير ذي نفع عملي ، سؤالا من تلك الاسئلة التي يقال ان سبعة من الحمقى يستطيعون ان يطرحوا منها اكثر مما يستطيع سبعون شخصا عاقلا الاجابة عليها .

عندما يفوز الرجعيون بالغالبية في اقتراع ديموقراطي ، فان ما يحدث وما يمكن ان يحدث عادة هو احد امرين : اما ان يوضع قرار الرجعيين موضع تطبيق وآنذاك تدفع نتائجه المشؤومة بالجماهير بهذا القدر او ذاك من السرعة الى معسكر الديموقراطية وضد الرجعيين ، واما ان يُسوى الصراع بين الديموقراطية والرجعيين بحرب اهلية او أخرى ، بحرب ممكنة حتى في ظل النظام الديموقراطي (لا ريب في ان السمكوفسكيين انفسهم قد سمعوا بوجودها) .

يؤكد السيد سمكوفسكي قائلا : «ان الاعتراف بالحق في حرية تقرير المصير «يلعب لعبة» النزعة القومية الاكثر ترسخا». وهذا هذر صبياني ، لان الاعتراف بهذا **الحق** لا يتنافى البتة لا

مع الدعاية والتحريض **ضد** الانفصال ، ولا مع فضح النزعة القومية البورجوازية . وبالمقابل فان ما لا شك فيه ان نفي **الحق** في الانفصال «يلعب لعبة» النزعة القومية **الروسية – الكبيرة الرجعية الاكثر ترسخا !**

هذه هي عقدة خطأ روزا لوكسمبورغ المضحك الذي جعلها عرضة دائمة للهزء ، منذ عهد بعيد ، في أوساط الاشتراكية – الديموقراطية الالمانية والروسية (آب ١٩٠٣) : فخوفا من لعب لعبة النزعة القومية البورجوازية للامم المضطهَدة تلعب لعبة النزعة القومية لا البورجوازية فحسب بل حتى المئة – السودية للأمة التي **تضطهِد** .

ولو لم يكن السيد سمكوفسكي طاهرا مثل هذه الطهارة العذرية فيما يتعلق بتاريخ الحزب وبرنامج الحزب ، لفهم ان واجبه هو دحض بليخانوف الذي اكد **بصفة خاصة** ، في معرض دفاعه **قبل ١١ عاما** في «زاريا» (١) عن مشروع برنامج ح.ع.ر.ا.د (الذي صار برنامجه في عام ١٩٠٣) ، على ضرورة الاعتراف بالحق في حرية تقرير المصير ، وكتب في هذا الصدد:

«ان هذا المطلب ، غير الالزامي للديموقراطيين البورجوازيين، حتىعلى صعيد النظرية، إلزامي بالنسبة الينا بوصفنا اشتراكيين – ديموقراطيين . واذا ما تناسيناه واذا لم نجرؤ على صيانته ، خشية جرح الآراء المسبقة القومية لمواطنينا الروس الكبار ، فان صيحة تضافر الاشتراكية – الديموقراطية الاممية : «يا عمال

---

١ – «زاريا» (الفجر) : مجلة علمية وسياسية ماركسية ، كانت تطبعها في شتوتغارت في ١٩٠١ – ١٩٠٢ هيئة تحرير «الايسكرا» . وقد تخصصت المجلة في نقد التحريفية الروسية والاممية وفي الدفاع عن الاسس النظرية للماركسية.

« ن.س»

جميع الاقطار ، اتحدوا !» ستصبح على لساننا كذبة صفيقة » .

ولقد أورد بليخانوف منذ ذلك الحين في «زاريا» الحجة الرئيسية التي طورها قرار المشار بالتفصيل ، الحجة التي لم يتمكن السادة السمكوفسكيون طوال ١١ عاما ان يعقدوا العزم على النيل منها والمساس بها . ففي روسيا ٤٣ بالمئة من الروس – الكبار ، ولكن النزعة القومية – الروسية الكبيرة تسيطر على ٥٧ بالمئة من السكان وتسحق جميع الامم . ولقد انضم عندنا القوميون – الليبيراليون الى القوميين – الرجعيين (ستروفه وشركاه ، التقدميون ، الخ) ، وظهرت «موجات السنونو الاولى» البشيرة بالنزعة القومية – الديموقراطية (تذكروا نداء السيد بيشيخونوف في آب ١٩٠٦ الى مراعاة آراء الموجيك القومية المسبقة) (١) .

ان المصفين هم وحدهم الذين يرون ان الثورة الديموقراطية البورجوازية قد اكتملت وانتهت في روسيا. والحال ان **مثل** هذه الثورة قد اقترنت وتقترن في كل مكان من العالم بحركات قومية. وفي روسيا على وجه التحديد نرى في العديد من التخوم أمما مضطهَدة تتمتع بحرية اكبر في الدول المجاورة . ان القيصرية اكثر رجعية من الدول المجاورة ، وهي تشكل **اكبر** عقبة في وجه التطور الاقتصادي الحر وتؤجج بكل قواها جذوة النزعة القومية الروسية – الكبيرة . ومن المؤكد بالنسبة الى الماركسي ان الدول الكبيرة افضل دوما من الصغيرة **في حال تساوي جميع الشروط الاخرى** . ولكن من المضحك ومن الرجعية القبول ولو بفكرة وجود مساواة بين الشروط في ظل الملكية القيصرية وبين شروط جميع

---

١ – يشير لينين هنا الى مقال كتبه أ. بيشيخونوف في مجلة «روسكويه بوغاتستفو» في آب ١٩٠٦ . «ن.س»

الدول الاوروبية وغالبية الدول الآسيوية .

ولهذا فان نفي حق الامم في حرية تقرير مصيرها في روسيا اليوم لهو انتهازية صارخة ورفض للنضال ضد النزعة القوميـة الروسية ـ الكبيرة الرجعية التي ما تزال في عز قوتها .

«سوسيال ـ ديموقراط» ـ العدد ٢٢
١٥ (٢٨) كانون الاول ١٩١٣
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ١٩ ـ ص ٥٧٨ ـ ٥٨٤ .

مرة أخرى حول تقسيم المدارس على أساس القوميات

يخوض الماركسيون نضالا حازما ضد النزعة القومية في شتى اشكالها ، بدءاً من النزعة القومية الفظة والرجعية ، نزعة أوساطنا الحاكمة وأحزاب اليمين الاوكتوبرية ، الى النزعة القومية المشذبة والمموهة بهذا القدر او ذاك ، نزعة الاحـزاب البورجوازيـة والبورجوازية الصغيرة .

ان النزعة القومية الرجعية او المئة ـ السودية تسعى الـى ضمان الامتيازات لأمة واحدة ، قاضية على سائر الامم الاخرى بعبودية تتصف باللامساواة في الحقوق ، بل بانعدام الحقـوق انعداما كاملا . ولا يستطيع اي ماركسي ، بل اي ديموقراطي ، ان ينظر الى مثل هذه النزعة القومية غير نظرة العدام المستحكم.

اما النزعة القومية البورجوازية والديموقراطية البورجوازية فانها تعترف لفظا بتساوي الامم في الحقوق وتدافع في الواقع (خلسة في غالب الاحيان ومن وراء ظهر الشعب) عن بعـض الامتيازات لأمة من الامم وتسعى دوما الى الحصول على اكبـر المكاسب لأمت«ها» (اي لبورجوازية أمتها) وتعمل على قسم الامم وعزلها وعلى تطوير النزعة الانفرادية القومية الخ . ان النزعـة القومية البورجوازية ، اذ تتكلم بوجه خاص عن «الثقافة القومية»

وتشدد اللهجة على ما يميز أمة عن اخرى ، **تقسم عمال** مختلف الامم وتضللهم بواسطة «شعارات قومية» .

ان العمال الواعين يكافحون **كل** اضطهاد قومـــــي **وجميع** الامتيازات القومية ، ولكنهم لا يكتفون بهذا . انهم يكافحون كل نزعة قومية ، حتى النزعة الاكثر تهذيبا ، اذ يؤكدون ويكررون التوكيد لا على وحدة عمال **جميع** القوميات فحسب ، بل ايضا على **انصهارهم** في النضال ضد الرجعية والنزعة القوميـــــة البورجوازية بمختلف انواعها . فليست مهمتنا تمييز الامم بعضها عن بعض ، بل توحيد عمال جميع الامم . وليست « الثقافـــة القومية» هي المنقوشة على رايتنا ، وانما الثقافة **الاممية** التـــي تذيب الامم جميعا في وحدة اشتراكيـــة عليا وتهيىء من الآن التوحيد الاممي للرأسمال .

ان تأثير النزعة القومية البورجوازية الصغيرة قد انتقلت عدواه حتى الى بعض «الاشتراكيين ــ هم ــ أنفسهم» ممـــن يدافعون عن «الاستقلال الذاتي المزعوم في مضمار الثقافـــة والتربية» ، اي تحويل التعليم (وبوجه عام جميع المسائل المتعلقة بالثقافة القومية) من أيدي الدولة الى أيدي مختلف الامم . ومن المفهوم ان يناضل الماركسيون ضد هذه الدعايـــة **لتمايز الامم** ، ضد هذه النزعة القوميـــة المشذبة ، **ضد تقسيم المدارس على اساس القوميات**. وعندما اراد البونديون ، ومن بعدهم المصفون، ان يدافعوا ، **غصبا** عن البرنامج ، عن «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» ، أدانهم لا البلاشفة فحسب بل ايضا المناشفة المناصرون للحزب (بليخانوف) .

ويحاول الآن السيد آن (١) في «نوفايا رابوتشايا غازيتـــا»

---

١ ــ آن : الاسم المستعار لجوردانيا زعيم مناشفة القفقاس . «ن.س»

(العدد ١٠٣) ان يدافع عن هذه القضية الخاسرة بتحويله مجرى المسألة وبإغراقه ايانا بالشتائم . اما بالنسبة الى الشتائم فاننا نقصيها جانبا بكل اطمئنان ، فهي ليست الا الدليل على عجز المصفين .

يؤكد السيد آن قائلا : «ان المدارس بلغة الأم تعني على وجه التحديد تقسيما للتعليم على اساس القوميات . ان البرافديين يريدون ان ينتزعوا من الاقوام الغريبة مدارسها القومية ! » .

ان مسلك السيد آن هذا لا يستدعي الا الضحك ، لان الجميع يعرفون ان البرافديين انصار لتساوي اللغات المطلق ، بل لعدم جدوى اللغة الرسمية ! ولكن السيد آن بدأ يفقد صوابه في غضبته العاجزة : هذا خطر ، ايها العزيز السيد آن !

ان حقوق لغة الأم معترف بها على أوضح وأدق ما يكون الاعتراف في الفقرة الثامنة من برنامج الماركسيين (١) .

ولو كان السيد آن محقا في قوله ان المدارس بلغة الأم تمثل تقسيما للتعليم على اساس القوميات ، فما كانت حاجة البونديين في عام ١٩٠٦ والمصفين في عام ١٩١٢ الى «اكمال» (او بالاحرى الى **تشويه**) برنامج اعترف **كامل** الاعتراف في عام ١٩٠٣ **بلغة** الأم في نفس المؤتمر الذي **نبذ** «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي»؟

كلا ، يا سيد آن ، انت لن تنجح في تحويل مجرى المسألة وفي تغطية **انتهاك** المصفين لذلك البرنامج و«تكييفهم الاشتراكية مع النزعة القومية » على حد تعبير الرفيق بليخانوف بجعجعتك

---

١ ـ الفقرة الثامنة من برنامج حزب عمال روسيا الاشتراكي ـ الديموقراطي الذي أقره المؤتمر الثاني للحزب في عام ١٩٠٣ . وهي تعلن عن حق السكان في تلقي التعليم بلغة الأم ، وحق كل مواطن في التعبير عن آرائه بلغة الام في الاجتماعات ، وحق استعمال لغة الام بنفس صفة اللغة الرسمية في دوائر الدولة والمؤسسات العامة . «ن.س»

وصراخك وشتائمك .

اننا لا نريد ان يُنتهك البرنامج . لا نريد تكييف الاشتراكية مع النزعة القومية . اننا ندافع عن الديموقراطية الكاملة والحرية التامة وتساوي اللغات ، ولكن هذا لا يجعلنا ندعو الى «نقل التعليم الى الامم» والى «تقسيم المدارس على اساس القوميات».

يكتب السيد آن : «ان المسألة كلها تكمن في تقسيم المدارس على اساس الامم . ينبغي اذن ان تأخذ اماكنها فيها تلك الامم التي يمنع بعضها بعضا من التطور ، **وينبغي بالتالي تحديد حدودها وحصرها** في ميدان التعليم العام» .

ان الكلمات التي سوّدناها تكشف النقاب عن الكيفية التي جرف بها التيار التصفوي السيد آن من الاشتراكية الى النزعة القومية. ان **تحديد حدود** الامم في إطار دولة واحدة لشيء ضار ، واننا لنسعى، نحن الماركسيين، **الى تقريبها بعضها من بعض وتذويبها.** وليس هدفنا «تحديد حدود» الامم ، بل ضمان تساويها في الحقوق وتعايشها السلمي (نسبيا) على نحو ما هو متحقق في سويسرا ★ ، بواسطة الديموقراطية الكاملة .

«بروليتارسكايا برافدا» ـ العدد ٩
١٧ كانون الاول ١٩١٣
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ١٩ ـ ص ٥٨٨ ـ ٥٩٠

★ يؤكد السيد آن بجراة انه «**لا** وجود **لا**ختلاط بين **الامم في مقاطعات** سويسرا» . ألن يحمر خجلا اذا ذكرنا له **اربع مقاطعات** : بيرن ، فريبورغ ، غروبوندن ، فاليه ؟

هل هناك حاجة الى لغة رسمية إلزامية ؟

يتميز الليبيراليون عن الرجعيين من حيث انهم يعترفون ، بالنسبة الى المدرسة **الابتدائية** على الأقل، بحق التعليم بلغة الأم. ولكنهم ينحازون الى صف الرجعيين كل الانحياز عندما يقولون ان اللغة الرسمية الزامية .

ما يعني هذا ؟ هذا يعني ، عمليا ، ان لغة الروس ـ الكبار، الذين يؤلفون **أقلية** سكان روسيا ، مفروضة على سائر السكان . ففي كل مدرسة يجب ان يكون تعليم اللغة الرسمية الزاميا . وجميع القضايا الرسمية يجب ان تنصرف الزاميا باللغة الرسمية لا بلغة السكان المحليين .

فما مبرر ضرورة اللغة الرسمية الالزامية في نظر الاحزاب التي تدافع عنها ؟

ان «حجج» المئة السود مقتضبة كما هو موقع : من الواجب تشديد القبضة على جميع الاقوام الغريبة وعـــدم السماح لها ب «الانفلات» . ومن الواجب ان تكون روسيا غير قابلة للانقسام، وان تخضع جميع الشعوب لسلطة الروس ـ الكبار الذين كانوا ـ في نظر المئة السود ـ بناة الارض الروسية وموحديها . وعلى هذا فان لغة الطبقة الحاكمة يجب ان تكون اللغة الرسميـــة الالزامية . بل ان الســـادة البوريشكيفيتشيين ينظرون بعين الرضى الى اي محاولة لتحظير تلك «الرطانات» التي هــي اداة

تعبير ٦٠ بالمئة من سكان روسيا غير الروس تحظيرا تاما قاطعا.

اما موقف الليبيراليين فهو بلا مراء اكثر «نعومة» واقل «فجاجة» . فهم يرون انه من الواجب ضمن بعض الحدود (في المدرسة الابتدائية على سبيل المثال) السماح بلغة الأم . ولكنهم يدعون في الوقت نفسه الى الاستخدام الالزامي للغة رسمية ، ضرورية في نظرهم لصالح «الثقافة» وروسيا «الواحدة» و«غير القابلة للانقسام» الخ .

«ان تنظيم الدولة هو توكيد لوحدة ثقافية ... والثقافة على مستوى دولة تقتضي بالضرورة وجود لغة رسمية ... ومن يقل دولة يقل وحدة السلطة ، واللغة الرسمية هي اداة هذه الوحدة. وهي تتمتع بنفس القوة القسرية وبنفس الطابع الالزامي اللذين تتمتع بهما سائر الاشكال التي تعبر بها الدولة عن نفسها ...

«واذا كان من الواجب ان تبقى روسيا واحدة وغير قابلة للانقسام ، فلا بد من الدفاع بحزم عن المبدأ الداعي الى الاستخدام الالزامي للغة الادبية الروسية من وجهة نظر مصالح الدولة» .

تلكم هي فلسفة الليبيرالي النموذجية فيما يتعلق بضرورة لغة رسمية .

لقد اقتبسنا هذه المقاطع من مقال السيد باتراشكين المنشور في صحيفة «دين» (١) الليبيرالية (العدد ٧) . ولاسباب مفهومة تماما وثبت صحيفة المئة السود «نوفويه فريميا» (٢) على عنق

---

١ ـ «دين» (النهار) : صحيفة بورجوازية ليبيرالية كان يشارك المناشفة في تحريرها . «ن.س» .

٢ ـ «نوفويه فريما» (الازمنة الحديثة) : صحيفة ليبيرالية في البداية ، ثم ناطقة بلسان النبلاء والبيروقراطيين الرجعيين ، ثم بلسان المئة السود بعد عام ١٩٠٥ . «ن.س»

كاتبه . فقد عبر السيد باتراشكين ههنا ، على حد تعبير صحيفة منشيكوف (العدد ١٣٥٨٨) ، عن «افكار سليمة تماما» . وانما بسبب هذه الافكار «السليمة» تماما لا ينضب للمئة السود معين في تقريظ الصحيفة القومية ـ الليبيرالية «روسكايا ميسل» . وكيف لا يكال المديح لليبيراليين ما داموا يدعون ، بالاستناد الى حجج «ثقافية» ، الى ما هو موضع الاعجاب الشديد لدى جماعة «نوفويه فريما» ؟

يقول لنا الليبيراليون : ان اللغة الروسية عظيمة وقوية . فكيف تعارضون ان يتعلم سكان جميع المناطق الواقعة في اطراف روسيا هذه اللغة العظيمة جدا والقوية جدا ؟ الا تدركون اذن ان اللغة الروسية ستغني ادب الاقوام الغريبة ، وانها ستتيح لها امكانية الوصول الى أرفع القيم الثقافية ، الخ ؟

ونحن نجيبهم : هذا كله صحيح ، ايها السادة الليبيراليون . ونحن نعرف خيرا منكمان لغة تورغنيف وتولستوي ودوبروليوبوف وتشيرنيشفسكي عظيمة وقوية . ونحن نرغب اكثر منكم في ان تقوم ، بين الطبقات المضطهَدة من جميع الامم التي تقطن روسيا بلا استثناء ، أوثق العلاقات ووحدة اخوية . واننا لنتمنى ، هذا بدهي ، لو تتاح لكل مواطن في روسيا امكانية تعلم اللغة الروسية ـ الكبيرة .

وليس هناك الا شيء واحد لا نرغب فيه : **الاكراه** . اننا لا نريد ان ندفع بالناس الى الجنة بضربات الهراوة . ذلك انكم مهما رصفتم العبارات الجميلة عن «الثقافة» فان فرض لغة رسمية **الزامية** يعني دقها في الرأس بالاكراه . واننا لنرى ان اللغة الروسية العظيمة والقوية ليست بحاجة الى ارغام اي كائن كان على تعلمها **تحت تهديد الهراوة** . واننا لمقتنعون بأن تطور الراسمالية في روسيا ، وبصورة عامة ، كل مسار الحياة الاجتماعية ، يؤدي الى تقارب متبادل بين الامم . ان مئات الآلاف

من الناس يتمازجون من أقصى روسيا الى أقصاها ، وسكان مختلف القوميات يختلطون ، وخصوصية الامم السادرة في انعزالها مقضي عليها بالزوال . وأولئك الذين يحتاجون الى تعلم الروسية بحكم شروط حياتهم وعملهم ، سيتعلمونها من غير ان يعرضوا انفسهم للهراوة . اما القسر (الهراوة) فلن تكون له من نتيجة غير عرقلة تغلغل اللغة الروسية العظيمة والقوية الى سائر المجموعات القومية ، وهو سيشحذ بوجه خاص حدة العداء ، وسيخلق الف نقطة احتكاك جديدة ، وسيقوي ساعد الغيظ واللاتفاهم المتبادل ، الخ .

فمن سيستفيد من ذلك ؟ ليس شعب روسيا ، ليس الديموقراطية الروسية . ان شعب روسيا **لا يقبل** بأي اضطهاد قومي ، حتى لو كان «في صالح الثقافة والدولة الروسيتين» .

ولهذا يقول الماركسيون الروس **انه يجب ألا تكون هناك** لغة رسمية الزامية ، وانما ينبغي ان توضع تحت تصرف السكان مدارس يقدم فيها التعليم بكل اللغات المحلية ، وان يندرج في الدستور قانون اساسي يلغي جميع الامتيازات ، ايا كانت ، الممنوحة لاحدى الامم دون غيرها ، ويلغي جميع الانتهاكات ، ايا كانت ، لحقوق الاقلية القومية ...

«برولتارسكايا برافدا» العدد ١٤
١٨ كانون الثاني ١٩١٤
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٢٠ — ص ٦٧ — ٦٩ .

مخطط لعرض حول المسالة القومية [1]

(مقتطف)

● النزعة القومية هي احدى علائم كل ثورة **مضادة** .

● ينبغي ان تطرح المسألة القومية على الصعيد **التاريخي** وعلى الصعيد الاقتصادي . ان المسألة القومية ظاهرة **عالمية** .

● عصر الحركات القومية (نهاية العصر الوسيط ـ بداية العصور الحديثة) هو عصر الثورات **الديموقراطية البورجوازية** .

● ما هي أسسها الاقتصادية ؟ ان الرأسمالية بحاجة الى سوق داخلية متراصة . والسوق هي مركز العلاقات التجارية . والأداة الرئيسية للعلاقات التجارية بين البشر **هي اللغة** .

● توحيد المناطق القومية (بعث اللغة ، اليقظة القومية ، الخ) وانشاء **الدولة القومية** هما ضرورة اقتصادية .

● البنية السياسية المناسبة للاقتصاد . الديموقراطية وسيادة الامة . **ومن هنا كانت «الدولة القومية»** . . .

---

١ ـ القى لينين عرضا حول المسألة القومية في باريس ثم في ليبج في مطلع عام ١٩١٤ . ولم يبق لنا من هذا العرض الا هذا المخطط الذي اقتبسنا منه ههنا أطروحاته الاساسية . ـالمعربـ

● الدولة القومية هي **القاعدة العالمية** (ك. كاوتسكي) و«دولة القوميات هي الاستثناء» .

● يظن بعضهم ان الدولة القومية تنطوي على قدر من النزعة القومية **اكبر** مما ينطوي عليه الاستقلال الذاتي القومي الثقافي . هذا خطأ ساذج ومضحك ! فالدولة القومية هي القاعدة في تجربة التاريخ العالمي . اما الاستقلال الذاتي القومي الثقافي فليس الا اختراعا من قبل مثقفين تافهين لم يطبق في اي مكان .

● عصر الثورات القومية (الديموقراطية البورجوازية) في القرن التاسع عشر (ايطاليا ، المانيا) . هذا العصر قد انتهى الآن في اوروبا الغربية . **وقد بدأ لتوه في اوروبا الشرقية ، وكذلك في آسيا ...**

● يفعل باور بالنزعة القومية ما فعله برودون بالراسمالية : انه يصورها بألوان مغرية ويضفي عليها طابعا مثاليا .

● لدى أ. باور : نظرية مثالية عن الامة .

● اللغة العالمية قد تكون الانكليزية ، ربما + الروسية .

● **المبدأ الديموقراطي** في المسألة القومية **مرتبط ارتباطا لا فكاك معه بالشروط التاريخية والاقتصادية** للحركات القومية .

● الثورة الديموقراطية البورجوازية **مستحيلة** اذا لم توجد حركة قومية تصبو الى تأسيس دول **قومية** (في روسيا) .

● مكانة روسيا في الحلبة الاممية : الى جانب النمسا (حيث لم تنته الثورة البورجوازية فيما يتعلق بالمسألة القومية) وآسيا التي تستيقظ (الصين الجمهورية) .

● ليست بولونيا وانفصالها اساس المشكلة وانما **الموجيك الروسي** .

● للتصدي لنزعة الموجيك الروسي القومية لا تكفي المطالبة بوضع حد لاضطهاد الامم ، والمطالبة بالاستقلال الذاتي ، بل يجب مطلق الوجوب المطالبة بالاعتراف **بحق الانفصال** .

● نفي حق الانفصال معناه مساعدة القيصرية **وتشجيع** النزعة القومية للموجيك الروسي .

● لا يجوز لأي امة ولأي لغة ان تتمتع بأدنى امتياز : هذه هي ابجدية الديموقراطية والتضامن العمالي .

كتب على الارجح في كانون الثاني ١٩١٤
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٤١ – ص ٣١٧ – ٣٢٨

كلمة اخرى حول « النزعة القومية »

في ايامنا هذه التي تبذل فيها المحاولات لتلفيق قضية ثانية على غرار قضية بيليس (١) ، من المفيد ان نتابع باهتمام اكبر الى اين وصل تحريض القوميي النزعة . وقد اظهر المؤتمر الثاني لممثلي «اتحاد روسيا القومي» ، الذي انعقد مؤخرا ، طبيعة ذلك التحريض بوضوح ما بعده وضوح .

ومن فادح الخطأ ان نحسب هذا التحريض تافها لا تأثير له، انطلاقا من واقع ان كل «اتحاد روسيا» ذاك ، المتمثل جملة وتفصيلا ب ٢١ مندوبا قدموا من جميع أرجاء البلاد ، تافه ووهمي. وبالفعل ، ان «اتحاد روسيا القومي» تافه ووهمي ، ولكن دعايته تحظى بتأييد جميع الاحزاب اليمينية وجميع الادارات **الرسمية** ، وتنشر في كل مدرسة في الريف ، وفي كل ثكنة ، وفي كل كنيسة .

وإليكم هذا الخبر الصحفي بصدد احد التقارير التي تليت في

---

١ ـ محاكمة استفزازية نظمتها في كييف في عام ١٩١٣ الحكومة القيصرية ضد اليهودي بيليس ، اذ اتهمته زورا بأنه قتل لدوافع دينية طقسية الغلام المسيحي ايوشتسنسكي الذي اغتالته في الواقع عصابة المئة السود . وقد كان هدف القيصرية والرجعية تأجيج المشاعر اللاسامية . «ن.س»

ذلك المؤتمر في ٢ شباط :

لقد قدم عضو دوما الدولة سافنكو، تقريرا عن «المازيبية»(١) التي هي ، في لغة القوميي النزعة ، اسم الحركة الاوكرانية . ويرى المقرر ان المطامح التي تعلن عن نفسها في أوساط الروس البيض والاوكرانيين الى النزعة الانفصالية خطرة كل الخطورة . والحركة الاوكرانية بوجه خاص تمثل خطرا كبيرا وحقيقيا على وحدة روسيا . والبرنامج الفوري للاوكرانيين هو المطالبة باتحادية اوكرانيا وباستقلالها الذاتي .

«ويعلق الاوكرانيون آمالهم في تحقيق استقلالهم الذاتي على هزيمة روسيا في الحرب المقبلة التي ستنشب بينها وبين النمسا ـ المجر وألمانيا . فعلى انقاض روسيا الكبرى ستؤسس، تحت ظل آل هابسبورغ (٢) ، وفي حدود النمسا ـ المجر ، بولونيا وأوكرانيا مستقلتان ذاتيا ...

«ولو نجح الاوكرانيون حقا في انتزاع الثلاثين مليون روسي ـ صغير (٣) من الشعب الروسي ، لكانت في ذلك نهاية امبراطورية روسيا الكبرى (تصفيق) » .

لمَ لا تلحق اذن تلك «الاتحادية» الضرر بوحدة الولايات المتحدة الاميركية الشمالية او بوحدة سويسرا ؟ لمَ لا يعرض

---

١ ـ نسبة الى مازيبا (١٦٤٤ ـ ١٧٠٩) : حاكم أوكراني ، تزعم الحركة الرامية الى فصل اوكرانيا عن روسيا وتحويلها الى دولة تحت الحماية البولونية او السويدية . «ن.س»

٢ ـ آل هابسبورغ : السلالة الحاكمة للامبراطورية النمسوية ـ المجرية . ـ المعرب ـ

٣ ـ كان الاوكرانيون يلقبون بالروس الصغار تمييزا لهم عن الروس الكبار وكذلك عن شعوب روسيا غير الروسية . ـ المعرب ـ

«الاستقلال الذاتي» للخطر وحدة النمسا ــ المجر ؟ بل لمَ دعّم «الاستقلال الذاتي» لفترة طويلة من الزمن وحدة انكلترا وعدد كبير من مستعمراتها ؟

لقد صور السيد سافنكو «النزعة القومية» العزيزة على قلبه تصويرا بالغ الحماقة الى درجة رحب معها من كل قلبه بدحض أفكاره . فاستقلال اوكرانيا الذاتي «يهدد» ، كما ترون ، وحدة روسيا ، في حين ان الانتخاب العام والاستقلال الذاتي لمختلف اجزاء النمسا ــ المجر يدعمان وحدة هذه الاخيرة ! أليس هذا غريبا ؟ الا تحث الدعاية «القومية النزعة» قراءها ومستمعيها على التساؤل لمَ لا يمكن لوحدة روسيا ان **تُدعم** بمنح الاستقـــلال الذاتي لأوكرانيا ؟

ان النزعة القومية لكبار الملاك العقاريين والبورجوازيين تبذل قصارى جهدها ، عن طريق اضطهاد «الاقوام الغريبة» ، لقسم الطبقة العاملة وافسادها حتى يسهل تخديرها . والعمال الواعون يردون على هذه المناورة بدفاعهم **في الممارسة** عن المساواة المطلقة في الحقوق وعن **وحدة** عمال جميع القوميات .

ان السادة القوميي النزعة ، باعلانهـــم ان الروس البيض والاوكرانيين أقوام غريبة ، ينسون ان يضيفوا ان السكان في روسيا لا يضمون اكثر من ٤٣ بالمئة من الروس ــ الكبار (الذين هم وحدهم من غير «الغرباء») . وهذا معناه ان «الغرباء» هم الغالبية ! فكيف يمكن للاقلية ان تحتجز الاكثريـــة من غير ان تمنحها **مزايا** ، مزايا الحرية السياسيـــة والمساواة القوميـــة والاستقلال الذاتي المحلي والمِنطقي ؟

ان القوميي النزعة باضطهادهم الاوكرانيين وغيرهم بسبب «انفصاليتهم» وطموحهم الى الاستقلال الذاتي انما يدافعون عن **حق** الملاك العقاريين الروس ــ الكبار والبورجوازية الروسية ــ الكبيرة في **امتلاك الامتيازات** في دولة«هم» . والطبقة العاملة هي

ضد الامتيازات **كافة** ، ولهذا تدافع عن **حق** الامم **في** تقرير مصيرها بنفسها .

ان العمال الواعين لا يدعون الى **الانفصال** . فهم يعرفون مزايا الدول الكبيرة واتحاد الجماهير الواسعة من العمال . ولكن الدول الكبيرة لا يمكن ان تكون ديموقراطية ما لم تتمتع جميع الامم بالمساواة المطلقة في الحقوق ، ومثل هذه المساواة **تشتمل** ايضا على **الحق** في الانفصال .

ان النضال ضد النير القومي النزعة وضد الامتيازات القومية النزعة مرتبط ارتباطا غير قابل للانفصام بالدفاع عن ذلك الحق.

«بوت برافدي» ـ العدد ١٧
٢٠ شباط ١٩١٤
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٢٠ ـ ص ١٠٨ ـ ١١٠

حول السياسة القومية [١]

بودي ان اتوقف عند سياسة حكومتنا فيما يتعلق بالمسألة القومية . فهذه المسألة هي من أهم المسائل التي تدخل في بلادنا ضمن «نطاق اختصاص» وزارة الداخلية . ومنذ المناقشة الاخيرة لميزانية هذه الوزارة في دوما الدولة تضع طبقاتنا الحاكمة المشكلة القومية في جدول الاعمال ؛ وهي مشكلة لا تني تتلبس طابعا متزايد الحدة .

لقد لفتت قضية بيليس من جديد انتباه العالم المتمدين الى روسيا اذ أماطت اللثام عن الوضع المخزي السائد في بلادنا . فليس في روسيا شيء يشبه من قريب او بعيد الشرعية . وكل شيء مباح للادارة وللشرطة عندما يكون القصد اضطهاد اليهود بلا رسميات وبلا حياء . كل شيء مباح ، بما فيه التستر على الجريمة ووأدها . هذا ما يستبين من قضية بيليس التي اثبتت

---

١ ـ ان دراسة لينين «حول السياسة القومية» هي مشروع خطاب كان يفترض أن يلقيه في دوما الدولة احد النواب البلاشفة . ولكن الخطاب لم يلق نظرا الى طرد النواب اليساريين من الدوما . وقد ضاعت بعض الصفحات من مخطوطة الخطاب . «ن.س»

وجود صلة وثيقة وحميمة (١) ...

وتدليلا على انني لا أبالغ اذ اتكلم عن جو المذابح الطائفية المخيم على روسيا ، فان في وسعي ان أورد شهادة مؤلف «لا خطر منه»، مؤلف هو اكثر المؤلفين محافظة ، شهادة رجل «يصنع الوزراء»، أعني الامير مشتشرسكي . اليكم ما يقوله «روسي من كييف» اورد كلماته في مجلته «غراجدانين» (٢) :

«ان الجو الذي نحيا فيه يخنقنا : فأنى ذهبنا قابلتنا وشوشات المتآمرين ، وفي كل مكان ظمأ الى الدم ، وفي كل مكان نتن الوشايات ، وفي كل مكان الكراهية ، وفي كل مكان شكايات ، وفي كل مكان نواح ...» (٣) . الهواء السياسي الذي نتنشقه في روسيا . وفي مثل هذا الجو يصبح الكلام عن الحقوق والشرعية والدستور وما الى ذلك من السذاجات الليبيرالية او مجرد الحلم بها أمرا يبعث على الضحك ــ او بالاحرى امرا يبعث على الضحك فيما لو لم يكن خطيرا جللا !

ان كل مقيم في بلادنا ، مهما يكن على درجة ضئيلة من الوعي والانتباه ، يتألم في كل لحظة من هذا الوضع . ولكن الناس لا يملكون جميعهم ما فيه الكفاية من الشجاعة ليدركوا واضح الادراك **المعنى** الذي ينطوي عليه جو المجازر الطائفية هذا . لمَ يخيم هذا الجو عندنا ؟ لا لشيء الا لان البلاد تعيش ، في الواقع ، حالة **حرب اهلية** تكاد تكون مكشوفة . وهناك من يستكره الاقرار بهذه الحقيقة ، كما ان هناك من يود لو يحجبها وراء ستار . ويجد

---

١ ــ لم يُعثر على الصفحة التالية من المخطوطة . «ن.س» .

٢ ــ «غراجدانين» (المواطن) : صحيفة رجعية ملكية متطرفة ، كانت تمولها الحكومة القيصرية . وقد تحولت منذ عام ١٩٠٦ الى مجلة اسبوعية . «ن.س»

٣ ــ لم يعثر على الصفحة التالية من المخطوطة . «ن.س»

ليبيراليونا ــ التقدميون والكاديتيون على حد سواء ــ لذة خاصة في صنع هذا الستار من مزَق من نظريات شبه «دستورية» . ولكنني أبيح لنفسي ان اعتقد بأن ما من شيء أبلغ ضررا واكثر اجراما بالنسبة الى ممثلي الشعب من ان يبشروا من اعلى منبر دوما الدولة بـ «أكاذيب سامية» .

ان سياسة الحكومة تجاه اليهود وغيرهم من «الاقـــوام الغريبة» ــ اعذروني على هذا التعبير «الحكومي» ــ ستصبح برمتها ودفعة واحدة مفهومة ، طبيعية ، حتمية ، اذا ما نظرنا الى الحقيقة وجها لوجه واذا ما اعترفنا بهذه الواقعــة التي لا تحتمل انكارا والتي تقول لنا بأن البلاد هي مسرح لحرب اهليــة أسيء تمويهها . ان الحكومة لا تحكم ، بل هي تشن الحرب .

واذا كانت تختار لهذا الغرض وسائل «روسيــة أصيلة» ، وسائل المذابح الطائفية ، فهذا لانــــه **ليس في متناولها وسائل أخرى** . ان كل امرىء يذود عن نفســـه بحسب استطاعته . وبوريشكيفتش وأصدقاؤه لا يستطيعون الذود عن انفسهم بغير سياسة «المذابح الطائفية» ، لانه ليس في متناولهم سياســة أخرى . ولا فائدة ترجى من الندب والعويل ، ومن الغباء ان يعتقد المرء بأنه قد برأ ذمته اذا ما تفوه بجمل عن الدستور او عن الحقوق او عن نظام الحكم ، فالمسألة هي بكل بساطة مسألة مصالح **طبقة** البوريشكيفتشيين وأضرابهم ، ومسألة الوضع الصعب لهــذه الطبقة .

فإما ان «نسوي حساب» هذه الطبقة ، بحزم وليس بالكلام وحده ، واما ان نسلم بأن جو «المذابح الطائفية» مقدور ومحتوم في سياسة روسيا بأسرها . اما ان نتكيف مع هذه السياسة ، واما ان نؤازر الحركة الشعبية ، حركة الجماهير ، وقبل كـل شيء حركة البروليتاريا التي تهب لمعارضة تلك السياسة . اما هذا وإما ذاك . ولا يمكن ان يكون هناك خيار ثالث .

ان الاحصاءات الحكومية ، اي تلك التي تنطوي جهرا على مبالغات وتزويرات تتفق و«وجهات نظر الحكومة» ، تقر بأن نسبة الروس ـ الكبار الى سائر سكان روسيا لا تتجاوز ٤٣ بالمئة . والروس ـ الكبار يؤلفون **أقل** من نصف سكان البلاد . وحتى الروس ـ الصغار او الاوكرانيون يُعدون عندنا رسميا ، وكما صرح بذلك ستوليبين (١) «شخصيا» ، من «الاقوام الغريبة» . وهذا يعني ان ٥٧ بالمئة من سكان روسيا ، ومن ثم غالبية السكان، اي ثلاثة أخماسهم على وجه التقريب ، وبالتأكيد اكثر من ذلك ، هم من «الاقوام الغريبة» . لقد انتخبتَ نائبا في دوما الدولة من قبل مقاطعة ايكاتيرينوسلاف حيث تتألف غالبية السكان الساحقة من الاوكرانيين . ولقد كان حظر الاحتفالات تكريما لذكرى شيفتشنكو اجراء ممتازا للغاية ورائعا للغاية ومحكما للغايةوناجحا للغاية من وجهة نظر التحريض ضد الحكومة الى درجة نعجز معها عن تصور اجراء أفضل منه من هذا المنظور . وما كان أمهر المحرضين الاشتراكيين ـ الديموقراطيين ليقدروا ، على ما يخيل اليّ ، على ان يحرزوا على الحكومة ، في مثل هذا الأجل القصير من الزمن، مثل تلك النجاحات المدوخة التي احرزها ذلك الاجراء. فبفضله شرع الملايين من «الجهلة» يتحولون الى مواطنين واعين ويقتنعون بأن روسيا هي حقا «سجن للشعوب» .

ان احزابنا اليمينية وانصار النزعة القومية (الروسية الكبيرة) يرفعون عاليا في الوقت الراهن عقائرهم ضد «المازيبيين» ،

---

١ ـ بيوتر ستوليبين (١٨٦٢ ـ ١٩١١) : من كبار الملاك العقاريين الروس ومن كبار سياسيي القيصرية . شغل بين عام ١٩٠٦ و١٩١١ منصب رئيس الوزراء ووزير الداخلية . ـالمعربـ

وصاحبنا المشهور بوبرينسكي (١) يدلل في معرض الدفاع عن الاوكرانيين ضد اضطهاد الحكومة **النمسوية** على حماسة ديموقراطية فائقة الجمال الى درجة يمكن لنا معها ان نعزو اليه النية في الانتساب الى الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي النمسوي . ولكن اذا كان اسم «المازيبية» يطلق على ميل معين الى النمسا وعلى تفضيل لأعرافها السياسية ، فان بوبرينسكي لن يكون في غالب الظن من اواخر «المازيبيين» لانه يقيم الدنيا ويقعدها احتجاجا على الاضطهاد الذي يقاسي منه اوكرانيو النمسا !! تصوروا اذن ما يمكن ان يشعر به اوكرانيو روسيا ، وعلى الاقل سكان مقاطعة ايكاتيرينوسلاف الذين امثلهم ، حين يقرؤون او يسمعون ذلك الضرب من الكلام ! واذا كان بوبرينسكي «بعينه»، اذا كان القومي بوبرينسكي ، اذا كان الكونت بوبرينسكي، اذا كان المالك العقاري بوبرينسكي ، اذا كان الصناعي بوبرينسكي، اذا كان بوبرينسكي الذي يتمتع بحق الدخول الى أرقى المجتمعات (واكاد اقول الى «الدوائر العليا») يرى ظلما واجحافا في الاوضاع المفروضة على الاقليات القومية في النمسا ، حيث لا وجود لشيء يشبه منطقة الاقامة الاجباريةالمفروضة بكل خزي على اليهود وحيث لا وجود لإجراءات النفي البغيضة لليهود تبعا لنزوة الحكام المستبدين وحيث لا وجود لحظر استعمال لغة الأم في المدارس ، فماذا نقول في هذه الحال عن اوكرانيي روسيا ؟ وماذا نقول عن سائر «الاقوام الغريبة» في روسيا ؟

أمن الممكن الا يدرك بوبرينسكي وسائر انصار النزعة القومية وكذلك رجال اليمين ان «الاقوام الغريبة» في روسيا ، اي ثلاثة

---

١ ـ فلاديمير بوبرينسكي : ملكي روسي ، من كبار ملاك الاراضي ومن ارباب صناعة السكر . «ن.س»

اخماس سكان البلاد ، تعي بفضلهم هم حالة روسيا **المتأخرة** ، **حتى** بالمقارنة مع النمسا التي هي اكثر الدول الاوروبية تأخرا ؟

ذلك ان ما يتميز وما ينفرد به الوضع في روسيا التي يحكمها البوريشكيفتشيون ، او التي تئن بالاحرى تحت جزمة البوريشكيفتشيين ، هو ان خطابات بوبرينسكي القومي النزعة تفسر وتؤجج على أروع ما يكون التحريض الاشتراكي — الديموقراطي .

تابع ، تابع ، يا صاحب السعادة الصناعي والملاك العقاري بوبرينسكي : فأنت ستساعدنا حتما على ايقاظ وتوعية وتحريك الاوكرانيين، اوكرانيي روسيا واوكرانيي النمسا على حد سواء !! لقد سمعت في ايكاتيرينوسلاف عددا من الاوكرانيين يصرحون بأنهم راغبون في ارسال رسالة تشكر الى الكونت بوبرينسكي على دعايته النافعة لانفصال اوكرانيا عن روسيا . ولم أفاجأ بذلك. ولقد رايت نشرات تحتوي ، من طرف ، على نص المرسوم القاضي بتحظير الاحتفال بذكرى شفتشنكو ، ومن طرفها الآخر، على مقتطفات من خطابات بوبرينسكي البليغة **في صالح** الاوكرانيين . وقد أسديت النصح بإرسال هذه النشرات الى بوبرينسكي وبوريشكيفتش **وسائر** الوزراء .

وحتى اذا كان بوريشكيفتش وبوبرينسكي محرضين من الطراز الاول لصالح تحويل روسيا الى جمهورية ديموقراطية ، فان ليبيراليينا بالمقابل ، بما فيهم الكاديت ، يرغبون **في** اخفاء **اتفاقهم** مع البوريشكيفتشيين بصدد بعض المسائل الاساسية في السياسة القومية عن السكان . وانني لأعتقد بأنني سأخل بواجبي فيما اذا تكلمت عن ميزانية وزارة الداخلية التي تنتهج السياسة القومية المعروفة ولم آتِ بذكر ذلك **الاتفاق** بين حزب الكاديت وبين المبادىء التي تسترشد بها هذه الوزارة .

وبالفعل ، اليس من الواضح ان من يرغب — لنلجأ الى تعبير

معتدل ــ في «معارضة» وزارة الداخلية لا بد ان يعرف ايضـــا الحلفاء **الايديولوجيين** لهذه الوزارة في معسكر الكاديت ؟

يقول نبأ ورد في صحيفة «ريتش» ان حـــزب الكاديت ، او «حزب حرية الشعب» ، قد عقد مشاره العادي في ٢٣ ــ ٢٥ آذار من العام الجاري في سان ــ بطرسبورغ .

وتكتب الـ «ريتش» (العدد ٨٣) : «لقد نوقشت المسائـــل القومية ... بحدة فائقة . وقد أشار نواب كييف الذين انضم اليهم ن. نكراسوف و أ. كوليوباكين الى ان المسألة القومية عامل آخذ بالنضج ، وأن من الواجب التصدي لها بحزم اعظم مما في السابق . بيد ان ف. كوكوشكين قد بيَّن ان البرنامج والتجربة السياسية المكتسبة على السواء يتطلبان الحذر الشديد فـــي معالجة «الصيغ المطاطة» لحرية «القوميات» السياسية في تقرير المصير » .

هذا ما تقوله الـ «ريتش» . وبالرغم مـــن انها تقصدت ان تعرض الامور بصورة لا يتاح معها الا **لأقل عدد ممكن** من القراء ان يدركوا جوهر المشكلة ، فان هذا الجوهر يظل واضحا بالنسبة الى من يملك القدرة على تركيز الانتباه والتفكير . فصحيفـــة «كييفسكايا ميسل» (١) ، التي تميل الى الكاديت وتتبنـــى أفكارهم ، نقلت خطاب كوكوشكين متبعة اياه بهذه الملاحظـــة التفسيرية : «ذلك ان هذا قد يؤدي الى تخلع الدولة» .

هذا ما كانه بلا ادنى ريب معنى خطاب كوكوشكين . ولقد تغلبت وجهة نظره ، لدى الكاديت ، حتى على نزعة نكراســوف وكوليوباكين الديموقراطية الخجلـــة الى ابعد حدود **الخجل** .

---

١ ــ «كييفسكايا ميسل» (فكر كييف) : صحيفة يومية بورجوازية ديموقراطية صدرت بين ١٩٠٦ و١٩١٨ . «ن.س»

وموقفه هو موقف ليبيرالي ــ بورجوازي قومي **روسي ــ كبير** يدافع عن امتيازات **الروس ــ الكبار** (بالرغم من انهم اقلية في روسيا) ، يدافع عنها **يدا بيد** مع وزير الداخلية . لقد ايـــد كوكوشكين «على الصعيد النظري» سياسة الوزارة : هذا هـــو جوهر القضية ، هذه هي عقدتها .

«رويدا رويدا مع حرية تقرير المصير السياسي» للأمـــم! حذار من ان تؤدي «الى تخلع الدولة» ! هذا هو **مضمون** سياسة كوكوشكين القومية ، **المتفقة تمام الاتفاق** مع الخط **الاساســي** لسياسة وزارة الداخلية . ولكن كوكوشكين وسائر زعماء الكاديت ليسوا اطفالا . فهم يعرفون حق المعرفة القول السائر : « لم يخلق الانسان للسبت ، بل ان السبت هو الذي خلق للانسان». لم يخلق الشعب للدولة ، بل ان الدولة هي التي خلقت للشعب. ليس كوكوشكين وسائر زعماء الكاديت أطفالا . فهم يفهمون تمام الفهم ان الدولة عندنا هي (في الواقع) طبقة البوريشكيفتشيين . وسلامة الدولة هي سلامة طبقة البوريشكيفتشيين . هذا مـــا يشغل بال كوكوشكين واضرابه ، اذا ما عرينا **جوهر** سياستهم من اقنعتها الدبلوماسية .

وحتى يكون كلامي واضحا عينيا ، سأبيح لنفسي ان أضرب مثالا بسيطا . فمعروف ان النرويج انفصلت في عام ١٩٠٥ عن السويد ، بالرغم من الاحتجاجات الساخطة التي صدرت عن نبلاء الريف السويديين الذين شهروا سيف الحرب . ولحسن الحظ ان الاقطاعيين في السويد ليسوا كلي القدرة كما هو شأنهم في روسيا ، ومن هنا فان الحرب لم تقع . لقد انفصلت النرويج ، التي يشكل سكانها أقلية ، عن السويد سلميـــا ، ديموقراطيا ، بصورة متمدينة ، لا على نحو ما كان يريد الاقطاعيون وحـــزب الحرب . فماذا كانت النتيجة ؟ هل خسر الشعب شيئا ؟ هل تضررت مصالح الثقافة ؟ ام مصالح الديموقراطية ؟ أم مصالح

الطبقة العاملة ؟

البتة ! فالنرويج كالسويد هما من عداد البلدان المتمدينة اكثر من روسيا بما لا يقاس ــ **على وجه التحديد لانهما** عرفا كيف يطبقان ديموقراطيا صيغة حرية الامم في «تقرير المصير السياسي» . وكان قطع الرابطة **القائمة على الاكراه** يعني : **تدعيم** العلاقات الاقتصادية المبنية على القبول الحر ، وتوثيق الاتصالات الثقافية ، وتعميق الاحترام المتبادل بين هذين الشعبين المتقاربين كل التقارب باللغة وبوشائج اخرى . والواقع ان الشعور بوحدة الشعبين السويدي والنرويجي وبصداقتهما قد **تعزز** بنتيجة الانفصال ، لأن هذا الانفصال كان قاطعا لروابط **قائمة على الإكراه** .

ان هذا المثال يبين بوضوح ، على ما آمل ، ان كوكوشكين وحزب الكاديت يأخذان بلا تحفظ بوجهة نظر وزارة الداخلية عندما يلوحان ، بقصد اخافتنا ، بفزاعة «تخلع الدولة» ويوصيان ب «موقف‌حذر» من «حرية القوميات فيتقرير المصير السياسي»، تلك الصيغة الواضحة التي لا تحتمل نقاشا بالنسبة الى الديموقراطية الاممية برمتها . واننا ، نحن الاشتراكيين ــ الديموقراطيين ، اعداء **كل** نزعة قومية وأنصار **المركزية** الديموقراطية . اننا خصوم النزعة الخصوصية ، واننا لعلى قناعة بأن الدول الكبيرة ، **في حال تساوي الشروط الاخرى** ، تستطيع ان تحل ، بنجاح اكبر بما لا يقاس من نجاح الدول الصغيرة ، المشكلات المتولدة عن التقدم الاقتصادي والمشكلات التي يطرحها نضال البروليتاريا ضد البورجوازية . ولكننا لا نقبل بغير علاقات مبنية على القبول الحر ، ولا نقبل البتة بعلاقات مبنية على الاكراه . وحيثما يقع نظرنا على روابط **اكراهية** بين الامم ، ندافع بحزم **وبلا شروط** عن **حق** كل امة في تقرير مصيرها السياسي بحرية ، اي في الانفصال ، وهذا من غير ان

ندعو الى الزامية انفصال كل أمة .

ان الدفاع عن هذا **الحق** والدعوة اليه والاعتراف به دفاع عن تساوي الامم في الحقوق ، ونبذ لروابط **الاكراه** ، ونضال ضد جميع الامتيازات السياسية لأي امة كانت ، ومن ثم تربية عمال جميع الامم بروح التضامن الطبقي الكامل .

ان التضامن الطبقي بين عمال مختلف الامم يتعزز اذا حلت علاقات مبنية على القبول الحر محل الروابط الاكراهية ، الاقطاعية ، العسكرية .

اننا لنعلق قيمة كبرى على المساواة في الحقوق بين الامم فيما يخص حرية الشعب والنضال في سبيل الاشتراكية (١) ...

والدفاع عن امتيازات الروس ـ الكبار . واننا لنقول : لا امتياز **لأي** امة، وانما مساواة كاملة في الحقوق بين الامم واتحاد ووحدة بين عمال **جميع الامم** .

لقد اتخذ مؤتمر لندن الاممي للمنظمات العمالية والاشتراكية قبل ١٨ عاما ، اي في عام ١٨٩٦ ، قرارا بصدد المسألة القومية اشار الى الطرق الصحيحة القمينة بتلبية التطلعات الى « حرية شعبية» فعلية وبضمان السير الى الاشتراكية . وإليكم ما يقوله القرار :

«يعلن المؤتمر انه يؤيد الحق الكامل لجميع الامم في حرية تقرير المصير وانه يتعاطف مع عمال كل قطر يعانـــي في الوقت الراهن من نير استبداد عسكري او قومي او اي نير آخر . ويدعو المؤتمر عمال جميع هذه الاقطار الى الدخول الى صفوف العمال الواعين في العالم قاطبة بهدف النضال المشترك لقهر الرأسمالية العالمية ولبلوغ أهداف الاشتراكية ـ الديموقراطية الاممية » .

---

١ ـ لم نعثر على الصفحتين التاليتين من المخطوطة . «ن.س»

وانتا لندعو ، نحن ايضا ، عمال جميع أمم روسيا الى الاتحاد ، لان هذا الاتحاد هو وحده القمين بضمان المساواة في الحقوق بين الامم وحرية الشعب ومصالح الاشتراكية .

لقد وحد عام ١٩٠٥ بين عمال جميع أمم روسيا . وتسعى الرجعية الى تأجيج جذوة الشحناء القومية. وتناضل البورجوازية الليبيرالية من **جميع** الامم – والبورجوازية الروسية – الكبيرة اكثر من اي بورجوازية أخرى – في سبيل امتيازات أمتها **هي** (على سبيل المثال : عداء الكولو البولوني (١) لمساواة اليهود في الحقوق في بولونيا) ، وفي سبيل النزعة الخصوصية القومية ، وفي سبيل الانعزالية القومية، ومن هنا فانها **تؤيد** سياسة وزارة الداخلية عندنا .

ولكن الديموقراطية الحقيقية ، وعلى رأسها الطبقة العاملة ، ترفع راية المساواة التامة في الحقوق بين الامم واتحاد عمال جميع الامم في نضالهم الطبقي . ومن وجهة النظر هذه ننبذ جانبا الاستقلال الذاتي المسمى بـ «القومي الثقافي» ، اي تقسيم مؤسسات التعليم في دولة واحدة تبعا للقوميات او انتزاع المدرسة من ادارة الدولة وتسليمها الى روابط قومية منفصل بعضها عن بعض . لا مندوحة من ان تعترف الدولة الديموقراطية بالاستقلال الذاتي لمختلف المناطق ، ولاسيما المناطق والدوائر ذات التركيب القومي المختلف . وهذا الاستقلال الذاتي لا يتنافى البتة والمركزية الديموقراطية . بل ان المركزية الديموقراطية الفعلية لا **يمكن** ان تتحقق ، على العكس من ذلك ، الا بواسطة الاستقلال

---

١ – الكولو البولوني : مجموعة من النواب البولونيين في دوما الدولة كانت تطالب بالاستقلال الذاتي لبولونيا ، وكانت تؤيد اليمينيين والرجعيين في جميع المسائل الاساسية الاخرى . «ن.س»

الذاتي للمناطق في دولة كبيرة ذات تركيب قومي متنافر . ولا مندوحة من ان تعترف الدولة الديموقراطية بلا تحفظ **بالحرية الكاملة** لمختلف اللغات ومن ان تنبذ جانبا **اي** امتياز كان لأي لغة من هذه اللغات . ولا تستطيع الدولة الديموقراطية ان تسمح باضطهاد او بوصاية تمارسهما اي قومية على اي قومية أخرى في اي مجال او في اي ميدان من ميادين النشاط العام .

ولكن سحب المدرسة من يد الدولة لتقسيمها تبعا للامم المنظمة تنظيما منفصلا في روابطها هو اجراء ضار من وجهة نظر الديموقراطية ، وكم بالاحرى من وجهة نظر البروليتاريا . فمثل هذا الاجراء لن يؤدي الا الى تعزيز النزعة الخصوصية بين الامم، في حين ان واجبنا هو السعي لتحقيق التقارب بينها . ومثل ذلك الاجراء لن يفضي الا الى تطور الشوفينية ، مع ان واجبنا هو السير نحو أوثق اتحاد ممكن بين عمال جميع الامم ، ونحو النضال المشترك ضد **كل** شوفينية وضد **كل** نزعة انعزالية قومية، وضد **كل** نزعة قومية . والسياسة المدرسية لعمال جميع القوميات واحدة : حرية لغة الأم ومدرسة ديموقراطية **وعلمانية**.

سأنهي كلامي معبرا مرة أخرى عن اعترافي بالجميل لبوريشكيفتش ولماركوف ولبوبرينسكي على دعايتهم النافعة ضد نظام روسيا السياسي في جملته ، وعلى «دروس الاشياء» التي يلقونها عن حتمية تحول روسيا الى جمهورية ديموقراطية .

كتب بعد ٦ (١٩) نيسان ١٩١٤
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٢٠ – ص ٢٢٥ – ٢٣٤

تساوي الأمم في الحقوق

في العدد ٤٨ (٢٨ آذار) من «بوت برافدي» (١) نشر الفريق العمالي الاشتراكي ـ الديموقراطي البرلماني في روسيا مشروع قانون عن تساوي الامم في الحقوق ، او اذا شئنا استخدام عنوانه الرسمي : «مشروع قانون حول الغاء جميع القيود على حقوق اليهود ، وبصورة عامة جميع القيود المرتبطة بالمنشأ او بالانتماء الى اي قومية كانت» (٢) .

ان العمال الروس لا يمكنهم ولا يجوز لهم ان ينسوا ، في غمرة المشاغل والهموم الناجمة عن النضال من اجل الحياة وفي سبيل لقمة الخبز ، الاضطهاد القومي الذي يرزح تحته الملايين من ابناء «الاقوام الغريبة» التي تقطن روسيا . فالقومية السائدة ـ الروس ـ الكبار ـ تشكل حوالي ٤٥ بالمئة من مجموع سكان

---

١ ـ «بوت برافدي» (طريق الحقيقة) : واحد من الاسماء العديدة التي تابعت «البرافدا» ظهورها تحتها تحايلا على المضايقات الحكومية .
ـ المعرب ـ

٢ ـ هو مشروع القانون الذي كتبه لينين ليقدم الى دوما الدولة الرابعة باسم النواب الاشتراكيين ـ الديموقراطيين . ونص المشروع مع تقديم لينين له منشوران في الجزء الاول من سلسلة المختارات هذه . ـ المعرب ـ

الامبراطورية . ومن أصل كل ١٠٠ نسمة يزيد عدد ابناء «الاقوام الغريبة» على الخمسين .

وهذه الاعداد الهائلة من السكان تحيا في شروط تفوق في لاإنسانيتها الشروط التي هي من قسمة **الروسي** .

ان سياسة الاضطهاد القومي هي سياسة **تفرقة** الامم . وهي في الوقت نفسه سياسة **تضليل** متعمد لوعي الشعب . فالمئة ــ السود يبنون حساباتهم على تعارض مصالح شتى القوميات وعلى تسميم وعي الجماهير الجاهلة المرهقة . ولو اخذتم اي صحيفة رجعية متطرفة لرأيتم ان التنكيل بـ «الاقوام الغريبة» والتحريض على الريبة المتبادلة بين الفلاح او البورجوازي الصغير او الحرفي الروسي وبين الفلاح او البورجوازي الصغير أو الحرفي اليهودي والفنلندي والبولوني والجيورجي والاوكراني هما الغذاء الـــذي تقتات به عصابة المئة ــ السود .

والحال ان الطبقة العاملة بحاجة **الى الوحدة لا الى التفرقة** . وليس لها من عدو ألد من الآراء المسبقة والخرافات الهمجية التي ينشرها خصومها بين الجماهير المخدوعة . واضطهاد «الاقــوام الغريبة» سلاح ذو حدين . فهو من جهة اولى يطعن «الغريب» ، ومن الجهة الثانية يطعن الشعب الروسي .

ولهذا يتوجب على الطبقة العاملة ان ترفع صوتها عاليا صريحا ضد كل اضطهاد ينزل بالقوميات .

ان عليها ان تعارض تحريض المئة ــ السود ، الذين يحاولون ان يحولوا انتباهها عن طريق اضطهاد الاقوام الغريبة ، بقناعتها الراسخة في ضرورة المساواة الكاملة في الحقوق والتخلي الكامل التام عن كل امتياز ايا كان لأي أمة مهما تكن .

ان المئة ــ السود يركزون تحريضهم الحاقد ضد اليهود بوجه خاص . ويحاول البوريشكيفتشيـــــون ان يجعلوا من الشعب اليهودي كبش فداء لقبائحهم كافة .

ومن هنا فان الفريق العمالي الاشتراكي ـ الديموقراطـــي البرلماني في روسيا قد اعطى بحق مكانة الصدارة فـــي مشروع قانونه لمسألة العسف الذي يرزح تحته **اليهود** .

ان المدرسة والصحافة والمنبر البرلماني وما سوى ذلـــــك مستغلة لزرع حقد اعمى ، ضار ، غبي تجاه اليهود .

وهذا العمل الدنيء ينصرف له لا أوباش المئة ـ الســــود وحدهم بل ايضا المثقفـــون الرجعيون والاساتـــــذة والعلماء والصحفيون والنواب . كما ان مليارات الروبلات تنفق على تسميم وعي الشعب .

انها لمسألة شرف بالنسبة الى العمال **الروس** ان يجمعـــوا عشرات الآلاف من التواقيع ومن تصريحات البروليتاريين تأييدا لمشروع القانون ضد الاضطهاد القومي ، المقدم من قبل الفريـــق العمالي الاشتراكي ـ الديموقراطي البرلماني في روسيا... وهذه خير وسيلة لتعزيز الوحدة **الشاملة** ، وحدة جميع عمال روسيا دونما تمييز بين القوميات .

«بوت برافدي» ـ العدد ٦٢
١٦ نيسان ١٩١٤
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٢٠ ـ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨

إفساد العمال بنزعة قومية مهذبة

كلما تطورت الحركة العاملة ، تفاقمت محاولات البورجوازية والاقطاعيين لسحقها او لتفكيك أوصالها . وهذان الاسلوبان ، السحق بالقوة وتفكيك الأوصال بواسطة التأثير البورجوازي ، يمارسان باستمرار على صعيد العالم بأسره وفي البلدان قاطبة من قبل مختلف احزاب الطبقات السائدة ، مع إعطاء الاولوية للأسلوب الاول تارة وللاسلوب الثاني طوراً .

وفي روسيا ، ولاسيما بعد عام ١٩٠٥ ، عندما أدرك اذكى البورجوازيين ان القوة الوحشية غير كافية في حد ذاتها الى حد كبير ، باتت شتى أنواع الاحزاب والتجمعات البورجوازية «التقدمية» تلجأ اكثر فاكثر الى أسلوب **قسم** العمال عن طريق الترويج لمختلف الافكار والمذاهب البورجوازية التي تفت في عضد نضال الطبقة العاملة .

ويجب ان نضع في عداد هذه الافكار نزعة قومية مهذبة تدعو الى تقسيم البروليتاريا وتفتيتها بحجج هي من اكثر الحجج خداعا وإغراء ، وعلى سبيل المثال ، بحجة الدفاع عن مصالح «الثقافة القومية» و«الاستقلال او الاستقلال الذاتي القوميين» ، الخ ، الخ .

ويسعى العمال الواعون الى نبذ كل نزعة قومية ، أسواء النزعة القومية الفظة ، العنيفة ، على غرار نزعة المئة السود ، أم

النزعة القومية الاكثر تهذيبا ونعومة ، النزعة التي تدعو الى المساواة في الحقوق بين الامم **في الوقت نفسه** الذي تدعو فيه الى **تفكيك أوصال** المعسكر العمالي والمنظمات العمالية والحركة العاملة ، **على اساس** القوميات . وهم اذ يضعون موضع تطبيق القرارات المتخذة في المشار الاخير للماركسيين (صيف ١٩١٣) فانهم يدافعون ــ بخلاف جميع فئات البورجوازية القومية النزعة ــ لا عن **المساواة** الكاملة ، المنطقية ، المتماسكة ، **في الحقوق** ، المساواة التي لا يحدها حد بين الامم واللغات فحسب، بل ايضا عن **انصهار** الجماهير العمالية من مختلف القوميات في شتى انواع المنظمات البروليتارية **الموحدة** .

هنا يكمن الفارق الجذري بين برنامج الماركسية القومي وبين البرنامج القومي لأي بورجوازية مهما كانت «متقدمة» .

ان الاعتراف بالمساواة في الحقوق بين الامم واللغات عزيز على الماركسيين . وهذا ليس لانهم اكثر الديموقراطيين تماسك منطق فحسب . فمصالح التضامن البروليتاري والوحدة الاخوية في نضال طبقة العمال تقتضي أكمل مساواة في الحقوق بين الامم ، حتى لا يعود هناك مكان لأي ريبة ولأي نزعة خصوصية ولأي توجس ولأي شحناء على الصعيد القومي . والمساواة الكاملة في الحقوق تستلزم ايضا وضع حد لكل امتياز في صالح لغة من اللغات ، وتستدعي الاعتراف **بحق** جميع الامم في حرية تقرير المصير .

اما بالنسبة الى البورجوازية فان المطالبة بتساوي الامم في الحقوق تعني في غالب الاحيان وفي الواقع الدعوة الى النزعة الانعزالية القومية والى النزعة الشوفينية ، والمشاركة في **الدعاية** لتقسيم الامم وانعزالها . ان **الاممية** البروليتارية تتنافى **مطلق** التنافي وهذا الموقف ، لانها لا تدعو الى **تقارب** الامم فحسب ، بل ايضا الى **انصهار** الجماهير العمالية من جميع

القوميات التي تقطن دولة واحدة في منظمات بروليتارية **واحدة**. ولهذا يدين الماركسيون بحزم ما يسمى بـ «الاستقلال الذاتي القومي الثقافي»، اي **سحب** المدرسة من صلاحية الدولة لوضعها بين ايدي **مختلف** القوميات . وخطة التقسيم هذه تعني المهد بالمدرسة وبمسائل «الثقافة القومية» الى **اتحادات قومية** لها هيئاتها التمثيلية **الخاصة** وماليتها المدرسية **الخاصة** ومجالسها المدرسية **الخاصة** ومؤسساتها المدرسية **الخاصة** .

انها خطة تستند الى نزعة قومية ناعمة تفسد الطبقة العاملة وتقسمها . ويعارض الماركسيون هذه الخطة (التي هي خطة البونديين والمصفين والشعبيين ، اي مختلف الفئات البورجوازية الصغيرة) بالمبدأ التالي : المساواة المطلقة في الحقوق بين الامم واللغات ، بما في ذلك نفي ضرورة لغة رسمية ، والوقوف في الوقت نفسه موقف التأييد من تقارب الامم على اكمل ما يمكن ان يكون التقارب ، ومن وحدة مؤسسات **الدولة** بالنسبة الى جميع الامم ، ومن وحدة المجالس المدرسية والسياسة المدرسية (المدرسة العلمانية !) ، ومن وحدة عمال مختلف الامم في نضالهم ضد **النزعة القومية لكل بورجوازية قومية** ، ضد تلك النزعة القومية التي تتقدم على طبق شعار «الثقافة القومية» بهدف خداع السذّج .

وأما ان يدافع البورجوازيون الصغار القوميو النزعة والبونديون والمصفون والشعبيون ومحررو الـ « دزفن (١) » علنا وجهارا عن مبادئهم ذات النزعة القومية البورجوازية الناعمة ، فهذا من

---

١ ـ «دزفن» (الجرس) : مجلة شهرية شرعية ذات اتجاه قومي ـ منشفي كانت تصدر باللغة الاوكرانية .

ـ ن.س ـ

حقهم . ولكن عليهم في هذه الحال الا يحاولوا خداع العمال ، كما تفعل ذلك على سبيل المثال السيدة ف.أ في العدد ٣٥ من «سفرنايا رابوتشايا غازيتا» (١) ، **بسعيهم** الى اقناع القراء بأن صحيفة «زا برافدو» (٢) **تعارض** التعليم بلغة الأم !!!

انه لافتراء فظ ، لأن البرافديين لا يعترفون بهذا الحق فحسب ، ولكنهم يعترفون به ايضا **على نحو اكثر تماسك منطق** من اي شخص آخر . فلقد كانوا **اول** من أقر في روسيا **بكامل** حقوق لغة الأم عندما انضموا الى مشار الماركسيين الذي أعرب عن رأيه في ضرورة **الغاء اللغة الرسمية الالزامية** !

ان الخلط بين التعليم بلغة الأم وبين «تقسيم المدرسة على اساس القوميات في حدود دولة واحدة» و«الاستقلال الذاتي القومي الثقافي» و«سحب المدرسة من صلاحية الدولة» ، لهو بمثابة برهان على الجهل المطبق .

ان الماركسيين (وحتى الديموقراطيين) لا يعارضون في اي مكان من العالم التعليم بلغة الأم . ولكن الماركسيين لم يتبنوا **في اي مكان من العالم** برنامجا لـ«الاستقلال الذاتي القومي الثقافي». وهو لم **يقترح** الا في النمسا **وحدها** .

ان مثال فنلندا الذي تستشهد به السيدة ف.أ. ينقلب عليها، لان **المساواة في الحقوق بين الامم واللغات** (التي نعترف بها بلا تحفظ وعلى نحو أشد حزما وتصميما من اي انسان آخر) معلنة ومتحققة في ذلك القطر ، **ولكن من غير ان تنطرح البتة مسألة**

---

١ ـ «صحيفة الشمال العمالية» : صحيفة منشفية ـ تصفوية حلت محل «الصحيفة العمالية الجديدة» . «ن.س»

٢ ـ «زا برافدوا» (من اجل الحقيقة) : الاسم الجديد لـ «برافدا» بعد منع هذه الاخيرة من قبل السلطات القيصرية . ـالمعربـ

«سحب المدرسة من صلاحية الدولة» ، ومسألة تشكيل اتحادات قومية خاصة مكلفة بتسوية جميع المسائل المدرسية وعزل مدارس الدولة بحواجز قومية ، الخ .

«بوت برافدي» ـ العدد ٨٢
١٠ ايار ١٩١٤
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٢٠ ـ ص ٣٠١ ـ ٣٠٤

من رسالة إلى
س. ج. شاؤوميان

من العار الدفاع عن لغة **الدولة** . انها لفكرة بوليسية . اما دعوة الامم الصغيرة الى دراسة اللغة الروسية ، فليس فيها ظل من فكرة بوليسية . ألن تدرك اذن الفرق بين هراوة البوليس وبين دعاية رجل حر ؟ هذا مذهل !

«انني ابالغ في خطر النزعة القومية الروسية ـ الكبيرة» !!! ما اغرب هذا ! هل يعاني الـ ١٦٠ مليون روسي من النزعة القومية **الارمنية** او **البولونية** ؟ أليس من العار على ماركسي **روسيا** ان يدافع عن وجهة نظر الصقر الارمني ؟ هل النزعة القومية الروسية ـ الكبيرة هي التي تضطهِد وهي التي توجه **سياسة** الطبقات الحاكمة في روسيا ام هي النزعة القومية الارمنية او البولونية ؟ ان عماك «الارمني» سيجعل منك «زلمة» البوريشكيفتشيين ونزعتهم القومية !

كتبت قبل ٦ تموز ١٩١٤
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٤٣ ـ ص ٤١٧ ـ ٤١٨ .

البروليتاريا الثورية
وحق الامم في تقرير مصيرها

ان بيان زيمرفالد ، شأنه شأن معظم البرامج والقرارات التي اقرتها الاحزاب الاشتراكية ـ الديموقراطيـــة بصدد التكتيك ، يؤكد «حق الامم في تقرير مصيرها» . ويرى بارابيلوم (١) ، في العددين ٢٥٢ و٢٥٣ من صحيفة «بيرنر تاغواش» (٢) ان «النضال في سبيل حق تقرير المصير الذي لا وجود له» هو «وهم مـــن الاوهام» **ويعارض** هذا النضال بـ «النضال الثـوري الجماهيري للبروليتاريا ضد الراسمالية» ، **مؤكدا** في الوقت نفسه «انــا ضد الالحاقات» (وقد تكرر هذا التوكيد **خمس** مرات في مقاله) وضد اي عنف حيال الامم .

ان الحجج التي يتذرع بها بارابيلوم لتأييد أطروحته ترتد الى ما يلي : ان جميع المسائل القومية ، كمسألة الالزاس ـ اللورين

---

١ ـ بارابيلوم : الاسم المستعار لكارل راديك .

٢ ـ «بيرنر تاغواس» (حراس بيرن) : صحيفة الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي السويسري ، كانت في بداية الحرب العالمية الاولى ذات ميول يسارية ، ثم سقطت نهائيا في مستنقع الانتهازية والشوفينية . ـ ن.س ـ

والمسألة الارمنية الخ ، تنطرح الآن في إطار الامبريالية ، وان الراسمال قد تجاوز حدود الدول القومية ، وان «ارجاع عجلة التاريخ الى الوراء» ، نحو المثل الاعلى البالي الذي تجسده الدولة القومية ، امر مستحيل ، الخ .

فلننظر فيما اذا كانت محاكمات بارابيلوم صحيحة .

اولا ، انه هو الذي ينظر الى الوراء ، لا الى الامام ، عندما يتوجه بأنظاره ، وهو يشن حملته على انضواء الطبقة العاملة تحت لواء «مثل الدولة القومية الاعلى» ، نحو انكلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا ، اي نحو البلدان التي تنتمي فيها حركة التحرر القومي الى الماضي ، لا نحو الشرق ، نحو آسيا وافريقيا والمستعمرات حيث تنتمي هذه الحركة الى الحاضر والمستقبل . وحسبنا ان نذكر الهند والصين وايران ومصر .

ثانيا ، ان الامبريالية تعني ان الراسمال قد تجاوز إطار الدول القومية ، وأن الاضطهاد القومي يتفاقم ويتسع على اساس تاريخي جديد . وينجم عن ذلك ، ايا يكن راي بارابيلوم ، ان علينا ان **نربط** النضال الثوري في سبيل الاشتراكية ببرنامج ثوري فيما يتعلق بالمسألة القومية .

والحال ان بارابيلوم ينبذ بازدراء ، **باسم** الثورة الاشتراكية ، كل برنامج ثوري متماسك في الميدان الديموقراطي . وهذا غلط . فالبروليتاريا لا تستطيع ان تنتصر الا عن طريق الديموقراطية ، اي عن طريق تحقيق الديموقراطية كاملة غير منقوصة وربط كل مرحلة من مراحل نضالها بمطالب ديموقراطية مصاغة احزم الصياغة . ومن اللغو الباطل ان **نقيم تعارضا** بين الثورة الاشتراكية والنضال الثوري ضد الراسمالية وبين **احد المطالب** الديموقراطية كالمطلب القومي على سبيل المثال . بل علينا ان **نربط** النضال الثوري ضد الراسمالية ببرنامج وبتكتيك ثوريين فيما يتعلق **بجملة** المطالب الديموقراطية : الجمهورية والميليشيا

وانتخاب الموظفين من قبل الشعب والمساواة في الحقوق المدنية للنساء وحق الامم في تقرير مصيرها الخ . وما بقيت الراسمالية قائمة ، فمن غير الممكن تحقيق هذه المطالب جميعها الا بصفة استثنائية ، وبصورة مشوهة وناقصة علاوة على ذلك . ونحن ، اذ نستند الى المنجزات الديموقراطية المكتسبة ونفضح في الوقت نفسه طابعها الناقص في ظل النظام الراسمالي ، نطالب بالاطاحة بالراسمالية وبمصادرة ملكية البورجوازية باعتبار ذلك تدبيرا لا بد منه للقضاء على بؤس الجماهير ولتحقيق **جميع** الاصلاحات الديموقراطية تحقيقا **كاملا شاملا** . وسيتم الشروع ببعض هذه الاصلاحات قبل الاطاحة بالبورجوازية ، والشروع ببعضها الآخر **اثناء** هذه الاطاحة، وببعضها الاخير بعدها. ان الثورة الاجتماعية ليست معركة وحيدة ، وانما هي عصر سلسلة من المعارك من اجل اصلاحات اقتصادية وديموقراطية في جميع الميادين ، معارك لا يمكن ان تنتهي الا بمصادرة ملكية البورجوازية . وانما باسم هذا الهدف النهائي على وجه الدقة يتوجب علينا ان نصوغ صياغة ثورية حازمة كل مطلب من مطالبنا الديموقراطية . ومن الممكن كل الامكان ان نتصور ان يطيح شغيلة هذا القطر او ذاك بالبورجوازية قبل ان يتم تحقيق اي أصلاح من الاصلاحات الديموقراطية الاساسية تحقيقا كاملا . ولكننا لا نستطيع ان نتصور ان البروليتاريا ، بوصفها طبقة تاريخية ، قادرة على قهر البورجوازية اذا لم تهيئها لذلك التربية بروح الديموقراطية المتماسكة كل التماسك والثورية كل الثورية .

ان الامبريالية هي الاضطهاد المتعاظم لأمم العالم من قبل حفنة من الدول الكبرى ، هي عصر الحروب بين هذه الدول الكبرى من اجل تعميق اضطهاد الامم هذا وتوسيعه ، هي عصر تضليل الجماهير الشعبية من قبل الاشتراكيين ـ الوطنيين المنافقين ، اي من قبل أناس يتخذون من «حرية الامم» ومن «حق الامم في

تقرير مصيرها» ومن «الدفاع عن الوطن» **ذريعة** لتبرير استعباد الدول الكبرى لغالبية أمم العالم وللدفاع عن هذا **الاستعباد** .

ولهذا ينبغي ان يكون المحور الذي يتركز عليه البرنامج الاشتراكي ـ الديموقراطي هو انقسام الامم الى أمم مضطهِدة وأمم مضطهَدة ، ذلك الانقسام الذي هو **كنه** الامبريالية والذي يتحاشاه **رياء ونفاقا** الاشتراكيون ـ الشوفينيون وكاوتسكي . ان هذا الانقسام ليس بأمر جوهري من وجهة نظر النزعة السلمية البورجوازية او الطوبائية البورجوازية الصغيرة القائلة بالتنافس السلمي بين الامم المستقلة في ظل النظام الرأسمالي . ولكنه بالمقابل حاسم الاهمية من منظور النضال الثوري ضد الامبريالية. وانما من هذا الانقسام يجب ان ينبثق تعريفنا **نحن** لـ «حق الامم في تقرير مصيرها» . الذي هو تعريف ديموقراطي متماسك ، ثوري ، **منسجم** والمهمة العامة . مهمة النضال المباشر في سبيل الاشتراكية . وباسم هذا الحق وباسم المطالبة بألا يكون الاعتراف به محض نفاق يتوجب على الاشتراكيين ـ الديموقراطيين من الامم المضطهِدة ان يطالبوا بحرية الانفصال للأمم المضطهَدة ، والا فان الاعتراف بتساوي الامم في الحقوق وبالتضامن الاممي بين العمال لن يكون في الحقيقة الا كلمة جوفاء ونفاقا . اما الاشتراكيون ـ الديموقراطيون من الامم المضطهَدة فواجبهم ان يدافعوا في المقام الاول عن وحدة وتحالف عمال الامم المضطهَدة مع عمال الامم المضطهِدة ، والا فان هؤلاء الاشتراكيين ـ الديموقراطيين سيصبحون بالضرورة حلفاء لهذه **البورجوازية** القومية او تلك ، المستعدة **على الدوام** لخيانة مصالح الشعب والديموقراطية ، والمستعدة **على الدوام** بدورها لإلحاق الامم الاخرى واضطهادها .

وفي وسعنا ان نعيد الى الاذهان ، على سبيل مثال بالغ الدلالة ، الكيفية التي كانت تنطرح بها المسألة القومية في أواخر

الستينات من القرن الماضـــــي . فلقد كان الديموقراطيـــون البورجوازيون الصغار ، الغرباء عن اي تفكير بصراع الطبقـــات وبالثورة الاشتراكية ، قد تخيلوا يوتوبيا منافسة سلمية بين أمم حرة ومتساوية في الحقوق في ظل النظام الرأسمالي . وكـــان البرودونيون «ينفون» كامل النفي المسألة القومية وحق الامم في تقرير مصيرها ، وذلك من وجهة نظر الاهداف المباشرة للثورة الاجتماعية . وقد سخر ماركس من البرودونية الفرنسية واوضح صلة القربى التي تربطها بالشوفينية الفرنسية («يمكن لأوروبا كلها وينبغي عليها ان تجلس بكل هدوء وطمأنينة على مؤخرتهـــا بانتظار ان يلغي سادة فرنسا البؤس» ... «انهم يفهمون نفـــي القوميات على ما يبدو ، ومن دون ان يعوا ذلك هم انفسهم ، على انه ابتلاعها من قبل الامة النموذجية ، الامة الفرنسية») (١) . وكان ماركس يطالب **بانفصال ارلندا** عن انكلتـــرا ــ «وان كانت الامور ستصل بعد الانفصال الى الاتحاد الفيدرالي» ــ وما كان يطالب به من وجهة نظر الطوبائية البورجوازية الصغيرة عـــــن الرأسمالية السلمية، ولا من وجهة نظر «العدل حيال ارلندا»(٢)، وانما من منظور مصالح النضال الثوري لبروليتاريـــــا **الامة المضطهِدة ، اي بروليتاريا انكلترا** ، ضد الرأسمالية . فقد كانت حرية **هذه** الامة مبتورة ومشوهة بنتيجة اضطهادها لأمة أخرى. ولو لم تطالب البروليتاريا **الانكليزية هي نفسها** لإرلندا بالانفصال لكانت أمميتها مجرد جملة مرائية . وماركس الذي لم يكن قط نصيرا لا للدول الصغيرة ولا لتجزئة الدول بوجه عام ولا لمبـدأ

---

١ ــ من رسالة من ماركس الى انجلز في ٢٠ حزيران ١٨٦٦ . «ن.س»

٢ ــ من رسالتين من ماركس الى انجلز في ٢ تشرين الثانـــي ١٨٦٧ و٣٠ تشرين الثاني ١٨٦٧ . ــالمعربــ

الاتحاد الفيدرالي ، قد نظر الى انفصال الامة المضطهَدة على انه خطوة نحو الاتحاد الفيدرالي ، وبالتالي خطوة لا نحو التجزئة وانما نحو المركزة السياسية والاقتصادية ، شريطة ان تتم هذه المركزة على اساس ديموقراطي . ويبدو ان ماركس كان يشن ، من وجهة نظر بارابيلوم ، «نضالا وهميا» اذ كان يطالب بانفصال ارلندا . ولكن هذه المطالبة هي **وحدها** التي كانت تمثل في الواقع برنامجا ثوريا حازما ، وهي وحدها التي كانت تستجيب لمقتضيات الاممية ، وهي وحدها التي كانت تذود عن مبدأ مركزة **غير** امبريالية .

لقد جعلت الامبريالية من اضطهاد الدول الكبرى للأمم في ايامنا هذه ظاهرة عامة . ووجهة نظر النضال ضد الاشتراكية ــ الشوفينية للدول الكبرى التي تشن في الوقت الراهن حربا امبريالية بغية تعزيز اضطهاد الشعوب الاخرى والتي تضطهد غالبية أمم العالم والقسم الاعظم من سكان الكرة الارضية ، اقول ان وجهة النظر تلك هي التي ينبغي على وجه الدقة ان تلعب الدور الحاسم والاساسي والفاصل في البرنامج القومي للاشتراكية ــ الديموقراطية .

لنرَ الآن الى اتجاهات الفكر الاشتراكي ــ الديموقراطي في هذه المسألة . ان الطوبائيين البورجوازيين الصغار الذين يحلمون بالمساواة وبالسلم بين الامم في ظل النظام الرأسمالي قد تخلوا عن أماكنهم للاشتراكيين ــ الامبرياليين . وبارابيلوم اذ يناضل ضد الأوائل انما يناضل ضد طواحين هوائية ويلعب من حيث لا يشعر لعبة الاخيرين . فما هو برنامج الاشتراكيين ــ الشوفينيين في المسألة القومية ؟

اننا لنراهم اما منكرين حق الامم في تقرير مصيرها انكارا باتا قاطعا بالاستناد الى حجج من نوع الحجج التي يتذرع بها بارابيلوم (كونوف ، بارفوس ، الانتهازيون الروس : سيمكوفسكي ، ليبمان ، الخ) ؛ وإما معترفين بهذا الحق اعترافا مرائيا منافقا

باستنكافهم عن تطبيقه على الامم التي تضطهدهـــا امتهم هم او يضطهدها حليف عسكري لهذه الاخيرة (بليخانوف ، هيندمان ، جميع الوطنيين الميالين الى فرنسا ، ثم شيدمان ، الخ ، الخ) . وكاوتسكي هو الذي يموه الكذب الاشتراكي ـ الشوفيني بالصيغة الاكثر رياء ، وبالتالي الاكثر خطرا بالنسبة الى البروليتاريا . فهو **يؤيد** بالقول حق الامم في تقرير مصيرها ، وهو يؤيد بالقول ان يطالب الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي وأن «يعلن من جميع الوجوة (!!) وبلا تحفظ (؟؟) استقلال الامم» (١) («نيو زايت» ـ السنة ٣٣ ـ المجلد ٢ ـ ص ٢٤١ ـ ١٩١٥/٥/٢١) . ولكنه يكيف **في الواقع** البرنامج القومي مع النزعة الاشتراكية ـ الشوفينية السائدة . فهو يشوه هذا البرنامج ويبتره ، ولا يحدد بدقـــة واجبات اشتراكيي الامم المضطهِدة ، ولا يحجم حتى عن تزييف المبدأ الديموقراطي بصفاقة بزعمه ان المطالبة لكل أمة بـ«الاستقلال السياسي» لهي من قبيل «الشطط» في الطلب («نيو زايت» ـ السنة ٣٣ ـ المجلد ٢ ـ ص ٧٧ ـ ١٩١٥/٤/١٦) . ذلـك ان «الاستقلال الذاتي القومي» كاف كل الكفاية !! اما المسألـــة الرئيسية ، المسألة التي لا تسمح البورجوازية الامبريالية بالتطرق اليها ، أعني مسألة **حدود الدول** المشادة على اضطهاد الامم ، فان كاوتسكي يلزم بصددها الصمت ، ضاربا عرض الحائط بالعنصر الاساسي من البرنامـــج مجاملة منه لتلك البورجوازيـــة . فالبورجوازية على استعداد لان تعد بـ «المساواة في الحقوق بين الامم» وبـ «الاستقلال الذاتي القومي» بكل الوجوه الممكنة شريطة ان تبقى البروليتاريا في إطار الشرعية وأن ترضخ لها «سلميا» في كل ما يتعلق **بحدود** الدولة ! وكاوتسكي يصوغ البرنامـــج

---

١ ـ بالالمانية في النص . ـالمعربـ

القومي للاشتراكية ـ الديموقراطية بصيغة اصلاحية ، لا بروح ثورية .

ان قيادة الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي الالماني وكاوتسكي وبليخانوف ومن لف لفهم لعلى أتم الاستعداد لتبني برنامج بارابيلوم القومي ، وبالاحرى **توكيده** القائل ب «اننا ضد الالحاقات» ، وذلك على وجه التحديد لان هذا البرنامج لا يميط اللثام عن وجوه الاشتراكيين ـ الوطنيين المتربعين على مناصبهم القيادية . ويتبناه ايضا البورجوازيون من دعاة السلم . اما ذلك الجزء العظيم **والعام** من برنامج بارابيلوم («النضال الثوري الجماهيري ضد الرأسمالية») فانه بين يديه مطية لا لكي يضع طبقا له ووفقا لروحه برنامجا في المسألة القومية يضارعه صلابة وثورية ، وانما لكي يمهد الطريق أمام الاشتراكيين ـ الوطنيين ، مثله في ذلك مثل البرودونيين في السنوات الستينات. **ان معظم** الاشتراكيين ينتمون ، في عصرنا الامبريالي هذا ، الى أمم تضطهد أمما أخرى وتسعى الى توسيع نطاق هذا الاضطهاد . ومن هنا فان «نضالنا ضد الالحاقات» سيبقى جملة فارغة من كل مضمون ولن يخيف الاشتراكيين ـ الوطنيين بصورة من الصور اذا نحن لم نعلن ان كل اشتراكي ينتمي الى أمة مضطهِدة ولا يدعو ، في ايام الحرب وأيام السلم سواء بسواء ، الى حرية انفصال الامم المضطهَدة ليس باشتراكي ولا بأممي ، وانما شوفيني ! وكل اشتراكي ينتمي الى أمة مضطهِدة ولا يقوم بهذه الدعاية بالرغم من تحظير حكومته ، اي في الصحافة الحرة ، أعني اللامشروعة ، لن يكون الا نصيرا منافقا للمساواة في الحقوق بين الامم .

اما بصدد روسيا التي لم تنجز بعد ثورتها الديموقراطية البورجوازية ، فان بارابيلوم لا يقول سوى جملة **واحدة** ، هي التالية :

«وحتى روسيا ، تلك البلاد التي هي في منتهى التأخر من الزاوية الاقتصادية ، قد اظهرت للعيان ، من خلال موقف البورجوازية البولونية والليتونية والارمنية ، ان ما يبقي الشعوب في «سجن الشعوب» ذاك ليس السوط العسكري وحده ، وانما ايضا حاجات التوسع الراسمالي الذي تشكل اراضي الدولة الواسعة بالنسبة اليه قاعدة عظيمة للتطور» (١) .

تلكم هي وجهة نظر ليست بصورة من الصور «اشتراكية ـ ديموقراطية» وانما بورجوازية ليبيرالية ، وليست بصورة من الصور أممية وانما شوفينية روسية ـ كبيرة . وبارابيلوم ، الذي يناضل على نحو جدير بالاعجاب ضد الاشتراكيين ـ الوطنيين الالمان، لا يعرف الا ضئيل المعرفة على ما يبدو الشوفينية الروسية ـ الكبيرة ! واذا شئنا ان نحول جملته الى أطروحة اشتراكية ـ ديموقراطية قمينة بأن توصل الى استنتاجات اشتراكية ـ ديموقراطية ، فلا مفر من ان نعدلها ونكملها على الوجه التالي :

ان روسيا سجن للشعوب ، لا بحكم الطابع العسكري والاقطاعي للقيصرية فحسب ، ولا لأن البورجوازية الروسية ـ الكبيرة تعاضد القيصرية فحسب ، بل ايضا لان البورجوازية البولونية ، الخ ، قد ضحت بحرية الامم وبالديموقراطية بوجه عام على مذبح مصالح التوسع الرأسمالي . وبروليتاريا روسيا لا تستطيع ان تسير على رأس الشعب نحو الثورة الديموقراطية المظفرة (وتلكم هي مهمتها الاعجل) ولا ان تناضل الى جانب أشقائها ، بروليتاريي اوروبا ، في سبيل الثورة الاشتراكية ، اذا لم تطالب من الآن وبلا تحفظ بالحرية الكاملة لجميع الامم التي تضطهدها القيصرية

---

١ ـ بالالمانية في النص . ـ المعرب ـ

في الانفصال عن روسيا . وهذا المطلب ليس مستقلا عن نضالنا الثوري في سبيل الاشتراكية . بل نحن نصوغه ، على العكس من ذلك ، لان هذا النضال لن يكون الا كلمة خاوية من المعنى اذا لم نربطه وثيق الربط بالموقف الثوري من جميع المسائل الديموقراطية ، بما فيها المسألة القومية . واذا كنا نطالب بحرية تقرير المصير ، **اي** بالاستقلال ، **اي** بحق الامم المضطهَدة في الانفصال ، فليس ذلك لاننا نهدف الى التجزئة الاقتصادية ولا لاننا نتمنى تشكيل دول صغيرة ، بل على العكس من ذلك لاننا نريد دولا كبيرة ، ولاننا نؤيد تقارب الامم بله اندماجها ، ولكن على اساس ديموقراطي فعلا ، أممي فعلا ، وهو اساس **غير قابل حتى لأن نتصوره** بدون حرية الانفصال . وكما كان ماركس يطالب في عام ١٨٦٩ بانفصال ارلندا ، لا بغية التجزئة وانما لكي تتاح فيما بعد امكانية قيام تحالف حر بين ارلندا وانكلترا ، ولا بداعي «العدل حيال ارلندا» وانما لصالح النضال الثوري للبروليتاريا الانكليزية ، كذلك فاننا لنرى ان رفض اشتراكيي روسيا المطالبة للأمم بحق تقرير المصير بالمعنى الذي اشرنا اليه يشكل خيانة صريحة صفيقة للديموقراطية وللأممية وللاشتراكية .

كتب بالالمانية في ١٦ (٢٩) تشرين
الاول ١٩١٥ على أبعد تقدير .
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٢١ ــ ص ٤٢٣ ــ ٤٣٠

ملاحظة بصدد الاطروحات
حول « الثورة الاشتراكية
وحق الامم في تقرير مصيرها[1]

هناك بعض الشبه بين الطريقة التي ينبغي ان تتوصل بها الانسانية الى الغاء الطبقات وبين الطريقة التي ينبغي ان تتوصل بها الى انصهار الامم مستقبلا . اعني : ان الطريق المفضي الى الغاء الطبقات يمر بالضرورة بالمرحلة الوسطية المتمثلة بدكتاتورية الطبقة المضطهَدة . فالطريق الوحيد المفضي الى انصهار الامم هو تحرر تلك التي هي مسترقة منها والغاء الاضطهاد القومي الغاء حقيقيا ، وهو الالغاء الذي لا يمكن ان يعد حقيقة واقعة من وجهة النظر السياسية الا اذا انطوى على الحق في الانفصال . وهذا الحق هو الوسيلة **السياسية** الفضلى والوحيدة التي تفسح المجال لمعارضة ذلك النظام الغبي ، نظام الدول الصغيرة والعزلة

---

١ ـ كتب لينين هذه الملاحظة لتضاف الى أطروحاته التسع عن «الثورة الاشتراكية وحق الامم في تقرير مصيرها» ، ولكنها لم تنشر معها . ـالمعربـ

القومية الذي هو في سبيله ، لحسن حظ الانسانيـة ، الى ان يتقوض لا محالة بحكم كل تطور الرأسمالية .

كتب في كانون الثاني-شباط ١٩١٦
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٤١ – ص ٣٧٥

احصاء وسوسيولوجيا

تقديم

ان بعض هذه الدراسات (١) التي نرجو ان تحظى باهتمام القارىء لم يسبق نشرها . اما بعضها الآخر فقد ظهر قبل الحرب في عدد من المطبوعات الدورية . وهي تعالج أهمية الحركات القومية ودورها ، والعلاقة بين القومي والاممي ، وغيرها من المسائل التي تحظى في الساعة الراهنة باهتمام متجدد . والعيب الذي تشكو منه في غالب الاحيان الافكار بصدد هذا الموضوع هو بوجه خاص غياب تصور تاريخي وعيني . والتهريب تحت ستار الجمل العامة شيء دارج . واننا لنعتقد ، لهذا السبب ، ان القليل من الاحصاء لن يكون البتة فائضا عن الحاجة . كما ان المقابلة بين دروس الحرب وبين آرائنا في حقبة ما قبل الحرب لا تبدو لنا عديمة النفع . والدراسات مترابطة فيما بينها بوحدة

١ ــ كان لينين ينوي ان ينشر كراسة «احصاء وسوسيولوجيا» بصورة شرعية باسم ب. بيريوتشيف المستعار . ولكن المشروع لم ينجز . «ن.س»

النظرية ووجهة النظر .

كانون الثاني ١٩١٧
المؤلـف

الإطار التاريخي للحركات القومية

يقول مثل سائر انكليزي : الوقائع عنيدة . وغالبا ما ينتقل الفكر بالمرء الى هذا المثل عندما يسمع فلانا من المؤلفين يتغنى ، بترجيع الهزار ، بنبل «مبدأ القوميات» في شتى دلالاته ومعانيه، مطبقا اياه في غالب الاحايين بصورة لا تقل توفيقا وملاءمة عن صيحة بطل قصة شعبية مشهور حين هتف عند مرأى جنازة : «لتقض مشيئة الله بأن يكون لكم دوما من تحملونه» .

ان الوقائع المحددة ، الوقائع غير القابلة للقيل والقال هي ما لا يطيقه بصورة من الصور هذا النوع من الكتاب ، وهي الضرورية كل الضرورة اذا كنا نريد ان نحلل كما ينبغي مسألة معقدة وصعبة ، غالبا ما يضرب حولها عن قصد نطاق من البلبلة والتشويش . ولكن ما السبيل الى تجميع الوقائع ؟ وما السبيل الى تبيان ترابطها وتداخلها ؟

ليس هناك ، في ميدان الظاهرات الاجتماعية ، طريقة اكثر ذيوعا وأقل تبريرا من عزل **بعض** الوقائع الواهنة الاهمية ، ومن بناء الفرضيات حول أمثلة محددة . ومن السهل بوجه عام تجميع أمثلة ، ولكن مثل هذا العمل عديم القيمة ، ان لم يكن سلبيا خالصا ، لان كل شيء رهن بالاطار التاريخي العيني الذي تندرج فيه الحالات الخاصة . ولو اخذت الوقائع في **اجمالها** ، في **ترابطها** ، فانها لا تكون «عنيدة» فحسب ، بل ايضا اثباتية على نحو لا يقبل نقاشا . اما اذا درست خارج المجموع ، خارج

ترابطها ، واما اذا كانت جزئية وتعسفية الاختيار ، فانها لا تعدو ان تكون اكثر من الهيات ، بل شيئا أسوأ من ذلك ايضا . فعندما يضع مؤلف ، كان جديا في الازمان الغابرة ويرغب في ان يعده الناس جديا ، عندما يضع نصب عينيه النير المغولي ويتخذه مثالا لتفسير بعض أحداث اوروبا في القرن العشرين ، فهل في وسعنا الا نرى الى الامر على انه لعبة ، ام انه ينبغي علينا بالاحرى ان نتكلم عن تدجيل سياسي ؟ ان النير المغولي ظاهرة تاريخية ، مرتبطة ارتباطا لا ريب فيه بالمسألة القومية ، تماما كما ان هناك، في اوروبا القرن العشرين ، جملة من الوقائع المرتبطة هي ايضا ارتباطا لا مرية فيه بتلك المسألة . ومع ذلك فان من الناس — على شاكلة أولئك الذين يسميهم الفرنسيون ب «المهرجين القومين» — من يملك القدرة على المطالبة بأن يحمل على محمل الجد وعلى الاستشهاد ب «واقعة» النير المغولي لتفسير ما يحدث في اوروبا القرن العشرين .

ان النتيجة التي ينبغي أن نخلص اليها واضحة : ينبغي أن نحاول ، انطلاقا من ظاهرات محددة لا تحتمل نقاشا ، أن نقرر مبدأ يمكن الاعتماد عليه ويمكن ان نواجه به أي حجة من تلك الحجج « العامة » أو « النموذجية » التي يساء استغلالها الى غير ما حدود في بعض البلدان في أيامنا هذه . وحتى يكون المبدأ المذكور مبدأ حقا ، فمن الواجب أن ندرس لا وقائع منعزلة وانما مجمل الظاهرات المتعلقة بالمسألة موضع الدرس ، **بدون أي** استثناء ، والا فلن يكون هناك مفر من أن تثور الشكوك ، بحق ، في أن الوقائع قد تم اختيارها أو تجميعها بطريقة متعسفة ، وفي أن ما يقدم هو طبيخ « ذاتي » ممجوج لتبرير عملية قذرة على الارجح بدلا من ربط موضوعي للظاهرات التاريخية المدروسة في مجملها . وهذا ما يحدث بالفعل ... اكثر مما نحسب عادة.

ولقد قررنا ، انطلاقا من هذه الاعتبارات ، أن نبدأ بالاحصاء،

مع ادراكنا الكامل ، بالطبع ، للنفور العميق الذي يثيره لـــدى بعض القراء ممن يؤثرون على « الحقائق الفجة » «الكذب النبيل» ولدى بعض المؤلفين الذين يطيب لـــهم ان يمارسوا التهـــريب السياسي ويمرروه تحت ستار التأملات « العامة » حول الاممية والكوسموبوليتية والقومية والوطنية الخ.

الفصل الاول

قليل من الاحصاء

(١)

من الضروري ، حتى نعانق حقا **مجمل** المعطيات عن الحركات القومية بأسرها ، أن نضع نصب أعيننا **جميع** سكان المعمـورة . وعلينا في عملنا هذا أن نقرر بأكبر قدر من الدقة وان نتقيد تقيدا صارما بمؤشرين اثنين : اولا نقاء او تنوع التركيب القومي للدول المختلفة ، وثانيا انقسام الدول (أو التشكيلات المشابهة فيما اذا خامرنا الشك بأن هذه التسمية لا تناسبهـا بدقـــة) الى دول مستقلة أو تابعة سياسيا .

لنتمعن في أحدث الارقام المنشورة في عام ١٩١٦ ولنعتمـد مصدرين اثنين : الاول الماني ، «الجداول الاحصائية والجغرافية» لاوتو هوبنر ، والثاني انكليـزي ، « الحوليـــة السياسيـــة » ويجب أن يكون المصدر الاول هو الاساس باعتبار انه اكمل مـن هذه الزاوية . أما الثاني فسنستخدمـه للتدقيـــق ولبعـــض

التصويبات ، الجزئية في غالب الاحيان .

لنبدأ بالدول المستقلة سياسيا والاكثر « نقاء » من حيث التركيب القومي . وتأتي في المكانة الاولى هنا مجموعة دول اوروبا **الغربية** ، أي الواقعة في غرب روسيا والنمسا .

ان اجمالي تعدادها ١٧ دولة ، خمس منها لا تعدو أن تكون، بالرغم من نقائها الكبير من حيث التركيب القومي ، اكثر من دمى بحكم صغرها . وهي اللوكسمبرغ وموناكو وسان ماران وليشتنشتاين وآندورا ، التي لا يتجاوز عدد سكانها جملة وتفصيلا ٣١٠٠٠٠ نسمة . ومن البدهي أن المنطق يقضي بعدم ادراجها في عداد الدول.أما بالنسبة الى الاقطار الـ ١٢ الاخرى، فان سبعة منها ذات تركيب قومي نقي جدا: ففي ايطاليا وهولاندا والبرتغال والسويد والنرويج ينتمي ٩٩ ٪ من السكان الى قومية واحدة ، وفي اسبانيا والدانمرك تبلغ النسبة المئوية ٩٦ ٪ . ثم تأتي ثلاث دول ذات تركيب قومي شبه نقي : فرنسا وانكلترا والمانيا. ففي فرنسا يتألف ١،٣ ٪ فقط من السكان من الايطاليين الذين ضمهم نابليون الثالث مغتصبا ومزورا ارادة السكان . وارلندا ، بسكانها البالغ تعدادهم ٤،٤ ملايين نسمة ، أي اقل من عشر اجمالي سكان انكلترا (٤٦،٨ مليونا) ، هي دولة ملحقة . وفي المانيا ، ومن أصل ٦٤،٩ مليون نسمة ، يؤلف البولونيون (٥،٤٧ ٪) والدانمركيون (٠،٢٥ بالمئة) والالزاسيون ــ اللورينيون (١،٨٧ مليونا) عنصرا اجنبيا مضطهدا من وجهة النظر القومية بقدر اضطهاد الارلنديين في انكلترا على وجه التقريب . بيد أن قسما من الالزاسيين ــ اللورينيين (لا ندري على وجه التحديد كم) يميل بلا مراء الى المانيا ، لا بحكم اللغة وحدها ، بل أيضا بحكم المصالح الاقتصادية والمشاعر . وخلاصة القول أن حوالي ٥ ملايين من سكان المانيا ينتمون الى امم اجنبية، غير متساوية في الحقوق ، بل مضطهدة .

ان دولتين صغيرتين فقط من دول أوروبا الغربية لهما تركيب قومي مختلط : سويسرا التي يبلغ تعداد سكانها حوالي أربعة ملايين نسمة والتي تتألف من ٦٩ ٪ المانا و ٢١ بالمئة فرنسيين، و ٨ بالمئة ايطاليين، وبلجيكا (اقل من ٨ ملايين نسمة، حوالي ٥٣ ٪ منهم من الفلاندريين و ٤٧ بالمئة من الفرنسيين) . بيد أنه ينبغي أن نلاحظ أنه مهما يكن تنوع التركيب القومي لهاتين الدولتين كبيرا فاننا لا نستطيع أن نتكلم هنا عن اضطهاد للامم . فجميع الامم متساوية في الحقوق طبقا لدساتير الدولتين. وهذه المساواة متحققة فعلا في سويسرا . أما في بلجيكا فان اللامساواة في الحقوق موجودة فيما يتعلق بالفلاندريين الذين يشكلون مع ذلك غالبية السكان ، ولكنها غير ذات معنى بالمقارنة باللامساواة التي يعاني منها البولونيون في المانيا أو الارلنديون في انكلترا على سبيل المثال ، هذا اذا شئنا الا نتكلم عما هو ملحوظ عادة في الاقطار التي لا تنتمي الى مجموعة الدول المذكورة . ولهذا السبب ــ لنقل ذلك عرضا ــ ليس مصطلح « دولة القوميات » الذي عرف رواجا كبيرا منذ أن أطلقه النمساويان ك. رينر و أ. باور ، الانتهازيان المتخصصان في المسألة القومية، اقول : ليس صحيحا الا بمعنى محدود للغاية ، أي بشرط الا ننسى من جهة أولى المكانة التاريخية الخاصة لغالبية الدول التي من هذا النمط (سنعود الى هذه النقطة) والا نسمح من الجهة الثانية باستخدام ذلك المصطلح لتمويه الفارق الجذري القائم بين المساواة الواقعية في الحقوق وبين اضطهاد الامم .

وهكذا تكون لدينا مجموعة من ١٢ دولة في أوروبا الغربية تعداد سكانها ٢٤٢ مليون نسمة يمثل حوالي ٩،٥ ملايين منهم ، أي ٤ ٪ فقط ، أمما مضطهدة (في انكلترا وفي المانيا) . وعلى وجه الاجمال يبلغ تعداد السكان الذين لا ينتمون الى القومية الرئيسية في هذه الدول حوالي ١٥ مليونا ، أي ٦ ٪ .

وهذه المجموعة من الدول تتميز ، على وجه الاجمال أيضا ، بالخصائص التالية : انها اكثر البلدان الرأسمالية تقدما ، والاكثر تطورا بكثير على الصعيد الاقتصادي والصعيد السياسي معا . ومستواها الثقافي هو المستوى الاكثر ارتفاعا أيضا. وغالبية هذه الدول ، من وجهة النظر القومية ، ذات تركيب نقي تماما أو شبه نقي تماما . واللامساواة في الحقوق بين الامم تلعب دورا لا يكاد يذكر بوصفها ظاهرة سياسية خصوصية . والنمط الذي نواجهه ههنا هو نمط « الدولة القومية » ، الذي يتحدث عنه الناس كثيرا ، مع تناسيهم في معظم الاحايين طابعه المشروط والانتقالي تاريخيا في التطور الرأسمالي العام للمجتمع الانساني . ولسوف نعود الى هذه النقطة بمزيد من التفصيل .

وفي وسعنا أن نتساءل عم اذا كان هذا النمط يقتصر على دول أوروبا الغربية ؟ وبدهي أن لا . فجميع علائمه الاساسية ـ الاقتصادية (راسمالية متطورة جدا ومستمرة في التقدم بوتيرة سريعة للغاية) والسياسية (نظام تمثيلي) والثقافية والقومية ـ تلاحظ أيضا في الدول المتقدمة في أميركا وآسيا : اي في الولايات المتحدة واليابان . فالتركيب القومي للقطر الاخير مستقر منذ عهد بعيد ونقي تماما : اكثر من ٩٩ ٪ من اليابانيين . أما في الولايات المتحدة فان ١١،١ ٪ فقط من السكان هم من السود (بالاضافة الى الخلاسيين والهنود) الذين ينبغي ادراجهم في عداد الامم المضطهدة ما دامت المساواة المنتزعة اثر الحرب الاهلية بين ١٨٦١ ــ ١٨٦٥ والمضمونة من قبل دستور الجمهورية قد تقلص نطاقها على نحو متزايد من زوايا عدة في المناطق الرئيسية المأهولة بالسود (في الجنوب) . وهذا التقلص مرتبط بالانتقال من الرأسمالية التقدمية ، ما قبل الاحتكارية ، رأسمالية السنوات الستينات والسبعينات ، الى الرأسمالية الرجعية الاحتكارية (الامبريالية) ، راسمالية العصر الحديث التي دشنتها

في اميركا الحرب الامبريالية (أي التي أضرمها تقاسم الغنائم بين النهابين الاثنين) التي دارت رحاها في عام ١٨٩٨ بين أميركا واسبانيا .

ومن أصل الـ ٨٨،٧ ٪ من سكان الولايات المتحدة البيض يتألف ٧٤،٣ ٪ من الاميركيين و ١٤،٤ بالمئة فقط من أناس ولدوا في بلدان أخرى وهاجروا منها . وكما هو معروف ، فان الشروط الموائمة للغاية لتطور الراسمالية في اميركا والسرعة الخارقة لهذا التطور جعلت الفروق القومية الكبيرة تذوب على نحو سريع وجذري غير معهود في أي مكان آخر من العالم في بوتقة الامة « الاميركية » الواحدة .

واذا ضممنا الولايات المتحدة واليابان الى بلدان أوروبا الغربية التي عددناها آنفا ، يصبح لدينا ١٤ دولة مؤلفة من ٣٩٤ مليون نسمة لا يتمتع حوالي ٢٦ مليونا منهم ، أي ٧ ٪ ، بالمساواة في الحقوق من وجهة النظر القومية . ولنستبق النتائج ولنلاحظ أن غالبية هذه الدول الـ ١٤ المتقدمة قد اندفعت بجنون مسعور على طريق السياسة الاستعمارية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، أي على وجه التحديد في العصر الذي راحت فيه الراسمالية تتحول الى امبريالية . وبنتيجة هذه السياسة « تتحكم » هذه الدول الآن بسكان يزيد تعدادهم على نصف مليار نسمة في البلدان التابعة والمستعمرة .

(٢)

ان مجموعة دول أوروبا الشرقية ـ روسيا ، النمسا ، تركيا (من الاصح جغرافيا اعتبار هذه الاخيرة في الوقت الراهن دولة آسيوية ، و « نصف مستعمرة » اقتصاديا) ، والدول البلقانية الصغيرة الست: رومانيا، بلغاريا ، اليونان، صربيا، الجبل الاسود

والبانيا ـ تقدم لنا بلا جدال لوحة مختلفة جذريا عن اللوحة السابقة . فما من دولة منها تمتاز بتركيب قومي نقي ! ودول البلقان الصغيرة هي وحدها التي تمكن تسميتها دولا قومية . من دون أن ننسى مع ذلك أن السكان الاجانب يمثلون فيها نسبة تتراوح بين ٥ — ١٠ ٪ . وأن عددا كبيرا (بالنسبة الى مجمل الامة المعنية) من الرومانيين والصربيين يعيشون خارج حدود دولتيهم ، وأن « بناء الدولة » بمعنى النزعة القومية البورجوازية لم يكتمل بصورة عامة في البلقان ، ولا حتى بعد حروب «الامس» اذا جاز التعبير ، حروب ١٩١١ — ١٩١٢ . وليس بين الدول البلقانية الصغيرة دولة قومية واحدة شبيهة باسبانيا . أو بالسويد ، الخ. وفي كل واحدة من دول أوروبا الشرقية الثلاث الكبيرة لا تتجاوز النسبة المئوية للقومية « الاصيلة » والرئيسية ٤٣ ٪ . وينتمي اكثر من نصف السكان ، ٥٧ بالمئة في كل واحدة من هذه الدول الكبيرة الثلاث ، الى « قومية اجنبية » (غريبة كما يقال بالروسية القح) . والارقام التالية تشير الى الفارق بين مجموعة دول أوروبا الغربية ومجموعة دول أوروبا الشرقية :

لدينا في المجموعة الاولى ١٠ دول قومية نقية أو شبه نقية تعداد سكانها ٢٣١ مليون نسمة،ودولتان اثنتان فقط«مختلطتان» من وجهة النظر القومية ، تعداد سكانهما ١١،٥ مليون نسمة . ولكن من غير أن تكون الامم فيهما مضطهدة باعتبار ان تساويها في الحقوق معلن في الدستور ومطبق فعلا .

اما في المجموعة الثانية فلدينا ٦ دول شبه نقية تعداد سكانها ٢٣ مليون نسمة ، **وثلاث** دول « مبرقشة » أو « مختلطة » ، أممها غير متساوية في الحقوق ، وتعداد سكانها ٢٤٩ مليون نسمة .

وبالاجمال تمثل نسبة السكان الاجانب (أي الذين لا ينتمون

الى الامة الرئيسية (★) في كل واحدة من الدول المعنيـة) ٦ ٪ في أوروبا الغربية ، و ٧ ٪ اذا ما أضفنا اليها الولايات المتحـدة واليابان . وبالمقابل ، فان هـذه النسبـة في أوروبا الشرقيـة ٥٣ ٪ (١) !

« المؤلفات الكاملة »

المجلد ٢٣ – ص ٢٩٨ – ٣٠٥

★ في روسيا الروس – الكبار ، وفي النمسا الالمان والمجر ، وفي تركيا الاتراك .

١ – هنا تتوقف مخطوطة لينين . –المعرب–

خطاب حول المسألة القومية
في المشار السابع لحزب
عمال روسيا الاشتراكي ـ الديموقراطي (١)

ابتداء من عام ١٩٠٣ ، وهو العام الذي تبنى فيه حزبنا برنامجه ، واجهنا بلا انقطاع معارضة محمومة من جانب الرفاق البولونيين . ولو درستم محاضر جلسات المؤتمر الثاني ، لرأيتم انهم قد عرضوا فيه منذ ذلك الحين الحجج التي نواجهها في الوقت الراهن . ولقد انسحب الاشتراكيون ـ الديموقراطيون البولونيون من ذلك المؤتمر لتقديرهم بأنهم لا يستطيعون القبول ، من جانبهم، بالاعتراف للقوميات بحقها في تقرير مصيرها . ومنذ ذلك اليوم لا نكف عن الاصطدام كل مرة بهذه المسألة . ولقد كانت الامبريالية موجودة في عام ١٩٠٣ ؛ ولكنها ما كانت تستخدم كحجة (٢) . واليوم كما بالامس يشكل الموقف الذي

---

١ ـ هو المشار الذي انعقد في بتروغراد في ٢٤ـ٢٩ نيسان ١٩١٧ . وكان اول مشار شرعي للبلاشفة . «ن.س»

٢ ـ يشير لينين ههنا، كما في اجزاء أخرى من خطابه، الى موقف البلشفي =

تقفه الاشتراكية ـ الديموقراطية البولونية خطأ فادحا . فهؤلاء الناس يريدون أن يجعلوا موقف حزبنا كموقف الشوفينيين .

ان سياسة بولونيا قومية كليا ، بنتيجة الاضطهاد الروسي الطويل الامد ، والشعب البولوني تتسلط عليه الرغبة في الانتقام من موسكوفيا. فما من أحد اضطهد البولونيين كالشعبالروسي. ولقد كان هذا الاخير بين أيدي القياصرة جلاد الحرية البولونية . وليس هناك من شعب يكن لروسيا حقدا متأججا كالبولونيين ، وليس هناك من شعب يحمل مثل تلك الكراهية لروسيا ، وهذا ما ينجم عنه وضع غريب فريد . فبولونيا عقبة في وجه الحركة الاشتراكية بسبب البورجوازية البولونية . ولا ضير في ان يلتهب العالم شريطة أن تبقى بولونيا حرة . وبدهي أن طرح المسألة على هذا النحو هو بمثابة هزء بالاممية . ولا ريب في أن بولونيا تعيش الآن تحت الاكراه ، ولكن القوميي النزعة من البولونيين يخونون « الاممية » اذ يعتمدون على روسيا لتحرير بلادهم . والحال أن القوميي النزعة من البولونيين قد رسخوا أفكارهم عميقا في دماغ الشعب البولوني فبات ينظر فعلا الى الامور على هذا النحو .

والمأثرة التاريخية الكبيرة للرفاق الاشتراكيين ـ الديموقراطيين البولونيين هيأنهم صاغوا شعار الامية وقالوا: ان التحالف الاخوي مع بروليتاريا سائر الاقطار الاخرى اهم في نظرنا من كل شيء ، ولن نخوض أبدا الحرب من أجل تحرر بولونيا . هنا يكمن فضلهم ، ولهذا لم نندرج قط في عداد

= بياتاكوف الذي كان ينكر، مع بوخارين، حق الامم في تقرير مصيرها ، بحجة ان هذا الشعار وهم في عصر الامبريالية المنفلتة من عقالها ، على نحو ما كانت تزعم روزا لوكسمبورغ . ـ المعرب ـ

الاشتراكيين غير هؤلاء الرفاق الاشتراكيين ـ الديموقراطيين البولونيين . أما الآخرون فهم قوميو النزعة ، بليخانوفيون بولونيون . ولكن هذا الوضع الفريد من نوعه الذي يتوجب فيه على الرجال ، كي ينقذوا الاشتراكية ، أن يكافحوا نزعة قومية مسعورة ، مرضية ، يفضي الى نتيجة غريبة : فثمة رفاق يأتون ليقولوا لنا ان علينا أن نتخلى عن حرية بولونيا ، أن نتخلى عن انفصالها .

لم يتوجب علينا ، نحن الروس الكبار ، نحن الذين نضطهد عددا من القوميات اكبر من العدد الذي يضطهده أي شعب آخر ، أن نرفض الاعتراف بحق الانفصال لبولونيا واوكرانيا وفنلندا ؟ هناك من يقترح علينا أن نصبح شوفينيين حتى نسهل مهمة الاشتراكيين ـ الديموقراطيين في بولونيا . هناك من يقول لنا : نحن لا نتطلع الى تحرير بولونيا لان الشعب البولوني يعيش بين دولتين قادرتين على أن تتصارعا (١) . ولكن بدلا من أن يقول الاشتراكيون ـ الديموقراطيون البولونيون بأن على العمال البولونيين أن يجروا محاكماتهم العقلية على هذا النحو : ان الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الذين يرون أن الشعب البولوني يجب أن يكون حرا هم وحدهم الذين يظلون ديموقراطيين ، والشوفينيين ليس مكانهم في صفوف حزب اشتراكي ، بدلا من أن يقولوا هذا يقولون: اننا ضد انفصال بولونيا على وجه التحديد لان التحالف مع العمال الروس يبدو لنا ذا فائدة اكبر . هذا حقهم المطلق . ولكنهم لا يريدون أن يفهموا أن تعزيز الاممية يقتضي تشديد اللهجة في روسيا على حق الامم المضطهدة في الانفصال

---

١ ـ يقصد روسيا وبروسيا اللتين كانتا تتقاسمان ، مع النمسا ، اراضي بولونيا . ـ المعرب ـ

وفي بولونيا على حرية الارتباط ، بدلا من ترديد الكلمات نفسها الى غير ما نهاية . ان حرية الارتباط تفترض حرية الانفصال . وعلينا ، نحن الروس أن نركز على حرية الانفصال ، في حين أن من الواجب في بولونيا الالحاح على حرية الارتباط .

اننا نواجه ههنا سفسطات تفضي الى انكار الماركسية انكارا تاما . فوجهة نظر الرفيق بياتاكوف نسخة طبق الاصل عن وجهة نظر روزا لوكسمبورغ (۱) ... هكذا يفكر الرفيق بياتاكوف ، والحجة تنقلب عليه : فهو يقول للشعب بوصفه من أنصار نفي حرية الانفصال على الصعيد النظري : ليس اشتراكيا من ينفي حرية الانفصال . ان ما قاله الرفيق بياتاكوف هنا يدلل على خلط لا يصدق . فالمسألة القومية في أوروبا الغربية ، في معظم أقطارها ، قد حلت منذ أمد طويل . وعندما نقول ان المسألة القومية قد حلت ، فانما يمتد بنا الفكر الى أوروبا الغربية . والرفيق بياتاكوف يسحب هذا التوكيد على أوروبا الشرقية التي لا ينطبق عليها ، وبذلك نجد أنفسنا أمام موقف مضحك .

انظروا قليلا الى الهراء الرهيب الذي انقدنا اليه ! ان فنلندا في خاتمة المطاف على بعد خطوتين . والرفيق بياتاكوف لا يعطي بشأنها جوابا عينيا ، بل يتخبط في التخريف . لقد قرأتم بالامس في « رابوتشايا غازيتا » (۲) ان النزعة الانفصالية يشتد ساعدها هناك . ويأتي الفنلنديون ليقولوا ان النزعة الانفصالية يشتد ساعدها عندهم، نظرا الى أن الكاديت لا يمنحون فنلندا الاستقلال

---

۱ ــ ثغرة في نص محضر الجلسة . «ن.س»

۲ ــ اي «الصحيفة العمالية» : صحيفة المناشفة المركزية في عام ۱۹۱۷ . « ن.س »

الذاتي الكامل (١) . وتكتب «رابوتشايا غازيتا» ان على الفنلنديين أن ينتظروا « الجمعية التأسيسية » التي ستحقق التفاهم بين فنلندا وروسيا . أي تفاهم ؟ ان من واجب الفنلنديين أن يقولوا ان لهم الحق في أن يقرروا مصائرهم على النحو الذي يحلو لهم ، والروسي ــ الكبير الذي لن يقر لهم بهذا الحق لن يكون الا شوفينيا . . .

ان الرفيق بياتاكوف يكتفي بنبذ شعارنا ، قائلا انه ليس شعارا من شعارات الثورة الاشتراكية . ولكنه هو نفسه لا يأتي بالحل المطلوب . فمنهج الثورة الاشتراكية تحت شعار : «لتسقط الحدود » خلط كامل. ونحن لم ننجح في نشر المقال الذي وصفت فيه هذا الرأي بـ « النزعة الاقتصادية الامبريالية » (٢) . فما يعني « منهج » الثورة الاشتراكية هذا تحت شعار : « لتسقط الحدود » ؟ اننا نؤكد ضرورة الدولة ، والدولة تفترض حدودا . وصحيح أن الدولة يمكن أن تحتوي حكومة بورجوازية ، في حين أن السوفييتات هي ما نحتاجه . ولكن مسألة الحدود مطروحة أيضا بالنسبة الى السوفييتات . ما معنى : « لتسقط الحدود »؟ هنا تبدأ الفوضى . . . و « منهج » الثورة الاشتراكية تحت شعار « لتسقط الحدود » ليس الا تخليطا . فعندما تصبح الثورة الاشتراكية ناضجة ، وعندما تنفجر ، فستمتد الى بلدان أخرى وسنساعدها على ذلك ، ولكن لا ندري كيف . ان « منهج الثورة

---

١ ــ كان الكاديت يسيطرون على الحكومة المؤقتة التي قامت بعد ثورة شباط ١٩١٧ وكانوا ينتهجون سياسة شوفينية . ــالمعرب ــ

٢ ــ يشير لينين ههنا الى مقاله «صورة كاريكاتورية للماركسية وبصدد النزعة الاقتصادية الامبريالية» الذي كتبه في عام ١٩١٦ ، والذي لم ينشر الا في عام ١٩٢٤ . ــالمعرب ــ

الاشتراكية » جملة فارغة من المعنى . ولما كانت ما تزال هنـــاك مشكلات لم تحلها الثورة البورجوازية ، فاننا لنرى وجوب حلها . ونحن نقف موقف اللامبالاة ، موقف الحيـــاد مـــن الحركـــة الانفصالية . ولو انفصلت فنلندا وبولونيا واوكرانيا عن روسيا ، لما رأينا في ذلك ضرا . وما الضر الذي يمكن أن ينجم عن ذلك ؟ لن يكون الا شوفينيا من يقول بذلك . والمجنون وحده هو الـذي يتابع سياسة القيصر نيقولا . لقد انفصلت النرويج عن السويـد حقا وفعلا ... ولقد جاء وقت كان فيه اسكندر الاول ونابليـون يتبادلان الشعوب ، وكان القياصرة يقايضون بولونيا . ثم يراد لنا أن نتابع تكتيك القياصرة هذا ؟ لو فعلنا ذلك نكون قد تخلينا عـن تكتيك الاممية ، ونكون قد سقطنا في أردأ أنواع الشوفينيـة . أين الضر في حال انفصال فنلندا ؟ لقد تعززت الثقة المتبادلـة لدى الشعبين النرويجي والسويدي ، لـدى بروليتاريي هذيـن القطرين ، بعد الانفصال . ولقد راودت كبار الملاكين العقاريين في السويد شهوة الحرب ، ولكن العمال السويديين عارضوا ذلـك معلنين انهم لن يمشوا .

ان الفنلنديين لا يريدون في الوقت الراهن غير الاستقـلال الذاتي . ونحن نرى أن فنلندا يجب أن تمنح الحرية كاملـة . فالثقة في الديموقراطية الروسية ستنمو ، وآنذاك لن يعـود الفنلديون يفكرون في الانفصال، يوم سيوضع ذلك الاجراء موضع تنفيـذ . عندما يـذهب روديتشيف (١) الى الفنلنديين ويشرع بمساومتهم على الاستقلال الذاتي ، يأتي الرفـاق الفنلنديـون ليقولوا لنا : نحن نريد الاستقلال الذاتي . ولكن النار تطلق عليهم من كل الاسلحة ، ويقال لهم : « انتظروا الجمعية التأسيسية » .

---

١ ــ محام وملاك عقاري من زعماء حزب الكاديت . ــالمعربــ

أما نحن فنقول : « ان الاشتراكي الروسي الذي يأبى الحرية على فنلندا لهو شوفيني » .

انا نقول ان الحدود يجب أن تحددها ارادة السكان . فلتكف روسيا عن شن الحرب على كورلاندا ! (١) ولتجل المانيا عن هذا البلد ! هكذا نحسم مسألة الانفصال . فالبروليتاريا لا تستطيع أن تلجأ الى الاكراه ، لانه لا ينبغي عليها أن تضع العراقيل في وجه حرية الشعوب . وشعار « لتسقط الحدود » لن يكون صحيحا الا يوم تصبح الثورة الاشتراكية حقيقة واقعة ، بدلا من أن تكون منهجا ، وآنذاك سنقول : أيها الرفاق ، تعالوا الينا ...

أما مسألة الحرب فمسألة مغايرة تماما . فنحن لن نرفض أن نخوض حربا ثورية عند الحاجة . اننا لسنا سلميي النزعة ... وعندما يرسل ميليوكوف (٢) ، المتربع على سدة السلطة عندنا ، روديتشيف الى فنلندا ليساوم بلا حياء الشعب الفنلندي ، فاننا نقول : ليأخذ الشعب الروسي حذره من ممارسة العنف على فنلندا . ان شعبا يضطهد شعبا آخر لا يمكن أن يكون حرا . لقد قلنا في القرار بصدد اقتراح بورغبييرغ (٣) : اجلوا عن البلدان التي تحتلها قواتكم ودعوا الامم تقرر مصيرها نفسها . ولو استولى السوفييت على السلطة غدا ، فلن نلجأ الى « منهج الثورة الاشتراكية »، بل سنقول : يا المانيا اجلي عن بولونيا ، ويا روسيا اجلي عن أرمينيا ، والا فلن تكون المسألة الا خداعا .

يقول لنا الرفيق دزرجنسكي عن بولونيته المضطهدة ان جميع

---

١ ـ منطقة في ليتونيا . ـالمعرب ـ

٢ ـ بافل ميليوكوف (١٨٥٩ ـ ١٩٤٣) : زعيم حزب الكاديت . ـالمعرب ـ

٣ ـ اشتراكي دانمركي انتهازي اتهمه قرار المشار السابع لحزب عمال روسيا بالعمالة للحكومة الالمانية الامبريالية . ـالمعرب ـ

الناس فيها شوفينيون . ولكن لمَ لم ينبس أي واحد من البولونيين ببنت شفة بصدد المسلك الذي ينبغي أن نسلكه تجاه فنلندا وتجاه اوكرانيا ؟ لقد تناقشنا مطولا حول هذا الموضوع منذ عام١٩٠٣ بحيث يشق علينا أن نعود اليه . اذهب حيثما تشاء .. وكل امرىء لا يأخذ بوجهة النظر هذه انما هو توسعي وشوفيني. اننا نريد التحالف الاخوي مع جميع الشعوب . والثقة المتبادلة والروابط المشتركة لن تزداد الا اتساعا اذا ما قامت جمهورية اوكرانية وجمهورية روسية. ولو راى الاوكرانيون لدينا جمهورية سوفياتية، لما انفصلوا عنا ، ولكن اذا كانت جمهوريتنا ميليوكوفية فانهم سينفصلون . وعندما قال الرفيق بياتاكوف مناقضا نفسه كل المناقضة : اننا ضد الابقاء بالقوة على شعب من الشعوب ضمن الحدود الروسية ، فانه يكون قد اعترف على وجه التحديد بحق الامم في تقرير مصيرها . اننا لا نريد البتة أن يحيا موجيك خيوه (١) تحت نير الخان التابع له . ولسوف يؤثر تطور ثورتنا على الجماهير المضطهدة . وهذا هو الاسلوب الوحيد الذي ينبغي أن نفهم به التحريض في أوساط الجماهير المضطهدة .

ولكن كل اشتراكي روسي يرفض الاعتراف بالحرية لفنلندا واوكرانيا سيسقط في الشوفينية . ولن تسمح له أي سفسطة، أي احالة الى « منهجه » ، بأن يبرر نفسه .

خطاب ألقي في ٢٩ نيسان ١٩١٧
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٢٤ ـ ص ٢٩٦ ـ ٣٠٤

---

١ ـ مدينة في أوزبكستان كانت فيما مضى عاصمة لامارة قوية يحكمها الخانات . ـالمعربـ

قرار حول المسألة القومية
في المشار السابع لحزب
عمال روسيا الاشتراكي ـ الديموقراطي

ان سياسة الاضطهاد القومي ، الموروثة عن الاوتوقراطية والملكية ، تتمتع بتأييد كبار الملاكين العقاريين والرأسماليين والبورجوازيين الصغار الذين يريدون الحفاظ على امتيازاتهم الطبقية وزرع الانقسام بين عمال مختلف القوميات . والامبريالية المعاصرة ، التي تعزز الميل الى استعباد الشعوب الضعيفة ، هي عامل جديد في تفاقم الاضطهاد القومي .

ان الغاء الاضطهاد القومي غير ممكن ، وهذا بقدر ما أنه قابل للتحقيق في المجتمع الرأسمالي ، الا عندما تعيش الدولة في ظل نظام جمهوري ديموقراطي متماسك يضمن المساواة الكاملة بين الامم قاطبة واللغات كافة .

ان الحق في حرية الانفصال وفي تشكيل دول مستقلة يجب أن يقر به لجميع الامم التي تتألف منها روسيا . وانكار هذا الحق وعدم اتخاذ التدابير المناسبة لضمان تطبيقه العملي يعني تأييد سياسة الفتوحات أو الالحاقات . واعتراف البروليتاريا بحق الامم في الانفصال هو وحده الذي يكفل التضامن الكامل بين

عمال مختلف القوميات وييسر تقاربا ديموقراطيا حقيقيا بين الامم .

ان النزاع الذي نشب بين فنلندا والحكومة المؤقتة الروسية يظهر بكل وضوح أن نفي حق حرية الانفصال يؤدي الى الاستمرار بكل بساطة في سياسة القيصرية .

وليس من المسموح الخلط بين حق الامم في حرية الانفصال وبين نفع الانفصال بالنسبة الى هذه الامة أو تلك . وفي هذه المرحلة أو تلك . وعلى حزب البروليتاريا ان يحل هذه المشكلة الاخيرة ، في كل حالة خاصة ، بصورة مستقلة مطلق الاستقلال، انطلاقا من وجهة نظر مصالح مجمل التطور الاجتماعي ومصالح نضال البروليتاريا الطبقي من أجل الاشتراكية .

ان الحزب يطالب باستقلال ذاتي منطقي واسع ، وبالغاء الرقابة المفروضة من أعلى ، وبالغاء اللغة الرسمية الالزامية ، وبتحديد حدود المناطق المستقلة ذاتيا أو التي تدير نفسها بوسائلها الذاتية على أن يأخذ سكان هذه المناطق بعين الاعتبار الشروط الاقتصادية والحياتية والتركيب القومي للسكان الخ...

ان حزب البروليتاريا يرفض قطعا ما يسمى بـ « الاستقلال الذاتي الثقافي ـ القومي» الذي يعني اخراج تنظيم المدارس، الخ، من نطاق اختصاص الدولة ، ووضع هذه المدارس بين أيدي ما يشبه الديتات القومية (١) . ان الاستقلال الذاتي الثقافي ـ القومي يفصل على نحو مصطنع بين العمال القاطنين في محلة واحدة . بله العاملين في مشروع واحد ، تبعا لانتمائهم الى هذه « الثقافة القومية » أو تلك ، اي أنه يعزز ارتباط العمال بالثقافة البورجوازية لمختلف الامم ، في حين أن المهمة التي تأخذها الاشتراكية ـ الديموقراطية على عاتقها هي تعزيز الثقافة الامية

---

١ ـ الدييت : مجلس يشبه البرلمان في عدد من دول اوروبا . ـ المعرب ـ

لبروليتاريا العالم قاطبة .

ان الحزب يطالب بأن يدرج في الدستور قانون أساسي يعلن الغاء جميع الامتيازات التي تتمتع بها أمة من الامم، وكذلك جميع أشكال المساس بحقوق الاقليات القومية .

ان مصالح الطبقة العاملة تقتضي أن يتجمع عمال جميع قوميات روسيا في منظمات بروليتارية واحدة : سياسية ونقابية وتعاونية وتربوية الخ. ومثل هذا التجمع لعمال مختلف القوميات في منظمات واحدة هو وحده الذي يمكن البروليتاريا من النضال المظفر ضد الراسمال الاممي والنزعة القومية البورجوازية .

٢٩ نيسان ١٩١٧

« المؤلفات الكاملة »

المجلد ٢٤ – ص ٢٠٥ – ٢٠٦ .

فنلندا وروسيا

ان مسألة العلاقات بين فنلندا وروسيا قد اصبحت واحدة من مسائل الساعة الراهنة . فالحكومة المؤقتة **لم تعرف** كيف ترضي الشعب الفنلندي الذي لا يطالب حتى الآن بالانفصال ، وانما فقط باستقلال ذاتي واسع .

ان السياسة التوسعية والمعادية للديموقراطية التي تنتهجها الحكومة المؤقتة قد تولت صياغتها و « الدفاع عنها » مؤخرا الـ « رابوتشايا غازيتا » . ولقد وقفت هذه الصحيفة موقفا يستحيل معه عليها أن تفضح أتباعها خيرا مما فضحتهم به لو وقفت غير ذلك الموقف . ولما كانت المسألة اساسية بالفعل ، وذات أهمية قومية ، فان من الضرورة بمكان أن نعيرها انتباهنا كله .

كتبت الـ « رابوتشايا غازيتا » في عددها ٤٢ :« ترى اللجنة التنظيمية (١) أن مسألة العلاقات بين فنلندا والدولة الروسية لا

---

١ ـ اللجنة التنظيمية لحزب عمال روسيا الاشتراكي ـ الديموقراطي : هي المركز القيادي للمناشفة ، وقد تم تشكيلها في مشار آب ١٩١٢ التصفوي ، وظلت تقوم بعملها الى ان جرى انتخاب اللجنة المركزية للحزب المنشفي في آب ١٩١٧ . «ن.س»

يمكن ولا يجوز تسويتها في مجملها الا بموجب اتفاق بين الديت الفنلندي والجمعية التأسيسية (١) . والى أن يتم ذلك لا يجوز للرفاق الفنلنديين (أجرت اللجنة التنظيمية محادثات مع الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الفنلنديين) أن ينسوا أنه لو تعززت الميول الانفصالية اكثر فاكثر في فنلندا ، لامكن أن ينجم عن ذلك تعزيز للميول المركزية لدى البورجوازية الروسية» .

هذه هي وجهة نظر الراسماليين والبورجوازية والكاديت . ولكنها ليست بحال من الاحوال وجهة نظر البروليتاريا . لقد ضرب الاشتراكيون ـ الديموقراطيون المناشفة صفحا عن برنامج الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي ، وبوجه خاص عن فقرته التاسعة التي أقرت لجميع الامم التي تتألف منها الدولة الروسية بالحق في تقرير مصيرها . والواقع أنهم جحدوا ذلك البرنامج وانحازوا عمليا الى البورجوازية ، تماما كما فعلوا بالنسبة الى مسألة استبدال الجيش الدائم بجيش الشعب العام ، الخ.

ان الرأسماليين والبورجوازيين ، بما فيهم حزب الكاديت ، لم يعترفوا قط للامم بحق تقرير المصير على الصعيد السياسي ، وبعبارة أخرى ، **بحرية الانفصال** عن روسيا .

ولقد **اعترف** الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي بهذا الحق في الفقرة التاسعة من برنامجه الذي تم تبنيه في عام ١٩٠٣ .

واذا كانت اللجنة التنظيمية قد « أحالت » الاشتراكيين ـ الديموقراطيين الفنلنديين الى « اتفاق » يعقد بين الديت الفنلندي والجمعية التأسيسية ، فهذا لانها انحازت فعلا وواقعا

---

١ ـ اي الجمعية التأسيسية الروسية التي لم يكن لها وجود يوم كتابة هذا المقال (ايار ١٩١٧) والتي ظلت الحكومة المؤقتة ترجىء الدعوة الى انتخابها حتى ١٢ تشرين الاول ١٩١٧ . ـالمعربـ

بصدد هذه المسألة الى جانب البورجوازية . ويكفي ، للاقتناع بذلك تمام الاقتناع ، أن نقارن بين موقف **جميع** الطبقات الرئيسية وموقف **جميع** الاحزاب الرئيسية .

ان القيصر واليمين والملكيين ليسوا من انصار اتفاق بين الدييت والجمعية التأسيسية ، وانما من أنصار تبعية فنلندا للشعب الروسي تبعية مباشرة . والبورجوازية الجمهورية تؤيد قيام **اتفاق** بين الدييت الفنلندي والجمعية التأسيسية . أما البروليتاريا الواعية والاشتراكيون ــ الديموقراطيون **الاوفياء** لبرنامجهم فهم يرون أن فنلندا ، وكذلك جميع القوميات المستعبدة ، يجب أن تكون لها **حرية الانفصال** عن روسيا . انها كما نرى لوحة واضحة ، دقيقة ، لا تحتمل نقاشا . وتحت شعار « الاتفاق » ذاك ، الذي لا يحل أي مشكلة البتة (ماذا سيحدث ، بالفعل ، اذا **لم** يقم اتفاق ؟) ، تتابع البورجوازية سياسة الاستعباد القيصرية ، سياسة التوسع والالحاق .

ذلك ان القياصرة الروس قاطبة قد الحقوا فنلندا في أعقاب التسوية مع نابليون الذي اغتال الثورة الفرنسية ، الخ. واذا كنا حقا ضد الالحاق فان علينا ان نقول : **حرية الانفصال لفنلندا** ! وانما بعد أن نقول ذلك ، وبعد أن نكون قد حققناه ، **فآنذاك** ــ وآنذاك فقط ! ــ يكون « الاتفاق » مع فنلندا طوعيا حقا ، ومقبولا بحرية ، وجديرا باسم الاتفاق بدلا من أن يكون خداعا .

ان الاتفاق لا يمكن أن يقوم الا بين متعادلين . وحتى يكون الاتفاق اتفاقا حقا لا تمويها لفظيا لالحاق ، فلا مفر من المساواة الفعلية بين طرفين **اثنين** . وبعبارة أخرى ، لا بد ان يكون **لفنلندا** ، كما لروسيا ، الحق في **ألا** تقبل . هذا واضح ، واضح كالنهار .

و « حرية الانفصال » هي وحدها التي تعبر عن هذا الحق . وفنلندا المتمتعة بحق الانفصال هي وحدها المؤهلة حقا لان تعقد

مع روسيا « اتفاقا » لمعرفة ما اذا كانت ستنفصل أو لا . وكل من يهذر بصدد « اتفاق » **من دون** أن يتوفر ذلك الشرط ، ومن دون أن تكون حرية الانفصال قد حظيت بالاعتراف بها ، انما يخدع نفسه ويخدع الشعب .

لقد كان على اللجنة التنظيمية أن تقول بوضوح للفنلنديين هل تعترف أو لا تعترف بحرية الانفصال . ولكنها ضربت كشحا . شأن الكاديت ، عن هذه المسألة ، وأنكرت بالتالي حرية الانفصال. كان عليها أن تتصدى للبورجوازية الروسية التي تنكر على الامم المضطهدة حق الانفصال ، ذلك الانكار الذي هو بمثابة **برهان على نزعتها التوسعية** الالحاقية . ولكن اللجنة التنظيمية تتهجم على العكس على الفنلنديين محذرة اياهم بأن الميول « الانفصالية » ستؤدي الى تعزيز الميول المركزية ! ! وبعبارة أخرى ، ان اللجنة التنظيمية تهدد الفنلنديين بتعزز البورجوازية الروسية ـ الكبيرة ذات النزعة الالحاقية : وهذا بالضبط ما فعله الكاديت على الدوام ، وانما تحت هذه الراية على وجه التحديد يمارس روديتشيف وأضرابه نزعتهم التوسعية الالحاقية .

ذلكم مثال عيني يسلط ضوءا ساطعا على مسألة الالحاقات التي يتكلم عنها جميع الناس اليوم مع تخوفهم في الوقت نفسه من طرحها طرحا صريحا واضحا . **ان كل من يعارض حرية الانفصال انما يناصر الالحاقات .**

لقد انتهج القياصرة سياسة الحاقية فظة . فقايضوا شعبا بآخر بموجب اتفاقات مع ملوك آخرين (تقاسم بولونيا ، تسوية مع نابليون بصدد فنلندا ، الخ) ، على نحو ما كان يفعل الاقطاعيون عندما كانوا يتبادلون الاقنان فيما بينهم . والبورجوازية ، التي صارت جمهورية ، تتابع سياسة الالحاقات هذه **نفسها** ، ولكن على نحو اكثر حذاقة وتمويها ، **واعدة** بـ « اتفاق » **وملغية في الوقت نفسه** الضمانة الفعلية الوحيدة للمساواة الحقيقية عند

عقد الاتفاق ، اعني : حرية الانفصال . واللجنة التنظيمية تسير في ركاب البورجوازية ، وتنحاز في الواقع الى صفها (لقد كانت الـ « بير جيفييه فيدوموستي » (١) على حق اذن عندما أعادت نشر جوهر مقال الـ « روباتشايا غازيتا » وكالت المديح لـرد اللجنة التنظيمية على الفنلنديين بوصفه «درسا في الديموقراطية الروسية » لهم . ولقد استحقت الـ « رابوتشايا غازيتا » هذه القبلة من الـ « بير جيفييه فيدوموستي ») .

لقد اكد حزب البروليتاريا (« البلاشفة ») مرة اخرى ، في القرار الذي اتخذه في مشاره بصدد المسألة القومية ، حرية الانفصال .

ان تكتل الطبقات والاحزاب واضح .

ان البورجوازي الصغير يستسلم بتخاذل لارهاب الشبح المتسلط على البورجوازية الخائفة : هذا هو جوهر سياسة الاشتراكيين ــ الديموقراطيين المناشفة والاشتراكيين ــ الثوريين . انهم « يخشون » الانفصال . والبروليتاريون الواعون لا يخشونه . فلقد كسبت السويد والنرويج كلتاهما من جراء انفصال النرويج انفصالا حرا في عام ١٩٠٥ : فالثقة بين الامتين تعاظمت ، وتحقق بينهما تقارب مقبول به عن طواعية ، وتعززت بقوة اكبر اوجه **التشابه** المتبادل على صعيد الاقتصاد والسياسة وعلى صعيد الثقافة والتقاليد ، وتدعم التحالف الاخوي بين عمال كلا القطرين .

أيها الرفاق العمال والفلاحون ! تصدوا للسياسة التوسعية

---

١ ــ بير جيفييه فيدوموستي (صحيفة البورصة) : صحيفة يومية بورجوازية، كانت تصدر في بطرسبورغ منذ عام ١٨٨٠ ، وألغي امتيازها في تشرين الاول ١٩١٧ . «ن٠س»

الالحاقية التي ينتهجها الرأسماليون الـروس ، غوتشـكوف وميليوكوف والحكومة المؤقتة ، تجاه فنلندا وكورلاندا واوكرانيـا الخ ! لا تخشوا من الاعتراف لجميع هذه الامم بحرية الانفصال . فليس بالعنف ينبغي دفع الشعوب الى الاتحاد مـع الـروس ـ الكبار ، وانما فقط عن طريق اتفاق طوعي حقا ، حر حقـا ، **مستحيل** بدون حرية الانفصال .

فكلما كانت روسيا اكثر حرية ، وكلما اعترفت جمهوريتنـا بمزيد من الحزم بحرية انفصال الامم غير الروسية ، **اتجهت** هذه الامم الى الاتحاد معنا ، وقلت الاصطدامات ، ونـدرت حـالات الانفصال الحقيقي ، وقصرت مدة انفصال الامم التي ستنفصل ، وتوثقت عرى التحالف الاخوي بين جمهورية روسيا البروليتارية والفلاحية وبين جمهوريات سائر الامم أيا تكن » .

«البرافدا» ـ العدد ٤٦ .
١٥ ايار ١٩١٧
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٢٤ ـ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٥ .

حول تعديل برنامج الحزب (١)

(مقتطف)

... ينبغي تعديل الفقرة التاسعة (٢) على النحو التالي :

ان الحق في حرية الانفصال وفي تشكيل دول مستقلة معترف به لجميع الامم التي تتألف منها الدولة . وعلى جمهورية الشعب الروسي ان تجتذب اليها الشعوب او القوميات الاخرى لا بالاكراه ، وانما فقط عن طريق التفاهم الحر من اجل انشاء دولة مشتركة . ان الوحدة والتحالف الاخوي بين عمال جميع الاقطار يتنافيان مع كل اكراه مباشر او غير مباشر ترزح تحته القوميات الاخرى .

كتب في نيسان ـ ايار ١٩١٧
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٢٤ ـ ص ٤٨٦ .

---

١ ـ بعد ثورة شباط ١٩١٧ تزايدت الحاجة الى تعديل برنامج الحزب البلشفي . وقد اخذ لينين هذه المهمة على عاتقه وتقدم بعدد من الاقتراحات نقتبس منها ههنا ما يتعلق بالمسألة القومية . ـالمعربـ

٢ ـ كانت الفقرة التاسعة في برنامج ١٩٠٣ مصاغة على النحو التالي : الاعتراف لجميع الامم التي تتألف منها الدولة بالحق في تقرير مصيرها بنفسها. ـ المعرب ـ

اوكرانيا

يبرز للعيان بوضوح متزايد افلاس سياسة الحكومة المؤقتة الجديدة ، حكومة الائتلاف (١) . و«المرسوم العام» حول تنظيم اوكرانيا الذي اصدرته الرادا الاوكرانية المركزية (٢) وصادق عليه في ١١ حزيران ١٩١٧ مؤتمر مندوبي الوحدات العسكرية الاوكرانية ، هو بمثابة تنديد مباشر بتلك السياسة والدليل الملموس على افلاسها .

جاء في المرسوم : «يجب ان يكون للشعب الاوكراني في اراضيه الحق في ان يقرر بنفسه حياته الخاصة ، وهذا من غير ان يقطع صلته بالدولة الروسية ... ان جميع القوانين الرامية الى توطيد النظام هنا ، في اوكرانيا ، لا يمكن ان تصدر الا عن هيئتنا الاوكرانية . اما القوانين التي ستوطد النظام على امتداد

---

١ ــ في ايار ١٩١٧ تشكلت حكومة مؤقتة جديدة ، سميت بالائتلافية نظرا الى اشتراك ممثلي الاشتراكيين ــ الثوريين والمناشفة فيها الى جانب الكاديت .
ــ المعرب ــ

٢ ــ الرادا المركزية الاوكرانية : هيئة برلمانية شكلتها في اذار ١٩١٧ الاحزاب القومية البورجوازية والاشتراكيون ــ الثوريين في كييف . العاصمة ، بهدف اعداد العدة لاستقلال اوكرانيا الذاتي . ــالمعربــ

الدولة الروسية فمن الواجب ان تصدر عن برلمان لعموم روسيا».

كلمات في غاية الوضوح ، تعلن بدقة مطلقة ان الشعب الاوكراني لا يريد في الوقت الراهن ان ينفصل عن روسيا . فهو يطالب بالاستقلال الذاتي من غير ان ينفي بصورة من الصور ضرورة «برلمانلعموم روسيا» وسلطته العليا. وما من ديموقراطي، هذا اذا لم نشأ ان نتكلم عن الاشتراكيين ، يجرؤ على التشكيك في المشروعية الكاملة للمطالب الاوكرانية . كذلك ، ما من ديموقراطي يستطيع ان ينفي **حق** اوكرانيا في الانفصال الحر عن روسيا : فالاعتراف بلا تحفظ بهذا الحق هو وحده الذي يتيح امكانية شن حملة لصالح الوحدة الحرةبين الاوكرانيين والروس ـ الكبار ، الوحدة **الطوعية** بين الشعبين في دولة واحدة . ان الاعتراف بلا تحفظ بهذا الحق هو وحده الذي يستطيع ان يضع حدا فعليا ونهائيا وكاملا للماضي القيصري الملعون الذي لم يترك شيئا الا فعله لكي يجعل الشعوب المتقاربة كل التقارب بلغتها وأقاليمها وخصائصها وتاريخها **غريبة عن بعضها بعضا** . لقد كانت القيصرية الملعونة تجعل من الروس ـ الكبار جلادي الشعب الاوكراني ، فتؤجج باستمرار لدى هذا الاخير الكراهية تجاه أولئك الذين لم يتورعوا عن منع الاطفال الاوكرانيين من التكلم بلغتهم الأم ومن الدراسة بتلك اللغة .

ان على الديموقراطية الثورية في روسيا ، اذا كانت تريد ان تكون ثورية حقا ، واذا كانت تريد ان تكون ديموقراطية فعلا ، ان تقطع الاواصر مع ذلك الماضي ، وأن تستعيد لصالحها ولصالح عمال روسيا وفلاحيها الثقة الاخوية من جانب عمال اوكرانيا وفلاحيها . ومن المستحيل الوصول الى ذلك بدون الاعتراف بحقوق اوكرانيا بتمامها ، بما فيها **حق** الانفصال الحر .

اننا لسنا من أنصار الدول الصغيرة . ونحن الى جانب الوحدة الأوثق بين عمالجميع الاقطار ضد الرأسماليين، وحدتهم

هم ووحدة جميع الاقطار بصفة عامة . وانما لكي تكون هـذه الوحدة وحدة مقبولة عن طواعية يؤيد العامل الروسي في الوقت الراهن ، من غير ان يمحض ثقته ولو لدقيقة واحدة ، ولو في مسألة واحدة ، لا للبورجوازية الروسيـة ولا للبورجوازيـة الاوكرانية ، اقول : لهذا يؤيد حق الاوكرانيين في الانفصال ، من غير ان يرغب في ان **يفرض** عليهم صداقته ، متطلعا الى **اكتساب ثقتهم** بمعاملتهم على قدم المساواة ، كحلفاء ، كأشقاء في النضال من اجل الاشتراكية .

* * *

ان الـ «ريتش» ، صحيفة المناهضين للثورة من البورجوازيين المسعورين ، المستشيطين غيظا ، تهاجم بعنف الاوكرانيين بسبب قرارهم «التعسفي» . ف «فعلة الاوكرانيين» هي في رأيهـا «جريمة بيّنة بحق القانون تستوجب بلا تأخير عقوبات شرعيـة صارمة» . والحق ان المرء لا يستطيع ان يضيف شيئا الى هذا الانفلات الحيواني من جانب المناهضين البورجوازيين للثورة . فليسقط مناهضو الثورة البورجوازيون ! عاشت الوحدة الحرة بين فلاحي اوكرانيا الحرة وعمالها الاحرار وبين عمال روسيـا الثورية وفلاحيها !

«البرافدا» ــ العدد ٨٢ .
« المؤلفات الكاملة »
٢٨ (١٥) حزيران ١٩١٧
المجلد ٢٥ ــ ص ٩٠ ــ ٩٢

خطاب في المؤتمر الاول
للبحرية الحربية الروسية
في ٢٢ تشرين الثاني (٥ كانون الاول) ١٩١٧

(مقتطف)

... عندما نتطرق الى المسالة القومية ، ينبغي ان نلاحظ بوجه خاص تنوع القوميات في روسيا حيث لا يشكل الروس ـ الكبار الا حوالي ٤٠ بالمئة من السكان وحيث تنتمي الغالبية الى قوميات أخرى . وفي عهد القيصرية كان الاضطهاد الذي تعاني منه هذه القوميات وحشيا وغبيا الى حد لا يصدق ، وكان يراكم لدى القوميات ، المحرومة من الحقوق المتساوية ، اشد الكـره تجاه الملوك . ولا غرو اذا كان هذا الكره تجاه أولئك الذين كانوا يحظرون حتى استعمال لغة الأم ويحكمون على الجماهير الشعبية بالأمية قد ارتد الى الروس ـ الكبار جميعا . فقد كان من المعتقد ان هؤلاء الاخيرين يريدون ، بوصفهم من اصحاب الامتيازات ، ان يحتفظوا لانفسهم وحدهم بالامتيازات التي كان يخصهم بها نيقولا الثاني وكيرنسكي بكل ورع .

يقال لنا ان روسيا ستتجزأ وستنقسم الى جمهوريات متمايزة،

ولكن ليس ثمة ما نخشاه من هذه الزاوية . فمهما يكن عـــدد الجمهوريات المستقلة ، فان ذلك لن يخيفنا . والمهم بالنسبة الينا ليس الموضع الذي تمر منه حدود الدولة ، وانما الحفاظ علـى وحدة شغيلة الامم جمعاء للنضال ضد بورجوازية كل أمة ايا تكن.

اذا اشترت البورجوازية الفنلندية الاسلحة من الالمان لتشهرها ضد العمال ، فاننا سنقترح على هؤلاء الاخيرين الاتحاد مـــع الشغيلة الروس . لندع البورجوازية تدبر المشاحنات الخسيسة والمساومات على مسائل الحدود ، فعمال الاقطار قاطبة والامـم جمعاء لن ينقسموا بصدد هذا الموضوع الدنيء .

اننا «نغزو» اليوم فنلندا (وأنا استعمل ههنا كلمة بغيضة) ، لا على نحو ما يفعل الرأسماليون ، أولئك المفترسون الدوليون ، ولكننا اذ نعرض على فنلندا الحرية الكاملة في الاتحاد معنا او مع اقطار اخرى نضمن التأييد الكامل لشغيلة جميع القوميات ضد بورجوازية جميع الاقطار . وهذه الوحدة لا تقوم على اساس من المعاهدات ، وانما على اساس تضامن المستغَلين ضد المستغِلين.

اننا نقف اليوم شهودا على حركة قومية في اوكرانيا ، واننا لنقول : اننا نناصر بلا تحفظ الحرية الكاملـــة ، اللامحدودة ، للشعب الاوكراني . وعلينا ان نتخلص من ذلك الماضي الدامـي البشع الذي كانت فيه روسيا المضطهِدين الرأسماليين تلعب دور جلاد سائر الشعوب . اننا سنكنس ذلك الماضي ولن نترك منـه حجرا على حجر .

سنقول للاوكرانيين : انتم تستطيعون ، بوصفكم اوكرانيين، ان تنظموا حياتكم الخاصة على النحو الذي يحلو لكم . ولكننـــا سنمد يدا أخوية الى العمال الاوكرانيين وسنقول لهم : اننـــا سنناضل معكم ضد بورجوازيتكم وضد بورجوازيتنا . والوحدة الاشتراكية اشغيلة جميع الاقطار هي وحدها التي ستقوض كل

ذريعة للاضطهاد والشقاق القومي النزعة .

« ازفستيا اللجنة التنفيذية المركزية» - العدد ٢٣٥ .
٢٥ تشرين الثاني ١٩١٧
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٢٦ - ص ٣٦٠ - ٣٦١

بيان الى الشعب الاوكراني
وإنذار الى رادا اوكرانيا

(مقتطــف)

استنادا الى مصالح الوحدة والاتحاد الاخوي للعمال وللشغيلة جميعا وللجماهير المستغَلة في النضال من اجل الاشتراكية ، واستنادا الى الاقرار بهذه المبادىء في العديد من قرارات اجهزة الديموقراطية الثورية والسوفييتات ، وبوجــــه خاص قرارات المؤتمر الثاني لسوفييتات روسيا، تؤكد حكومةروسيا الاشتراكية ومجلس مفوضي الشعب مرة اخرى الحق في تقرير المصير لجميع الامم التي كانت مضطهَدة من قبل القيصرية والبورجوازيــــة الروسية ــ الكبيرة ، بما فيه الحق في الانفصال عن روسيا .

ولهذه الاسباب نعترف ، نحن مجلس مفوضــــي الشعب ، بجمهورية اوكرانيا الشعبية ، ونعترف لها بالحق في الانفصال الكامل عن روسيا ، او في عقد معاهدة مع جمهورية روسيا حول علاقات اتحادية او ما شابه ذلك من العلاقات .

ان كل ما يمت بصلة الى الحقوق القومية والاستقلال القومي للشعب الاوكراني ، نعترف به ، نحن مجلس مفوضي الشعب ، فورا ، بلا تحفظ وبلا شروط .

وتجاه جمهورية فنلندا البورجوازية ، التي ما تزال بورجوازية، لم تصدر عنا بادرة واحدة من شأنها الحد من الحقوق القومية والاستقلال القومي للشعب الفنلندي . ولن نفعل شيئا من شأنه الحد من استقلال اي أمة ، مهما تكن ، من الامم التي كانت جزءا او ترغب في ان تكون جزءا من جمهورية روسيا ...

« ازفستيا اللجنة التنفيذية المركزية» ـ العدد ٢٤٤ .
٦ كانون الاول ١٩١٧
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٢٦ ـ ص ٣٧٨ .

مساهمة في تاريخ صلح تعيس

(مقتطـف)

ان حربا ثورية حقيقية يمكن ان تكون في الوقت الراهن حرب الجمهورية الاشتراكية (١) ضد البلدان البورجوازية ، على ان يكون هدفها المحدد ، الحاظي بالتأييد الكامل من الجيش الاشتراكي ، هو الاطاحة بالبورجوازية في الاقطار الاخرى . والحال انه لمن **الجلي الواضح** اننا لا نملك القدرة بعد في الساعة **الراهنة** على ان نأخذ على عاتقنا مثل هذا الهدف . اننا على استعداد لان نقاتل اليوم ، موضوعيا ، في سبيل تحرير بولونيا وليتوانيا وكورلاندا (٢) . ولكن ليس في وسع الماركسي ايا كان ان ينفي ، هذا اذا لم يقطع صلته بالمبادىء الاساسية للماركسية وللاشتراكية بوجه عام ، ان مصلحة الاشتراكية يأتي ترتيبها قبل حق الامم في تقرير مصيرها . لقد فعلت جمهوريتنا الاشتراكية

---

١ ـ يقصد جمهورية روسيا الاشتراكية . ـالمعربـ

٢ ـ هي البلدان التي ستنص معاهدة بريست ليتوفسك على ضمها ، هـي واقطار أخرى ، الى المانيا ، مقابل وقف العمليات الحربية ضد جمهوريةروسيا الاشتراكية . ـالمعربـ

كل ما امكنها ان تفعله وهي ما تزال تنحو النحو نفسه من اجل ان يتاح لفنلندا واوكرانيا الخ ان تمارسا حقهما في تقرير المصير . ولكن اذا كان الموقف العيني قد بات من الآن فصاعدا لا يدع مجالا للشك في ان وجود الجمهورية الاشتراكية معرض اليوم للخطر بنتيجة انتهاك حق بعض الامم (بولونيا ، ليتوانيا ، الخ) في حرية تقرير المصير (١) ، فمن البدهي ان الحفاظ على الجمهوريـــــة الاشتراكية ياتي في المقام الاول .

«البرافدا» ـ العدد ٣٤ .
٢٤ (١١) شباط ١٩١٨
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٢٦ ـ ص ٤٦٩ .

---

١ ـ عارض بعض البلاشفة توقيع معاهدة بريست ليتوفسك حفاظا على حق «أمم الاطراف» في تقرير مصيرها ، وطالبوا بالاستمرار في الحرب في سبيل ذلك ولو على حساب وجود الجمهورية الاشتراكية بالذات . ـالمعربـ

مشروع برنامج الحزب الشيوعي الروسي[1]

(مقتطف)

ان سياسة الحزب الشيوعي الروسي في المسألة القومية ، بخلاف اعلانات الديموقراطية البورجوازية عن تساوي الامم غير القابل للتحقيق في ظل الامبريالية ، تقوم على اساس تحقيق التقارب والوحدة الكاملة بين البروليتاريين والجماهير الكادحة من جميع الامم في نضالهم الثوري من اجل الاطاحة بالبورجوازية. ان الريبة تجاه الروس ــ الكبار ، الموروثة عن عصر الامبريالية الروسية ــ الكبيرة والقيصرية والبورجوازية ، تتلاشى بسرعة في اوساط الجماهير الشغيلة من الامم التي كانت تؤلف جزءا من الامبراطورية الروسية ، تتلاشى بمقدار ما يتاح لتلك الجماهير ان تتعرف الى روسيا السوفياتية ، وان كانت ما تزال موجودة لدى بعض الامم ولدى بعض فئات الشغيلة . ومن هنا كانت ضرورة التصدي للشعور القومي بتحرس شديد وضمان تساوي

---

١ ــ تبنى المؤتمر الثامن للحزب ، المنعقد في اذار ١٩١٩ ، برنامجا جديدا اعتمد في جوهره على المشروع الذي وضعه لينين والذي نقتطف منه ما يتعلق بالمسألة القومية . ــالمعربــ

الامم وحريتها في الانفصال بعناية كبيرة ، حتى تستأصل جذور الريبة وحتى تتحقق عن طواعية وحدة وثيقة بين الجمهوريات السوفياتية للأمم قاطبة . علينا ان نعزز المساعدة المبذولة للأمم المتاخرة والضعيفة عن طريق بذل العون في التثقيف والتنظيم المستقل لعمال وفلاحي كل امة في النضال ضد اضطهاد العصور الوسطى والاضطهاد البورجوازي . كما ينبغي ان نبذل المساعدة بالاسهام في تطوير لغة وأدب القوميات التي كانت ما تزال مضطهدة حتى اليوم او التي ما كانت تتمتع بحقوق متساوية.

« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٢٩ – ص ١٠٦ – ١٠٧

البند المتعلق بالعلاقات القومية في البرنامج [1]

ان سياسة البروليتاريا في المسألة القومية ، بعد استيلائها على سلطة الدولة ، تقوم ، بعكس الاعلان الشكلي من قبل الديموقراطية البورجوازية عن تساو بين الامم غير قابل للتطبيق في ظل الامبريالية ، تقوم على اساس تحقيق منهجي وفعلي للتقارب والانصهار بين العمال والفلاحين من جميع الامم في نضالهم الثوري من اجل الاطاحة بالبورجوازية . وهذا الهدف يتطلب التحرير الكامل للأمم المستعمَرة ولجميع الامم المضطهدة او التي لا تتمتع بمساواة كاملة في الحقوق ، وكذلك منح هذه الامم حرية الانفصال كضمانة لزوال الريبة بين الجماهير الكادحة من مختلف الامم ، تلك الريبة الموروثة عن الرأسمالية ، ولزوال ضغينة عمال الامم المضطهَدة تجاه عمال الامم المضطهِدة ، ولحلول وحدة واعية ومقبولة عن طواعية محلهما . ان على عمال الامم المضطهِدة في ظل الرأسمالية ان يتحرسوا كل التحرس تجاه العاطفة القومية للأمم المضطهَدة (على سبيل المثال الروس ــ الكبار والاوكرانيون والبولونيون تجاه اليهود ، والتتر تجاه

---

1 ــ هذا النص يشكل جزءا من المواد المجموعة تحت اسم «مشروع برنامج الحزب» الآنف الذكر . ــالمعربــ

الباشكيريين ، الخ) ، وأن يبذلوا العون لا من اجل مساواة فعلية في الحقوق فحسب، بل ايضا من اجل تطوير لغة وادب الجماهير الكادحة من الامم المضطهَدة في الماضي ، حتى يتلاشى كل أثر من الريبة والاستلاب الموروثين عن عصر الرأسمالية .

« المؤلفات الكاملة »

المجلد ٢٩ – ص ١٢٣ .

مشروع قرار للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي) حول سلطة السوفييتات في اوكرانيا

(مقتطـف)

١ ــ بعد مناقشة الموقف الواجب اتخاذه تجاه شعب اوكرانيا الشغيل ، الذي يتحرر من الغزو المؤقت الذي قامت به عصابات دينيكين (١) ، ترى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي ، الحريصة على تطبيق مبدأ حق الامم في تقرير مصيرها تطبيقـا حازما ، ان من الضروري ان تؤكد مرة أخرى ان الحزب الشيوعي الروسي متشبث بالاعتراف باستقلال جمهوريةاوكرانيا الاشتراكية السوفياتية .

٢ ــ ان الحزب الشيوعي الروسي سيبذل قصارى جهـده لإقامة علاقات اتحادية بين جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية

---

١ ــ جنرال قيصري قاد في عام ١٩١٩ حملة عسكرية مناهضة للثورة وبالغة الخطورة ضد السلطة السوفياتية . ــالمعربــ

السوفياتية وجمهورية اوكرانيا الاشتراكية السوفياتية على اساس قرارات لجنة روسيا التنفيذية المركزية بتاريخ ١ حزيران سنة ١٩١٩ ولجنة اوكرانيا التنفيذية المركزية بتاريخ ١٨ ايار سنة ١٩١٩ (١) .

٣ ـ نظراً الى ان الثقافة الاوكرانية (اللغة ، المدرسة ، الخ) قد كابدت طوال قرون من اضطهاد القيصرية الروسية والطبقات المستغِلة ، تلزم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي جميع اعضاء الحزب بالمساهمة بجميع الوسائل في ازالة العقبات التي تعترض التطور الحر للغة والثقافة الاوكرانيتين . ونظراً الى ان الميول القومية النزعة الناجمة عن قرون من الاضطهاد تبرز لدى الفئات المتأخرة من الجماهير الاوكرانية ، فان من واجب اعضاء الحزب الشيوعي الروسي ان يدللوا على اكبر الاحتراس تجاهها. ولسوف يعارضونها ، من خلال الشروح الاخوية ، بوحدة مصالح شغيلة اوكرانيا وروسيا . ولسوف يبذل اعضاء الحزب الشيوعي الروسي في الاراضي الاوكرانية قصارى جهودهم في تطبيق حق الجماهير الشغيلة في استخدام لغتها الأم في المدرسة وفي

---

١ ـ «قرار ١٨ ايار ١٩١٩ حول توحيد القوات المسلحة» اتخذته اللجنة التنفيذية المركزية لاوكرانيا السوفياتية من اجل توحيد جميع قوى الجمهوريات السوفياتية لمكافحة اعداء السلطة السوفياتية ولمركزة جميع القوى المادية . وقد اتخذت قرارات مماثلة من قبل الحكومات السوفياتية في ليتونيا وليتوانيا وروسيا البيضاء . وبناء على ذلك اتخذت اللجنة التنفيذية المركزية لروسيا قرارا ب «توحيد الجمهوريات السوفياتية في روسيا واوكرانيا وليتونيا وليتوانيا وروسيا البيضاء للنضال ضد الامبريالية العالمية» . وقد نص القرار على توحيد القوات المسلحة وعلى مركزة قيادات الفروع الاساسية من الاقتصاد القومي . «ن.س»

جميع المؤسسات السوفياتية ، وفي الوقوف بجميع الوسائل في وجه محاولات الترويس الرامية الى دحر اللغة الاوكرانية الى المرتبة الثانية ، وفي اتخاذ هذه اللغة وسيلة للتربية الشيوعية للجماهير الشغيلة . ولسوف تُتخذ تدابير فورية حتى تزود جميع المؤسسات السوفياتية بأعداد كافية من موظفين يتكلمون اللغة الاوكرانية وحتى يكون في مستطاع جميع المستخدمين في المستقبل ان يعبروا عن انفسهم بتلك اللغة .

كتب في تشرين الثاني ١٩١٩

« المؤلفات الكاملة »

المجلد ٣٠ – ص ١٦٢ – ١٦٣

انتخابات الجمعية التأسيسية وديكتاتورية البروليتاريا

(مقتطف)

إبان الاجتماعات الاخيرة المكرسة للمسألة الاوكرانية اتهم بعض الرفاق كاتب هذه السطور ب «الشطط» في إبراز اهمية المسألة القومية في اوكرانيا. وأرقام انتخابات الجمعية التأسيسية تدل على ان الاشتراكيين الثوريين والاشتراكيين الاوكرانيين حصلوا منذ تشرين الثاني ١٩١٧ على الغالبية في اوكرانيا (١) .

وإزاء مثل هذا الوضع فان من يستخف بأهمية المسألة القومية في اوكرانيا ، وهذا خطأ غالبا ما يقع فيه الروس ـ الكبار (واليهود كذلك وان بنسبة أقل من الروس ـ الكبار) ، يقترف غلطة فادحة وخطرة . فانفصال الاشتراكيين ـ الثوريين الروس والاوكرانيين في اوكرانيا منذ عام ١٩١٧ لا يمكن ان يكون وليد الصدفة . ونحن ملزمون ، بصفتنا أمميي النزعة ، بأن نكافح اولا بقوة تلك البقايا (اللاواعية احيانا) من الامبريالية والشوفينية

---

١ ـ يشير لينين الى انتخابات الجمعية التأسيسية التي جرت في تشرين الثاني ١٩١٧ في عموم روسيا والتي انشق فيها الاشتراكيون ـ الثوريون في اوكرانيا على انفسهم فحصل الاوكرانيون منهم على ضعف الاصوات التي حصل عليها الروس . ـالمعرب ـ

الروسية – الكبيرة لدى الشيوعيين «الروس» . ونحن ملزمون ثانيا بالقيام بتنازلات في المسألة القومية التي هي ذات اهمية ضئيلة نسبيا (ان مسألة الحدود بالنسبة الى الاممي هي مسألة من المرتبة الثانية بله العاشرة) . والمسائل الاخرى هي الهامة : المصالح الاساسية لدكتاتورية البروليتاريا ، مصالح وحدة وانضباط الجيش الاحمر الذي يقاتل ضد دينيكين ، الدور القيادي للبروليتاريا بالنسبة الى الطبقة الفلاحية . اما المسألة المتعلقة بمعرفة ما اذا كانت اوكرانيا ستصبح دولة منفصلة او لا فانها مسألة اقل اهمية بكثير . وعلينا الا نفاجأ البتة او نذعر ازاء احتمال تجريب العمال والفلاحين الاوكرانيين لأنظمة مختلفة متعاقبة ، ازاء احتمال تجريبهم عمليا ، لنقل لسنوات عدة ، الانصهار مع جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية والانفصال لتشكيل جمهورية اوكرانية اشتراكية سوفياتية واشكالا شتى من الاتحاد الوثيق ، الخ ، الخ .

اما ان نحاول مسبقا ، مرة واحدة واخيرة ، ان نحسم تلك المسألة «نهائيا» و«ودونما عودة» ، فاننا نكون قد دللنا على ضيق نظر او على غباء محض ، لان تأرجحات الجماهير الكادحة غير البروليتارية في **هذه** المسألة طبيعية تماما ، بل حتمية ، ولكنها غير خطرة البتة بالنسبة الى البروليتاريا . ان ممثل البروليتاريا الذي يعرف كيف يكون أمميا حقيقيا ملزم بأن يدلل على منتهى الفطنة والتسامح ازاء **تلك** التأرجحات ، وبأن يترك للجماهير الكادحة غير البروليتارية مهمة **التخلص منها بنفسها** بفضل تجربتها الذاتية . وعلينا بالمقابل ان ندلل على عدم التسامح وعلى العناد والتعصب والصلابة تجاه المسائل الاخرى الاكثر أهمية .

كتب في كانون الاول ١٩١٩

« المؤلفات الكاملة »

المجلد ٣٠ – ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

رسالة الى عمال وفلاحي اوكرانيا بمناسبة الانتصارات المحرزة على دينيكين

(مقتطـف)

ان للسلطة السوفياتية في اوكرانيا مهام خاصة . انها المسألة القومية او مسألة معرفة ما اذا كانت اوكرانيا ستصبح جمهورية اشتراكية سوفياتية متمايزة ومستقلة ، متحالفة (متحدة) مع جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية . او ما اذا كانت اوكرانيا وروسيا ستندمجان في جمهورية سوفياتية واحدة . ان على جميع البلاشفة وعلى جميع العمال والفلاحين الواعين ان يفكروا جاد التفكير بصدد هذه المسألة .

ان استقلال اوكرانيا معترف به من قبل اللجنة التنفيذية المركزية لجمهورية روسيا الاشتراكية الاتحادية السوفياتية وحزب روسيا الشيوعي البلشفي . وعلى هذا فان من الواضح والمتفق عليه بالنسبة الى الجميع ان عمال اوكرانيا وفلاحيها هم وحدهم الذين يستطيعون ان يقرروا وسيقررون ، في مؤتمر سوفييتاتهم القومي ، هل ينبغي على اوكرانيا ان تندمج مع روسيا او ان تشكل جمهورية مستقلة ذاتيا ، مستقلة ، وما الرابطة الاتحادية

التي ينبغي في هذه الحال ان تربطها بروسيا .

كيف ينبغي تسوية هذه المسألة في صالح الشغيلة ضمانا لنجاح نضالهم في سبيل التحرير الكامل للعمل من نير الراسمال؟

أولا — ان مصالح العمل تتطلب وجود الثقة الاكمل والوحدة الأوثق بين شغيلة شتى الاقطار وشتى الامم . ويجهد انصار الملاك العقاريين والراسماليين والبورجوازية لقسم العمال ولتأجيج المشاحنات والاحقاد بين الامم حتى يقضى على العمال بالعجز وحتى تتوطد سلطة الراسمال .

ان الرأسمال قوة اممية . ولقهره لا بد من وحدة العمال الاممية وإخائهم الاممي .

اننا اعداء الاحقاد القومية والمشاحنات القومية والنزعة الخصوصية القومية . نحن امميون . نحن نتطلع الى الوحدة الأوثق والاندماج الكامل بين العمال والفلاحين من الامم جمعاء في جمهورية سوفياتية واحدة موحدة .

ثانيا — لا يجوز للشغيلة ان ينسوا ان الراسمالية قد قسمت الاقطار الى عدد صغير من الامم المضطهِدة ، الامبريالية ، المتمتعة بجميع الحقوق والامتيازات ، والى غالبية ساحقة من الامم المضطهَدة ، التابعة او نصف التابعة ، المقضي عليها بدونية قانونية . ولقد أدت حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ ، تلك الحرب المجرمة والرجعية بين سائر الحروب ، الى تفاقم حدة ذلك الانقسام ، وبالتالي الى تأجيج مشاعر الغضب والكراهية . وعلى مر القرون تفاقمت حدة سخط وريبة الامم التابعة والمقضي عليها بدونية قانونية ضد الامم الامبريالية التي تضطهِدها ، الامم التي على شاكلة اوكرانيا ضد الامم التي على شاكلة روسيا — الكبيرة .

اننا نريد تحالفا **مقبولا عن طواعية** بين الامم ، تحالفا لا يسمح بأي عنف تمارسه أمة من الامم ضد أمة اخرى ، تحالفا قائما على ثقة مطلقة ، على وعي واضح للوحدة الاخوية ، على قبول حر

محض . ومثل هذا التحالف لا يمكن ان يتحقق دفعة واحدة . بل لا بد من الفوز به بجهد صابر يقظ ، حتى لا يتعكر الجو ، وحتى لا تستيقظ الريبة ، وحتى تتلاشى تلك الريبة التي خلفتها قرون طويلة من اضطهاد الملاك العقاريين والراسماليين والملكية الخاصة والاحقاد الناجمة عن توزيع هذه الملكية واعادة توزيعها على نحو متواصل .

وعلى هذا فان من واجبنا ، ونحن نتطلع بلا كلل الى وحدة الامم ونهاجم بلا رحمة كل ما يفرق بينها ، ان ندلل على الحذر الشديد والصبر الكبير والتسامح الكثير تجاه ما تبقى من الريبة بين الامم . وعلينا بالمقابل ان نكون عنيدين ، متصلبين ، تجاه كل ما يمس المصالح الاساسية للعمل المناضل في سبيل التحرر من نير الرأسمال . اما المسألة المتعلقة بكيفية رسم الحدود بين الدول بصفة مؤقتة في الوقت الراهن ـ ما دمنا نريد الغاءهـا التام ـ فانها ليست بمسألة اساسية ، وانما هي مسألة ثانوية ، قليلة الاهمية . ان في مستطاعنا ومن واجبنا ان نسوّف ، لان الريبة بين الامم راسخة في غالب الاحيان بين جماهير الفلاحين وصغار المستثمرين . وكل تسرع قد يزيد من حدتها ، وقد يؤذي بالتالي قضية الوحدة الكاملة والنهائية .

ان تجربة الثورة العمالية والفلاحية في روسيا ، ثورة تشرين الاول ـ تشرين الثاني ١٩١٧ ، تجربة هذين العامين من النضال المظفر ضد غزو الرأسماليين الدوليين والروس ، قد اظهرت ، بمثل وضوح النهار ، ان الرأسماليين قد عرفوا كيف يستغلون مؤقتا الريبة القومية لدى الفلاحين وصغار المستثمرين البولونيين والليتونيين والإستونيين والفنلنديين تجـاه الروس ـ الكبار . فلقد استفادوا من تلكالريبة حتى يزرعوا الشقاق الى حين بينهم وبيننا . لقد اظهرت التجربة ان تلك الريبة لا تمحي ولا تزول الا ببطء شديد ، وانه كلما دلل الروس ـ الكبار، الذين انتموا لحقبة

طويلة من الزمن الى الامة المضطهدة ، على المزيــــد من الصبر والحيطة ، تلاشت تلك الريبة بحتمية اكبر . وانما لاننا نعترف باستقلال الدول البولونية والليتونية والليتوانية والإستونيـــــة والفنلندية نفوز ، على مهل ولكن بصورة اكيدة ، بثقة الجماهير الكادحة في الدول الصغيرة المجاورة ، الجماهير الاكثر تأخــرا والاكثر انخداعا والاكثر استعبادا من قبل الرأسماليين . وانما بهذه الوسيلة نحررها بصفة اكيدة مأمونة من نفوذ الرأسماليين القوميين في بلادها ، لنقودها بصورة اكيدة مأمونة الى ثقة كاملة، الى جمهورية السوفييتات الموحدة الاممية المستقبلة .

وما دامت اوكرانيا لما تتحرر بعد بتمامها من دينيكين ، والى ان تعقد مؤتمر السوفييتات القومي ، فان حكومتها هي لجنـــة اوكرانيا الثورية . وتضم هذه اللجنة الثوريـــــة ، الى جانب الشيوعيين البلاشفة الاوكرانيين ، وبصفة اعضاء في الحكومة ، شيوعيين بوروتبيين (١) اوكرانيين . ان البوروتبيين يتميـزون فيما يتميزون عن البلاشفة من حيث انهم انصار استقلال اوكرانيا المطلق . ولا يرى البلاشفة في ذلك سببا للانقسام او للخلاف . لا يرون في **ذلك** عقبة في وجه تعاون بروليتاري قائم على أسس واضحة . ان الشيوعيين ، المتحدين في النضال ضـــــد نير الرأسمال ومن اجل دكتاتورية البروليتاريا ، لن ينقسموا علـــى انفسهم بسبب مسائل الحدود القومية والعلاقات الاتحادية او

---

١ ـ البوروتبيون : الجناح اليساري من الاشتراكيين ـ الثوريين الاوكرانيين الدين شكلوا في عام ١٩١٨ حزبا مستقلا . وقد اشتقوا اسمهم من صحيفتهم المركزية «بوروتبا» (الكفاح) . وقد حل البوروتبيـــون حزبهم في اذار ١٩٢٠ وانضموا الى الحزب الشيوعي البلشفي الاوكراني الذي قرر قبولهم فــــي مشاره الرابع . «ن.س»

غيرها بين الدول . ان بين البلاشفة أنصارا لاستقلال اوكرانيا الكامل ، وانصارا لرابطة اتحادية وثيقة بهذا القدر او ذاك ، وأنصارا لاندماج اوكرانيا الكامل بروسيا .

انه لمن غير المقبول ان يقع الانقسام بصدد مسائل كهذه . فهي ستسوى في مؤتمر سوفييتات اوكرانيا .

لو الح شيوعي روسي – كبير على ضرورة اندماج اوكرانيا وروسيا ، لارتاب الاوكرانيون بسهولة بأنه ينقاد ، في دفاعه عن هذه السياسة ، لدافع الآراء المسبقة الموروثة عن النزعة القومية والامبريالية الروسية – الكبيرة القديمة اكثر مما ينقاد لدافع وحدة البروليتاريين في النضال ضد الرأسمال . وهذه الريبة طبيعية ، والى حد ما محتمة ومشروعة ، لأن الروس – الكبار قد تشربوا طوال قرون ، تحت نير الملاك العقاريين والرأسماليين، آراء مسبقة شائنة سافلة أورثتهم اياها الشوفينية الروسية – الكبيرة .

ولو الح شيوعي اوكراني على ضرورة استقلال اوكرانيا المطلق ، لأمكن الارتياب في انه يدافع عن هذه السياسة لا من وجهة نظر المصالح المؤقتة للعمال والفلاحين الاوكرانيين المناضلين ضد نير الرأسمال ، وانما تحت هيمنة الآراء المسبقة القومية البورجوازية الصغيرة والملاكية الصغيرة . لقد اظهرت لنا التجربة مئات المرات كيف يتنكر «الاشتراكيون» البورجوازيون الصغار من شتى الاقطار – جميع أولئك الاشتراكيين الادعياء البولونيين والليتونيين والليتوانيين والمناشفة الجيورجيين والاشتراكيين – الثوريين الخ – في إهاب انصار البروليتاريا لا لشيء الا لتمرير سياسة التفاهم مع بورجوازيتـ«هم» القوميةضد العمال الثوريين. لقد رأينا ذلك في روسيا ، بين شباط وتشرين الاول ١٩١٧ ، من خلال مثال كيرنسكي . لقد رأينا ذلك ونحن ما نزال نراه في جميع الاقطار بلا استثناء .

وهكذا فان الريبة المتبادلة بين الشيوعيين الروس ـ الكبار والشيوعيين الاوكرانيين قابلة للظهور بيسر وسهولة . فكيف نكافحها ؟ كيف نتغلب عليها ونفوز بالثقة المتبادلة ؟

ان خير ما نفعله هو ان نتعاون في الدفاع عن دكتاتورية البروليتاريا والسلطة السوفياتية في النضال ضد الملاك العقاريين والرأسماليين من جميع الاقطار ، وضد محاولاتهم لإعادة توطيد قوتهم . هذا النضال المشترك سيبين بوضوح وعمليا ان العمال الروس ـ الكبار والاوكرانيين بحاجة مطلقة ، مهما يكن الحل المعطى لمشكلة الاستقلال او الحدود ، الى تحالف وثيق عسكري واقتصادي ، والا فان رأسماليي «الوفاق الودي» ، اي حلف البلدان الرأسمالية الاكثر إثراء ، انكلترا وفرنسا واميركا واليابان وايطاليا ، سيسحقوننا وسيخنقوننا الواحد تلو الآخر . ونضالنا ضد لوكتشاك (١) ودينيكين اللذين مولهما وسلحهما أولئك الرأسماليون قد اظهر بوضوح هذا الخطر .

ان كل من يمس بالوحدة والتحالف الوثيق بين العمال والفلاحين الروس ـ الكبار والاوكرانيين انما يساعد الكولتشاكيين والدينيكيين والرأسماليين المفترسين من جميع الاقطار .

ولهذا يتوجب علينا ، نحن الشيوعيين الروس ـ الكبار ، ان نكافح صارم الكفاح ، في أوساطنا ، أدنى تظاهرة من تظاهرات النزعة القومية الروسية ـ الكبيرة ، لان هذه التظاهرات ، التي هي بوجه عام خيانة حقيقية للشيوعية ، ضارة كل الضرر ما دامت تفصلنا عن رفاقنا الاوكرانيين وتلعب لعبة دينيكين وشركاه .

وعلى هذا يتوجب علينا ، نحن الشيوعيين الروس ـ الكبار ، ان نتساهل عندما تواجهنا اختلافات مع الشيوعيين البلاشفة

---

١ ـ اميرال قيصري تزعم في عام ١٩١٩ الثورة المضادة في سيبيريا .
ـ المعرب ـ

الاوكرانيين والبوروتبيين ، وعندما تدور هذه الاختلافات حول استقلال اوكرانيا واشكال تحالفها مع روسيا ، وبصورة عامة ، حول المسألة القومية . ولكن أسواء كنا شيوعيين روسا ــ كبارا أم اوكرانيين ام من أي أمة خرى ، فان علينا جميعا ان نبدي تصلبا وعدم تساهل تجاه المسائل الاساسية ، الحاسمة ، المتماثلة بالنسبة الى الامم جميعا ، أعني: النضال البروليتاري، دكتاتورية البروليتاريا ، لامقبولية التفاهم مع البورجوازية ، ولا مقبولية انقسام القوى التي تدافع عنا ضد دينيكين .

قهر دينيكين وإبادته والحيلولة دون تكرر مثل هذا الغزو: هذه هي المصلحة الحقيقية للعمال والفلاحين الروس ــ الكبار والاوكرانيين على حد سواء. ان هذا النضال طويل وشاق، لأن رأسماليي العالم قاطبة يؤازرون دينيكين وسيؤازرون كل دينيكين على شاكلته .

وفي هذا النضال الطويل والشاق يتوجب علينا ، نحن العمال الروس ــ الكبار والاوكرانيين ، ان نبقى على اتحاد وثيق ، لاننا لن نستطيع بكل تأكيد ، فيما اذا افترقنا ، ان ننجو بأنفسنا . ومهما تكن حدود اوكرانيا وروسيا ، ومهما تكن اشكال علاقاتهما كدولة بدولة ، فليس هذا هو المهم . وبالمقابل فان من الممكن والواجب القيام بتنازلات ، وتجريب حل او آخر ، ثم آخر : فقضية العمال والفلاحين ، قضية الانتصار على الراسمالية ، لن تضيع بنتيجة ذلك .

اما اذا لم نتوصل الى الحفاظ على الوحدة الوثيقة فيما بيننا ضد دينيكين وضد الرأسماليين والكولاك في بلادنا نحن وفي سائر البلدان ، فان قضية العمال ستهزم بالتأكيد لسنوات طويلة، بمعنى انه سيكون **في مقدور** الرأسماليين آنذاك ان يسحقوا ويخنقوا اوكرانيا السوفياتية وروسيا السوفياتية على حد سواء.

ان بورجوازية الاقطار كافة ، وكذلك مختلف الاحزاب البورجوازية الصغيرة والاحزاب «المصالحة» التي تقبل بالتحالف

مع البورجوازية ضد العمال ، قد بذلت قصارى جهودها لقسم عمال مختلف القوميات ولتأجيج جذور الريبة ولهدم وحدة العمال الاممية الوثيقة وإخائهم الاممي . ولهذا فان على شيوعيي روسيا واوكرانيا ان يتوصلوا ، بفضل عمل مشترك ، صابر ، عنيد وصلب ، الى قهر المكائد القومية النزعة التي تحيكها البورجوازيات جميعها ، والآراء المسبقة القومية النزعة من كل نوع . عليهم ان يضربوا لشغيلة العالم قاطبة المثل في تحالف متين حقا بين العمال والفلاحين من مختلف الامم في النضال من اجل سلطة السوفييتات ، ومن اجل الغاء نير الملاك العقاريين والرأسماليين ، وفي سبيل جمهورية سوفياتية اتحادية للعالم قاطبة .

٢٨ - ١٢ - ١٩١٩

ف . لينين

«البرافدا» - العدد ٣
٤ كانون الثاني ١٩٢٠
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٣٠ - ص ٣٠٢ - ٣٠٧

بطاقة الى المكتب السياسي حول النضال ضد شوفينية الدولة الكبيرة(١)

انني أعلنها حربا حتى الموت على الشوفينية الروسية-الكبيرة. وبمجرد ان أتخلص من ضرسي اللعينة (٢) سألتهمها بكل أضراسي

---

١ - وجه لينين هذه البطاقة الى المكتب السياسي للحزب الشيوعي عند بحث مسألة تكوين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية . وقد حال مرضه دونه ودون المشاركة في اجتماعات اللجنة المركزية اثناء بحث هذه المسألة . ولكنه اطلع على المشروع الذي أعده ستالين وتنبه لما انطوى عليه من روح شوفينية وطالب بتعديله . ومن قبيل ذلك انه اقترح ان تكون رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية لمجلس السوفييتات الاعلى الاتحادي دورية يتعاقبعليها رؤساء أربعة ينتمون الى الجمهوريات المتحدة الاربع : روسيا واوكرانيا وروسيا لبيضاء والقفقاس . ومن الممكن الرجوع في هذا الموضوع الى «رسالته حول مسألة القوميات» المنشورة في مجموعة «حركة شعوب الشرق الوطنية والتحررية» ؛ وكذلك الى رسالته حول تكوين الاتحاد السوفياتي المنشورة في «المختارات» . -المعرب-

٢ - اشارة الى مرضه . -المعرب-

السليمة .

من الواجب **قطعا** الاصرار على ان يترأس اللجنة التنفيذيـة المركزية الاتحادية بالتناوب :

روسي
اوكراني
جيورجي الخ
قطعا !

كتب في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٢
« المؤلفات الكاملة »
المجلد ٣٣ – ص ٣٧٩

فهرست

هذا الكتاب

يتضمن هـذا الكتاب نصوصاً جديدة مختارة للينين حول المسألة القومية . وستصدر النصوص التاليـة ، التي لم تصدر بالعربية من قبل ، تباعاً :

١ – نصوص جديدة حول المسألة اليهودية .
٢ – نصوص جديدة حول الوطن والوطنية .
٣ – نصوص جديدة حول الدين .
٤ – نصوص جديدة حول المسائل العسكرية .
٥ – نصوص جديدة حول المسألة الزراعية .

إن هذه السلسلة تغني معرفتنا بالماركسية ، وتغني معرفتنا بلينين ، وهي تقدم للقارىء ما لم يعرفه عن اللينينية .

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

الثمن : ٣٥٠ ق. ل.
٥٠٠ ق. س.